سجل تحت رقم 2821296
بتاريخ 16/03/2011
الرقم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen - Algérie

جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ السياسي والثقافي في المغرب الإسلامي

الرحلة التجارية بين إقليم توات والسودان الغربي و دورها في تمتين الروابط الثقافية

ما بين القرنين ٧هـ-١٠هـ/١٣م-١٦م

إعداد الطالبة:
الزهراء بوكرابيلة

إشراف:
د. بودواية مبخوت

لجنة المناقشة:

أ.د/ عبد الحميد حاجيات	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
د/ بودواية مبخوت	أستاذ محاضر –أ–	جامعة تلمسان	مشرفا
أ.د/ محمد مجاود	أستاذ التعليم العالي	جامعة بلعباس	عضوا
د/ لخضر عبدلي	أستاذ محاضر –أ–	جامعة تلمسان	عضوا
د/ محمد مكيوي	أستاذ محاضر –ب–	جامعة تلمسان	عضوا

السنة الجامعية: 2010-2011

شكر و تقدير

شكري الكامل لأستاذي المشرف الدكتور مبخوت بودواية صاحب فكرة هذا العمل الذي شجعني ووجهني في هذا السبيل العلمي، وأكرر شكري له لما تحمله معي من متاعب في هذا الإطار وتفهمه للظروف التي شابت هذا البحث ودعمه لي بالمادة والتشجيع المعنوي فشكرا جزيلا.

وأتقدم بشكري الخالص للجنة المناقشة على جهدها في قراءة العمل قراءة ثانية على رأس القائمة السيد الدكتور عبد الحميد حاجيات.

إلى أساتذة قسم التاريخ بجامعة تلمسان كل بإسمه، إلى الأستاذ الدكتور أحمد لحمدي لدعمي بالمادة، أستاذ محاضر بجامعة وهران كلية الحضارة الإسلامية.

إلى من قام بنسخ هذا العمل السيد سليمان.

إلى كل هؤلاء شكري الجزيل.

إهداء

تقدم هذا الإهداء إلى كل من:

الوالدين الكريمين فاطنة وبن سعيد صاحبي الفضل عليا بالدعاء والثناء .

وأهدي هذا العمل

إلى عائلتي الحبيبة أخوات وإخوان وأحفاد .

مقدمة

مقدمة:

تعد الدراسات الإفريقية حقلا خصبا للباحثين المهتمين بهذا النوع من التخصص، ورغم ما تم تناوله من قبل الباحثين ما زال المجال مفتوحا أمام من يريد الخوض في غمار هذا التخصص؛ لأنها – الدراسات الإفريقية – تحمل في طياتها جملة لا بأس بها من التفاصيل الدقيقة مهما تم تناوله.

وفي إطار محور البحث في العلاقات الثقافية والاقتصادية من أجزاء العالم الإسلامي عامة وبين المغرب الإسلامي والأجزاء المتبقية كالمشرق والأندلس والسودان الغربي، سيكون البحث الموسوم بالعنوان التالي "الرحلة التجارية بين إقليم توات والسودان الغربي ودورها في تمتين الروابط الثقافية ما بين القرنين 7 هـ - 10 هـ/13 – 15م" أحد الدراسات التي تتناول بعض التفصيل بين المغرب الأوسط في أحد أقاليمه – إقليم توات – والسودان الغربي.

وقد كان تناول هذا البحث بإيعاز من أستاذي المشرف - الدكتور ميخوت بودواية – لما لمسه مني من اهتمام، فشجع تلك الرغبة ووجهها ثم تمم تفاصيلها. لذلك رغبت من خلال هذا العمل معرفة وتعريف الدور الأساسي لإقليم توات تحديدا في تأصيل الدين الإسلامي واللغة العربية، وبالتالي بث الثقافة العربية الإسلامية إلى أمصار إفريقية لم تعهد سوى الوثنية وبالتالي تحتاج إلى إضافات نتمنى أن يكون محور هذا البحث واحدا منها.

وقد بدأت رحلة هذا العمل من إقليم توات الذي ينتهي إليه المغرب الأوسط، ذلك الإقليم الذي صنفه العارفين حلقة وصل ربط بين أرجاء وجوانب إفريقيا الشمالي والجنوبي، فالتقت فيه قوافل التجار وتجمعت فيه البضائع من كل الأمصار، فقد احتل إقليم توات تلك المرتبة وذلك الاهتمام منذ زمن مبكر، بحيث انبثقت منه سبل ودروب وأوصلت إليه شعاب ومنافذ كانت القوافل المارة منه والواصلة إليه محملة بالسلع والتجار والفقهاء ثم بعد ذلك حملت بطلبة العلم المنتقلين من الجنوب إلى الشمال ومصر وحتى الأندلس.

وبفعل حركة القوافل تلك تكونت أسواق راج صيتها وكبرت شيئا فشيئا لتتحول إلى مراكز وحواضر إسلامية ذات طابعها الإفريقي.

وحتى تتم الرحلة بأمان وتسير في مسلكها الصحيح وتصل إلى بلغ القصد، كان لا بد لنا أن نستجمع القوة ونشد الهمة حتى تفك خيوط المعادلة التي توضح فكرة نجاح الرحلة التجارية في ترك أثرها ووضع بصمتها الثقافية والاقتصادية فيما وراء الصحراء – تحديدا إقليم السودان الغربي .

وإن كنا على يقين أن الحركة التجارية غالبا ما تحقق مبلغها المادي ومقصدها الاقتصادي، فكيف ستصل إلى تحقيق المبلغ المعنوي المنشود، وتنجح في التغيير والتأثير – من الوثنية إلى الإسلام ومن الظلام إلى النور – وتوصل الإسلام إلى أدغال إفريقيا الغربية، فكيف استطاع التاجر المسلم حمل هم الدعوة وإيصالها للسودان الغربي قبل أن يفكر الفاتحون الحاملون للسلاح في ذلك؟ لقد كانت منطقة توات نقطة انطلاق الرحلة التجارية فكيف ستكون الخلفية التاريخية والجغرافية لها وللسودان الغربي أديم الذهب أو التبر؟ أم أن الإسلام نوَّر أديمها المظلم وأزال عنها الغبار وكشف عنها الستار فانبجست أرض السودان الغربي فأعطت العلماء والفقهاء المفكرين والمصلحين أمثال آل أقيت وغيرهم.

فحاولت الاعتماد من خلال هذا الطرح على خطة منهجية اخترت أن تكون على النحو التالي؛ مقدمة جمعت فيها مادة هذا العمل، أضفت فيها دراسة لبعض المصادر المعتمدة ككتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" لصاحبه الشريف الإدريسي، وكتاب "وصف إفريقيا" للحسن الوزان، كتاب "تاريخ السودان" لعبد الرحمن السعدي، "تاريخ الفتاش" لمحمود كعت، وغيرها من نفائس الكتب التي لا يتسع المجال لذكرها، وفي تلك الدراسة استعنت بالكتب التالية:

"تاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث" لصاحبه محمد المنوني، محمد إبراهيم السيد وكتابه "دراسات في مصادر ومراجع المكتبة العربية"، كتاب "في تاريخ الحضارة الإسلامية" لصاحبته نبيلة حسن.

ثم مدخل بعد المقدمة تناولت فيه عملية انتشار الإسلام بطرق وأساليب اختلفت عما عرف وتعارف عليها بحيث زاد التاجر المسلم هذه العملية بحكمته وأمانته والتغلب على الطمع وفطرة الإنسان في حب المال.

ثم قسمت العمل إلى ثلاثة فصول كل فصل منهم يتضمن مبحثين اثنين، أما الفصل الأول فقد عالجت فيه دراسة عامة تاريخية وجغرافية للإقليمين حتى نتمكن من الوقوف على أرضية متينة ننطلق من خلالها لاستكمال الرحلة التجارية بشكل صحيح، ثم فصل ثان تناولت فيه الحركة التجارية بين الإقليمين والتي تمت عبر المسالك الواصلة بين توات والسودان الغربي مع ذكر الأسواق والسلع والمعاملات التجارية ثم أثر هذه الحركة ودور توات التجاري والثقافي منذ بكرة التاريخ في إيصال اللغة العربية إلى هناك وجعلها لغة تخاطب، وأثر الرحلة في تأسيس مراكز ثقافية بدءا من توات إلى السودان الغربي، بل قد أصبحت حاضرة ثقافية كبجاية والقيروان وغيرها، وفصل أخير كان عنوانه الحياه الثقافية في توات والسودان الغربي، بحيث تناولت ذكر الجانب الثقافي للإقليمين من مدارس، زوايا، مساجد وعلماء حتى يتضح لنا الأثر الكبير للعمل التجاري والحركة الثقافية في تحويل أرض السودان الغربي إلى إقليم إسلامي.

وقد أنهيت العمل بخاتمة مدعمة بالنتائج المحصل عليها والتي ربطت الإقليمين ثقافيا وتاريخيا وبذلك فقد نجحت الرحلة التجارية في تحقيق أهدافها المعنوية بعد أهدافها المادية، حيث أوصلت القوافل العلماء، الفقهاء، الزهاد، الطلاب، كما نقلت الكتب والدواوين، فكانت وسيلة اتصال أكثر منها حركة للتجارة والبيع والشراء.

وفي هذا الصدد اعتمدت منهجا تاريخيا حمل في طياته المنهج الاستقرائي بحكم نوع البحث الذي يعالج طابع العلاقات بين إقليم توات والسودان الغربي، فيدفعك لاستقراء تلك الروابط من خلال الأحداث التاريخية والوقائع المدونة في نفائس الكتب، والتدقيق فيها حيث تتطلب منك تلك

العملية تركيز واستجماع للقوى حتى تتمكن من استقراء الأحداث المنقولة في المصادر واستخلاص ما يمكن أن يفيدك في البحث.

وكأي بحث علمي فإن العمل تشوبه بعض الصعوبات إذا تم تذليلها وصلت إلى تحقيق نسبة كبيرة من الخطة التي انتهجتها، أما إذا فشلت في ذلك فقد تعثرت في إتمام العملية، وبالنسبة لي فقد تمثلت الصعوبة في جمع المادة التي تكفي لتحرير متن الموضوع.

وكما نعلم أن المصادر المتخصصة في موضوع العلاقات سواء أكانت ثقافية أو سياسية وكذا اقتصادية فهي تكاد تكون منعدمة، وما علينا سوى قراءة ما بين السطور في المصادر التي تتناول الفترة الوسيطة، وتتناول أيضا المكان المعني بالدراسة، حتى يتسنى لنا إيضاح سمة العلاقة الكائنة بين الإقليمين.

ولخوض غمار هذا البحث استجمعت ما يمكن استجماعه من المصادر التاريخية الخاصة بالعصر الوسيط والمتخصصة بشؤون المغرب الإسلامي، وقد كانت كوكبة مشكلة من كتب التاريخ العام و الكتب الخاصة بالسودان الغربي ككتاب "تاريخ الفتاش" لمحمود كعت، كتاب "تاريخ السودان" لعبد الرحمن السعدي وكتاب "نيل الابتهاج" لصاحبه أحمد بابا التمبكتي، اعتمدت أيضا على كتب الجغرافيا و الرحلات لابن بطوطة، حسن الوزان، الإدريسي وكتاب البكري أبو عبيد الله، إضافة للمصادر كان لا بد من الاعتماد على المراجع العربية خاصة والتي تعتبر ترجمة وتحليل مبسط لما ورد في المصادر فلا أنكر أن كتاب محمود فرج وعبد القادر زبادية كانا بمثابة المصباح الذي أنار طريق هذا العمل.

دون أن أنسى ذكر اعتمادي على بعض المقالات والرسائل التي أفادتني جم الإفادة كرسالة الدكتور مبخوت بودواية والموسومة بـــ"العلاقات الثقافية والتجارية بن المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان"، ثم رسالة الماجستير لصاحبها الدكتور أحمد لحمدي والموسومة بـــ"محمد عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات – عصره وأثاره".

دراسة المصادر:

إن دراسة مصادر العصر الوسيط أوفر حظا عن غيرهم، لكن المواضيع التي تتناول محور العلاقات بكل صورها السياسية والاقتصادية والثقافية بين الدول والأقاليم لتحتاج كثير العناء والبحث والتنقيب بين صفحات تلك النفائس حتى تتجلى سمة الروابط وطابع تلك العلاقات، حيث يلتحق موضوع الرحلة التجارية بين إقليم توات وبلاد السودان الغربي بين القرنين السابع والعاشر هجريين ودورها في تمتين الروابط الثقافية بركب الدراسات المتخصصة بمحور العلاقات، الذي يتطلب جمعها جهدا وتركيزا معتبرين من المصادر المغربية ومن دواوين علماء بلاد السودان الغربي، وحتى بين تآليف الكتب المشرقية، والتي تتصنف إلى كتب عامة وتراجم وكتب جغرافيا ورحلات. إضافة لهذه النفائس تنوعت المراجع بين الكتب العربية والمترجمة والدراسات الأكاديمية والمقالات.

أولا: المصادر العامة

1 – كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لصاحبه عبد الرحمن بن خلدون بجزأيه السادس والسابع، وهو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولي الدين التونسي الحضرمي، الإشبيلي المالكي، كني بهذه الألقاب لأنه من أصل يمني، ولد بتونس سنة 732هـ/1332م، توفي بالقاهرة في 25 رمضان 808هـ/17 مارس 1406م.

يعتبر كتابه هذا من أهم المصادر التاريخية بشهادة العارفين والدارسين، كون ابن خلدون تميز عن معاصريه بملكة المؤرخ الموهوب الممحص التي جعلته يكتب التاريخ ولا ينقله فقط وأن الحدث التاريخي يتعدى أن يكون حدثا سياسيا فقط، بل هو تفاعل للعوامل السياسية والاقتصادية

والاجتماعية وحتى الجغرافية، فقد وصف البعض كتابة ابن خلدون بفلسفة التاريخ لأنه تجاوز وصف الملوك والسلاطين وكتب عن الأمم والشعوب.

وفي ذكر بلاد السودان يتحدث في الجزء السادس عن غانة وكيف تغلب الملثمون عليها وفرضوا السيطرة هناك، وعن مالي وأهلها وكيف برزوا على حساب غيرهم.

وقد اعتمد ابن خلدون في تصنيف معلوماته على أهل البلاد أنفسهم والذين زاروا السودان أو بعض أقاليمه، فقد اعتمد على الشيخ عثمان فقيه غانة والقاضي أبو عبد الله محمد بن واسنول.

2 – كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" لصاحبه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي(ت:821 هـ/1418م)، ولد بقلقشندة بمصر، وهو من أصل عربي من قبيلة بدر من فزارة سنة 756هـ/1355م، التحق بديوان الإنشاء سنة 791هـ.

اعتبر كتابه دائرة معارف في التاريخ والأدب وعلم الاجتماع والجغرافيا، لذلك يصنف ضمن الكتب العامة، معتمدا على العمري وابن خلدون، وقد اعتمد في كتابه الجزء المخصص لممالك السودان الغربي على كتاب "التعريف بالمصطلح الشريف"، و"مسالك الأبصار" للعمري، وكتاب "العبر" لابن خلدون، و"تقويم البلدان" لابن الفدا.

3 – كتاب "المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب"، مقتطف من المسالك والممالك، لصاحبه أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت:487هـ/1094م).

هذا الكتاب رغم أن صاحبه يسبق الفترة المراد دراستها إلا أن معلومات الكتاب هامة خاصة منها التاريخية، ولو أن كتاب البكري كتابا جغرافيا إلا أن ما ورد فيه يؤهله بالدرجة الأولى إلى الكتب التاريخية العامة.

وهو أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد، من مواليد قرطبة سنة 432هـ/1040م، يرتفع نسبه إلى قبيلة بكر بن وائل من عائلة شريفة بلغت الإمارة.

ويعتبر الفصل الخاص بالسودان الغربي ومدنها واتصال بعضها ببعض، والطرق الموصلة إليها والمسافات الفاصلة بينها ومن أهم ما كتب عن السودان، بل في الكثير من الأحيان أصبح المصدر الأول في نقل الأحداث والمعلومات.

فقد تكلم عن غانة ومالي (مُلّي)، وعن المعتقدات والديانات، عن العجائب والغرائب، عن ذهب غانة وعن المكوس التي يتقاضاها ملك غانة على التجارة، عن كيفية التبايع بالطريقة الصامتة، عن دخول الإسلام على تلك المدن في منتصف القرن الخامس هجري.

فقد كتب كتابه سنة 460هـ/1068م، وقد ذكر بعض المدن التي اعتبرت أبوابا للسودان كزويلة، غدامس، سجلماسة، أوداغشت، وعن قبائل لمتونة، وجدالة، فيرسم لنا صورة واضحة عن الصحراء الموصلة بين بلاد الغرب وبلاد السودان.

4 – كتاب "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس" لصاحبه محمود كعت بن الحاج المتوكل من أصل وعكري، سننكي، سكن تمبوكتو، ولد سنة 871هـ/1468م، لا توجد معلومات كثيرة تترجم له خلاف ما استقيت من كتابه نفسه حين يذكرها في معرض الكلام.

بدأ القاضي أوالفع محمود كعت في تأليفه كتابه سنة 925 هـ/1519م، وقد اعتبر هذا الكتاب تأريخا لملكة سنغاي في عصر الأساقي، فقد بدأه في عهد الحاج محمد أسيقيا إلى أن كتب عن الغزو المراكشي في عهد الأسيقيا إسحاق (999هـ/1591م)، وقد كان شاهد عيان حيث شهد أحداثها وشارك فيها، ويبدو أن القاضي كعت عمَّر كثيرا، حيث توفي سنة 1002هـ/1593م، لكن الكتاب شمل أحداثا بعد تاريخ وفاته، وهذا الذي يؤكده المؤرخ فلافوس، ويشير أن الكتاب أكمل تحريره من قبل أحفاده.

5 – كتاب "تاريخ السودان" لصاحبه عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي – السعيدي – نسبة لقبيلة بني سعد، أو إلى الأمراء السعديين – حكام مراكش – ولد سنة 1004هـ/28 مايو 1596م.

تقلد وظائف عديدة في دولة سن علي، وكان نائب إمام في مسجد سنكري، ثم أصبح إماما له بعد وفات شيخه الإمام محمد بن محمد بن أحمد الخليل سنة 1036هـ/1227م.

والكتاب الذي عنوانه "تاريخ السودان" ما هو في الحقيقة إلا تأريخا لجزء من هذه البلاد، فقد صب اهتمامه فقط بتمبوكتو، بحيث يتكلم الكتاب عن سلسلة من الحكام في السودان الغربي من سني علي إلى الأسقيا محمد وإخوته، بحيث يصدر أحكامه الخاصة على كل حاكم من خلال معايشة لهؤلاء السلاطين.

فقد ذكر الكثير من المواقف كما يذكر انه اعتمد على بعض الكتب ككتاب "الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية".

وعموما فكتاب السعدي واضح لا يكتنفه الغموض بالمقارنة مع المصادر التي سبقته ويذهب البعض إلى التقليل من شأن مستوى أسلوب السعدي بحيث يدخل ويقحم ألفاظ دارجة في السرد، وعموما يعد كتاب السعدي من أهم المصادر السودانية التي يتحتم علينا قراءتها.

ثانيا: كتب الجغرافيا والرحلات

يمكن تصنيف هذه الكتب ضمن أساسيات المصادر لما تكتسيه من أهمية، حيث يعد أصحابها شواهد عيان عن الأحداث الواقعة والأحوال الاجتماعية وتنوع الأقاليم والبلدان، فلا يمكن فصل كتب الجغرافيا عن أدب الرحلة، وأهمية هذه الكتب أنها تكمل كتب التاريخ، فهي تذكر بعض الأحداث التاريخية وتصف الأحوال الطبيعية والبيئية، وعن بعض عادات الأمم والشعوب وتقاليدها.

1 – كتاب"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للشريف الإدريسي، وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس، ولد بمدينة سبتة عام 493هـ/1100م، وهو حفيد إدريس الثاني الحمودي أمير "سالة"، درس في قرطبة، تميز بحبه للسفر منذ سن مبكر، زار صقلية فأحبه الملك "رجار" وعرض عليه تأليف كتاب عن الجغرافيا، فألف كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" وأنهى تأليفه سنة 548 هـ/1154م، خصص في هذا الكتاب جزءا خاصا بالسودان الغربي خاصة في القرن السادس هجري حدثنا فيه عن غانة وأنها أكبر ممالك السودان قطرا وأكثرها خلقا وأوسعها متجرا، تكلم أيضا عن التبر بأرض ونقارة وعن التجارة بين المغرب وبلاد السودان.

2 – كتاب"تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار": كتاب أبي عبد الله حمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، المعروف بابن بطوطة، ولد سنة 17 رجب 703هـ/1403م بمدينة طنجة، وهو كتابه الوحيد، فقد عرف هذا النوع من الأدب بما يسمى الرحلة، والتي تعتمد على المشاهدات العينية وتسجيل المعلومات وليدة التجربة.

دامت رحلته أكثر من ربع قرن جاب فيها المشرق والمغرب، عاد إلى مسقط رأسه وواكب السلطان أبي عنان أواخر شعبان عام 750هـ/1349م، زار بلاد السودان الغربي بأمر من أبي عنان، فمرّ بسجلماسة فوصفها وزار إقليم توات، فذكرها وركز في هذه الرحلة وتحدث على سلطان مالي منسى سليمان، وعن حكمه ورفعه للمظالم في البلاد، وعن طرق الضيافة عندهم.

وعن كتابه المذكور لم يكن هو ناسخه بل نسخه الكاتب ابن الجزي الذي صاغ ما رواه ابن بطوطة بصياغة أدبية واضحة دون تغيير، وقد انتهى من تصنيفه عام 756هـ/1355م.

3 – كتاب "وصف إفريقيا" لصاحبه الحسن الوزان الزياني الغرناطي، وبعد سقوط غرناطة 1492م وطرد المسلمين لجأت عائلته إلى فاس فاحتلت مكانة هامة، صحبه عمه في رحلة دبلوماسية سنة 1511م وسنه لا يتجاوز السابعة عشر إلى تمبوكتو، لذلك نقل أشياء كثيرة عن هذه الإمارة وبلاد السودان.

أسر الحسن الوزان في مدينة "جربة" من قبل القرصان الصقلي "بيترو" وقدمه هدية للبابا ليون العاشر، فأحسن استقباله ودفعه لاعتناق المسيحية.

عاش هناك فترة لا بأس بها تحت إسم "جيوفاني ليون"، ثم عرف بليون الإفريقي، وكان مدرسا للغة العربية ببولونيا، وقد ألف مجمعا للغة العربية، العبرية، واللاتينية، لكنه تمكن من الفرار والعودة إلى بلاده ودينه سنة 930هـ/1524م.

انتهى ليون الإفريقي من كتابه "وصف إفريقيا" في روما، تكلم فيه عن المغرب الإسلامي والسودان الغربي ذاكرا المدن، الأماكن، العادات، القبائل، وفي الجزء الخاص بالسودان تكلم عن "ولاتة" أو "إيولاتن" وأهميتها التجارية وعن العادات وطريقة حياتهم، وعن "جني" ومملكة مالي واحترافهم التجارة التي ساهمت في ثرائهم.

ويقول أنهم الأكثر تمدنا والأكثر ذكاءا، الأكثر احتراما من كل السودان، ويتكلم عن دور مدينة "تمبوكتو" ومساجدها، عن تجارة الملح، وعن ذهب "ونقارة".

وقد قام الحسن الوزان برحلتين إلى بلاد السودان، فاعتمد على مشاهداته العينية وعن البكري والمسعودي وابن الرقيق.

ثالثا: كتب الطبقات والتراجم

وهي المصادر التي تهتم بالتاريخ الاجتماعي والحضاري، أكثر من اهتمامها بالتاريخ السياسي، فتأتي الطبقات، والتي تتنوع بين العامة والإقليمية، فتهتم بطبقات المالكية الشافعية والحنفية والحنابلة الصوفية، وطبقات الأطباء والحكماء، الفقهاء والقضاة، وتدعمها كتب التراجم التي تهتم بذكر حياة مشاهير العلماء.

1 – كتاب "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" لأحمد بابا التمبكتي، واسمه الكامل هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت التكروري الصنهاجي السوداني، كما يذكر عبد الرحمن السعدي.

ولد بأروان بتبوكتو في 21 ذي الحجة عام 963هـ/26 أكتوبر 1556م، ينحدر من قبيلة بربرية – مسوفة – من أسرة عرف عنها العلم والرياسة، توارثوا القضاء والإمامة والعلم مدة طويلة تقارب القرنين (القرن الخامس عشر والسادس عشر).

لقد عانى الفقيه أحمد من ويلات الغزو المراكشي (1000هـ/1592م) للملك المنصور، والمعانات شملت أسرته بحيث أسروا ونفيوا إلى مراكش ونهبت خزائنهم.

وفي مراكش جلس أحمد بابا على كرسي التدريس مدة طويلة وعرف عنه الحكمة والدراية حيث له ما يزيد عن أربعين مؤلفا في الفقه المالكي وموضوعات أخرى.

ويعتبر كتاب "نيل الإبتهاج بتطريز الديباج" أهم ما وصل إلينا كاملا، وهو معجم لسير الفقهاء المالكية، ذيل هامش كتاب ابن فرحون "الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب" حيث توقف ابن فرحون عند سنة 761هـ، فواصل أحمد بابا في مصنفه لتراجم المالكية ممن ليس في ديباج ابن فرحون، وزاد في بعض التراجم التي كانت موجودة، وهو مرتب بالحروف الأبجدية.

ومن خلال ذكره لعلماء وفقهاء المالكية في بلاد السودان يمكننا أن نستقرأ الحياة الثقافية في تلك البلاد خاصة في تمبكتو.

2 – كتاب "فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور" لأبي عبد الله الطالب بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، ولد عام 1140هـ وتوفي عام 1219هـ، وهو الإمام الحافظ المفسر المحدث، عالم في النحو والبيان، المتصوف المفتي تضلع في العلوم، درس على يد مشايخ كبار كالشيخ أحمد بن عمر بن الوافي المحضري الذي تلقى على يده التوحيد، وعلى يد الشيخ الحسن بن طالب أحمد بن علي دكان البرتلي، والشيخ عمر المحجوبي وغيرهم.

و عن كتاب فتح الشكور فيكتسي أهمية بالغة بحيث يسد بتراجمه فراغا في المكتبة العربية الإسلامية، بحيث يشمل حوالي مائتي ترجمة لعلماء عاشوا في الفترة (1056هـ/1215هـ) الموافق 1650م/1800م.

3 – كتاب "إنفاق الميسور في تاريخ تكرور" من تأليف محمد بن عثمان فودي، ولد محمد بلو سنة 1195هـ/1780م، والده الشيخ عثمان مؤسس دولة الفولاني الإسلامية، والتي دامت أكثر من مائة سنة، وكلمة فودي تعني بلغة الهوسا "الفقيه".

تشبع وتشرب العلم على يد والده وعمه، أحب السفر، وتنقل من مكان لآخر بحثا وطلبا للعلم، عرف بشغفه للثقافة العربية الإسلامية، وإكرامه للعلماء، وبقوة شخصيته وهيبته ووقاره.

وقد ابتدأ الكتاب بالتعريف بلفظ التكرور، فيحدد الإقليم ويصفه ثم يذكر أصل سكانه، ويواصل ليضع ترجمة لوالده عثمان، ثم يسرد ترجمة أشهر العلماء وينتهي الكتاب بخاتمة بعد أن يذكر مؤلفات أبيه وذكر أبنائه ووزرائه، وهو بذلك يعطي فكرة عن التنظيم السياسي لبلاد السودان.

الزهراء بوكرابيلة

06 جوان 1431/2010هـ

مدخل

قال الله تعالى:

﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

الآية 104 من سورة آل عمران

انتشر الإسلام في بلاد المغرب الإسلامي بسرعة مع انتشار القوات العربية الفاتحة، على عكس دخول الإسلام في بلاد السودان الغربي، فقد اعتمدت هده العملية سبلا كثيرة معظمها سلمية طبقا لما ذكر في المصادر الأولى[1].

و قد جاءت عملية انتشار الإسلام في غرب إفريقيا- السودان الغربي- تكملة للفتوحات الإسلامية السابقة في كل من مصر و بلاد المغرب، ففي الوقت الذي اعتمدت فيه هذه العملية على العامل العسكري، اتخذ الفتح في السودان الغربي سبيل الدعاة والتجار والطرق الصوفية . إضافة إلى الفتح العسكري[2].

فقد اتخذ الدعاة على عاتقهم فكرة نشر الإسلام قبل أن يفكر الفاتحون في الأمر، وإن كان صاحب السلاح صانع للتغيير بالقوة فإنّ الراعي يصنع التغيير في النفوس بالكلمة والمعاملة الطيبة واضعا نصب أعينه فضل ثواب الله عز و جل[3] . فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبيّ صلوات الله عليه قال لعلي رضي الله عنه: "**فوالله لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**"، و عن هريرة رضي الله عنه قال[4]:

---

[1] نبيلة، حسن محمد، **في تاريخ الحضارة الإسلامية** ، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ص 265.

[2] محمد، فاضل علي باري، سعد كريدية، **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ و حضارة**، ط1، بيروت : دار الكتب العلمية، 2007، ص 37.

[3] **نفسه**، ص ص 37.38.

[4] أخرجه مسلم في كتاب " **العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة**، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1985، ص 4831.

قال رسول الله صلى الله عليـــه و سلم:" **من دعا إلى الهدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهـــم شيئا.**"[1]

فقد كان إهتمامهم الأول هو الدعوة إلى الدين الحنيف متحملين المتاعب و عناء الطريق جاعلين من أنفسهم قدوة حسنة للمسلمين[2]، حتى يتأتى لهم نقل صورة الإسلام و المسلمين إلى تلك الأمصار الوثنية.

فاهتموا بالسلوك الطيب لجلب الناس إلى الدين، سالكين قول الله تعالى: «**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.**"[3]

وقوله تعالى: " **أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.**"[4] ثم بعد ذلك تطورت عملية الدعوة بعد أن تعاون الداعي مع التاجر على بذل الجهد في سبيل إعلاء كلمة الحق ، فإن كان الداعي همه الأول إعلاء كلمة لا إله إلا الله فإن هم التاجر دار الدنيا والآخرة ومن صلح دينه صلحت دنياه، فكلما وصل التاجر المسلم إلى ديار لا تدين بدين الإسلام أجاد في معاملته معهم فباع ما استطاع وبث في نفوسهم الأثر الطيب الذي يبعث فيهم روح الطمأنينة الموجودة في

---

[1] أخرجه مسلم في كتاب " العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ط1، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، 1985، ص4831.

[2] إسماعيل العربي، **حاضر الدول الإسلامية في القارة الإريقية**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984،ص 342.

[3] **سورة آل عمران ، الآية[104]**

[4] **سورة النحل ، الآية [125]**

الإسلام [1]، لذلك فكثيرا ما نجد قوافل التجارة محملة مطعمة بالدعاة والفقهاء لأجل ترسيخ أصول الدين في نفوس من تأثر بالتاجر الناسك المتعبد[2].

إن للتجار المسلمين الدور الجليل في إيصال الدين الإسلامي الحنيف إلى ما وراء الصحراء ، فقد نجح التاجر الممتلئ قلبه بالسماحة والصفاء حين طبق تعاليم الدين في تجارته[3] ، حيث لا يأكلون أموال الغير بالباطل ، ويوفون الكيل في الميزان ولا يردون السائلين وينفقون على المحتاجين فكتسبوا ثقة الأفارقة ، كما لفت أنظار سكان أهل السودان كثرة صلاتهم وعبادتهم —التجار– فأضفوا على أنفسهم الهيبة والوقار .فالقو في نفوس أهل البلاد روح الإقتداء والتقليد[4].

وبعد أن نجح كل من الداعي والتاجر في نشر فكرة الإسلام إلى غرب إفريقيا ، إنتقل كليهما إلى مرحلة التنفيذ، فبدأ التاجر يساهم بأمواله في بناء المساجد والمدارس ونشط الداعي في عملية التعليم والتوعية[5].

---

[1] عطية ، مخزوم ، الفيتوري ، **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء — مرحلة إنتشار الإسلام —** بنغازي : منشورات جامعة قاريونس –1997 ، ص 105

[2] عطية، مخزوم، مرجع سابق، ص 105

[3] محمد فاضل ، إبراهيم كريدية ، مرجع سابق ، ص 39

[4] حسين عيسى ، عبد الطاهر ، **الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني في مطلع القرن الهجري** ، الرياض : جامعة الإمام محمد بن مسعود، 1981 ، ص 79

ينظر أيضا : نعيم ، قداع ، **حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية** ، ط2 ، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1965 ، ص 108

[5] عطية، مخزوم، مرجع سابق، ص 108

إن هذه العملية استوجبت جهودا جبارة وعمل جماعي منظم لذلك ظهرت فكرة الحركات الإصلاحية وحركات التصوف* وبدأت الصحراء المترامية الأطراف تشهد ظهورا لمؤسسات[4] دينية وثقافية وتحولت أمصار الصحراء من مناطق قطاع طرق إلى أمصار أمن وطمأنينة[1].

لذلك أقبل أهل السودان على تلك الحركات بشكل منقطع النظير ، وقد شهد على ذلك الرحالة "جوزيف توسون" قائلا:"... إذا بلغنا غربي إفريقيا و السودان الأوسط نجد الإسلام كجسم قوي فيه روح الحياة و النشاط... فترى الناس يدخل فيه أفواجا وتقبل عليه إقبالا عجيب..."[2].

إذن فقد كانت لتلك الطرق الصوفية أثر بليغ في نشر الدين الإسلامي في السودان الغربي معتمدة على ذاتية الإسلام و ما يختص به من سهولة و يسر، لأنه دين فطرة يستقر في النفوس[3].

لقد قاد رسالة نشر الإسلام مشايخ الطرق الصوفية حتى أن أسماء تلك الطرق تنسبه لهم كالشيخ عبد القادر الجيلاني وأبي الحسن الشاذلي و غيرهم[4].

---

*الصوفية هي حركة دينية إنتشرت في العالم الإسلامي عقب الرخاء الإقتصادي و إتساع الفتوحات كردة فعل لحياة الترف الحضاري، قد إختلف أصحاب الرأي في أصل التسمية فقيل أنها كذلك تسبة لرجل يقال له صوفة و إسمه الغوث إبن مر ظهر في العصر الجاهلي و قال الآخرون أنها إشتقاق من كلمة إلىونانية صوفيا Sophia22أي الحكمة، و قيل نسبة لصوف الذي كان لباس أصحاب تلك الحركات ينظر: محمد فاضل . إبراهيم كريدية، مرجع سابق. ص 41.

[1] عطية، مخزوم، مرجع السابق.ص ص 108. 109.

[2] محمد فتح الله، الزيادي، **إنتشار الإسلام و موقف المستشرقين**، دمشق: دار قتيبة، 1990، ص134.

[3] محمـــد، فاضل، إبراهيم كريدية، المرجع نفسه، ص 40. ينظر: عمار هلال، **الطرق الصوفيـــة و نشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء**، الجزائر: الموسوعة التاريخية للشباب 1984. ص95.

[4] نعيم، قداح، مرجع سابق.ص 119ن ينظر أيضا ،يحي بوعزيز، مرجع سابق ص15.

و المهم في الأمر أن هذه الطرق على إختلاف أسمائها – القادرية التيجانية، الشيخية، الشاذلية...[1]،لعبت دورا رياد يا في عملية نشر الدين و تصحيح تعاليمه خاصة و أن سكان إفريقيا مارسوا عادتهم الوثنية و مزجوها بالقيم الإسلامية، فوضعت الطرق الصوفية شعائرها من حلقات الذكر و الإنشاد و تراتيل دينية موضع إقبال لأهل السودان الغربي ممّا سد حاجتهم وأسكن فراغهم النفسي، حين حاولت –الطرق الصوفية– أن تتلاءم مع أفكار الأفارقة في حدود الشرع معتمدة على مبدأ المرونة[2].

[1] عطية، مخزوم، مرجع السابق.ص 100.

[2] عمار هلال، مرجع سابق، ص ص 95-96.

الفصل الأول

الواقع السياسي والتاريخي لإقليم توات والسودان الغربي

﴿ لقد اجتمع في إقليم توات الإمارة والديانة والرياسة وانتصبت له الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع وكاد لا يستغني عنه غني ولا زاهد لما فيه من الدين والبركات والمنافع والحاجات فهي حقيقة مورد الركبان ومحشر العربان ﴾

قول ابن بابا، حيدة من كتابه "القول البسيط في أخبار تمنطيط"

المبحث الأول: الخلفية التاريخية والجغرافية لإقليم توات

1-أصل تسمية توات:

يعتبر إقليم توات منطقة ضاربة في أعماق التاريخ حيث يرجع تاريخ عمارها إلى ما قبل الإسلام بقرون عديدة، وقد وصفت بأرض الأمان والاستقرار، تمثل خيط الوصل بالنظر إلى موقعه الاستراتيجي بين كبريات المدن الإسلامية في إفريقيا بشهادة العارفين والمؤرخين[1].

وفي التعريف بهذا الإقليم يفرض علينا اختلاف الأراء بين المؤرخين والرحالة حول التسمية التوقف عند ذلك الجدل و التباين الكبيرين في معرض المصادر و بين آراء المؤرخين أهمهم السعدي ابن خلدون* الرصاع، اليعقوبي، ابن بطوطة البكري، الادريسي، ابن حرقل**، العياشي و الوزان*** و غيرهم كثير[2].

أما السعدي فينسب تسمية الإقليم إلى أصل تكروري يتبين ذلك في كتابه « تاريخ السودان » منسبا معنى الإسم إلى مرض الرجل الذي أصيب به السلطان كنكي موسى مع كثير من رجاله في تلك الأرض قائلا : "... وعلى موضع توات تخلف هنالك كثير من أصحابه لوجع رجله أصابه في ذلك المشي تسمى توات في كلامهم فانقطعوا بها و توطنوا فيها فسمي الموضع باسم العلة ...."[3].

---

[1] أحمد ، لحمدي، **محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية لتوات عصره و آثاره** ، رسالة ماجستير في التاريخ و الحضارة الأسلامية، جامعة وهران – 1999 – 2000، ص 05.

* ذكرها ابن خلدون في تاريخه المعروف، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1983، مج1، ج1، ص 93، مج6، ج11، ص ص 120-123-133 -206، مج7، ج3، ص 118.

** ذكرها أيضا: ابو القاسم، ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، ليدن، طبعة بريل، 1938، ص 83.

*** وذكرهما الحسن، الوزان في كتابه: وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1983، ج2، ص 133.

[2] أحمد، حمدي، المرجع نفسه، ص ص 05-06.

[3] عبد الرحمان، السعدي،**تاريخ السودان**، تحقيق : هوداس، باريس: مطبعة بردين 1964، ص07.

بينما ينسب الرصاع اسم توات إلى قبيله بربرية تنحدر من بطن القبائل الأمازيغية و هي قبيلة الملثمين حين يقول " ... و الملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب عرفوا بهذا الإسم لأنهم يتلثمون بلثام أزرق و منهم طوائف الطوارق و لمتونة و التوات ..."[1].

ويشير رأي آخر إلى أنّ أصل الكلمة من أصل فعل "واتى" "يواتي" أي يلائم، ويورد رواية لعقبة بن نافع* حينما وصل إلى واد نون ودرعة وسجلماسة ليصل الى توات عام 62 هـ /632 م والتمس نقاط ضعف المنطقة جغرافيا فسأل جنده هل تواتي أو تلائم هذه المنطقة لنفي المجرمين والعصاة من أهل المغرب واجلائهم فاجابوه بنعم توات و تلائم فسرى اسم توات على ألسنتهم مع ضرب من التخفيف[2] في حين اعتبر البعض أن أصل التسمية راجع إلى الأتاوات و المغارم المفروضة على سكان المنطقة من قبل أمراء الموحدين بدءا من سنة 518 هـ - 1124 م وهذا الرأي كان لمحمد بن عبد الكريم التمنطيطي[3].

2-الخلفية الجغرافية لإقليم توات:

إن الدارس لأي منطقة جغرافيا يتحتم عليه دراستها من كل الجوانب سواءا الموقع و المناخ والتضاريس. لذلك يتحتم علينا الأمر نفسه في تحديد موقع توات الجغرافي مع الكشف عن تضاريسها و مناخها.

---

[1] محمد الأنصاري، الرصاع، **فهرست الرصاع**: تونس 1967، ص 127.

* "عقبة بن نافع بن القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الحارث بن عامر بن فهر، القرشي الفهري، هو من قريش ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم ، قبل وفاة النبي بسنة واحد، دخل عقبة المغرب مع ابن خالته عمر بن العاص، و كان في بداية مراحل الشباب، عهد إليه معاوية بن أبي سفيان بولاية إفريقية سنة 50 هـ /670 م وتتركّز ولاية عقبة في حملته التي قام بها في تلك السنة و التي إنتهت بتاسيس عاصمة غربية جديدة لولاية إفريقة و هي مدينة القيروان".ينظر: نبيلة، حسن، محمد، مرجع سابق، ص255.

[2] أحمد الجعفري، **المخطوطات التواتية (ولاية أدرار) و أعلامها في الخزائن و المكتبات الأفريقية** : مجلة الواحات للبحوث و الدراسات: ع : 01 ديسمبر 2006، ص 186

[3] أحمد ، بن يحيى الونشريسي، **المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية و الأندلس و المغرب**. تحقيق: مجموعة من الدكاترة باشراف محمد حجي، بيروت: دار الغرب الأسلامي، د .ت، ج2، ص 2.

عند محاولة تحديد موقع توات الجغرافي تواجهك مسألة تضارب الأراء بين المؤرخين[1] مما يدفعنا إلى ذكر ذلك الاختلاف. فإقليم توات يضم ثلاث مناطق من بينهم منطقة تسمى توات ثم عمّم اسم توات على الإقليم كله الذي يضم أجزاءا صحراوية تابعة جغرافيا للمغرب الأوسط ، إذ يتفرع ليشمل منطقة توات التي تسمى حاليا أدرار* ومنطقة القورارة على حد رأي محمد بن بابا حيدة، ومن منطقة تيكورارين اعتمادا على رأي عبد الرحمن بن خلدون –تيميمون حاليا– أما المنطقة الثالثة فهي المسماة بمنطقة عين صالح أو تيديكلت[2].

و ابن بطوطة يذكر توات حين عودته من مالي إلى المغرب الأقصى سنة 754 هـ ويقصد بها كل المناطق التي تدخل ضمن الإقليم، فيذكر توات قائلا:" ....و قصدت السفر إلى توات و رفعت زاد سبعين ليلة ، إذ لا يوجد الطعام بين تكدا و توات و دخلنا بودة و هي أكبر قصور توات و أرضها رمال و سبخة ..."[3].

أما ابن خلدون فيختصر اسم توات على المناطق المتاخمة لوادي مسعود فقط أي المناطق الغربية من أصل الإقليم[4] كما يورد العياشي تدقيق لحدود المنطقة شمالا

---

[1] أحمد، لحمدي، مرجع سابق ، ص 6 ، ينظر أيضا : محمود ، فرج، المرجع السابق، ص 01.

* أدرار : كلمة بربرية و تعني الجبل ، تشمل أربعة و عشرون قصر منها : تنلان، أدغاغ ملوتة، ميمون – ينظر إلى: محمد بلعالم باي، **الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام و الآثار و المخطوطات والعادات و ما يربط توات من الجهات**، الجزائر : دار هومه ،2000، ج1، ص 11 و ينظر أيضا عبد الله ، البكري، **المغرب في ذكر افريقية و المغرب**، جزء من **المسالك و الممالك** : القاهرة، دار الكتاب الإسلامي،د ت، ص ص 126 – 127.

[2] فرج، محمود فرج، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] ابن بطوطة، **تحفة الأنظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار** ، تحقيق دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980، ص ص 699 – 700.

[4] ابن خلدون، **العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، بيروت، 1962، ج7، ص 117.

بقـــرى تسابيت* و أول قريـــــة منها قريـــة عريان الرأس و يظهـــر ذلـــــــك بقولـــه: "... و دخلنا أول عمالة توات و هي قرى تسابيت و زرنا أول قرية منها قبر الولي الصالح سيدي محمد بن صالح المعروف بعريان الراس ... "[1] وفعلا في هذه المسألة يتفق المؤرخون في تحديد المنطقة شمالا فـــ "تسابيت" هي أعلى منطقة في الأقاليم المحاذية للعرق الغربي الكبير.

وعموما يقع الإقليم في جنوب المغرب الأوسط. وهو جزء لا يتجزء مـــن الصحـــــراء الكبرى، يتحـــــــدد بخطي طـــــول 2.30 ° و 3.30 ° غربا و دائرتي عرض 26.7 ° و 28.5 ° شمالا[2] يحده شمالا العـــرق الغربي الكبيـــر ووادي الســـاورة ومن الجنـــوب وادي " **قاريت** " و هضبة "**مويدرا** " مع صحراء "**تنزروفت**"* التي يشقها عرق شاش[3] أما من الشرق فنجد العرق الشرقي الكبير والمحاذي لـــ " **وادي ماية** " وفي الغرب " **وادي مسعود** " و" **عرق شاش**"[4] تتمركز المناطق الثلاثـــة (قورارة تـــوات وتيديكيلت) حوله هضبة تادميت من الجهة الغربية حيث تأخذ منها مساحة لا بأس بها. كما يحيط بالاقليم أودية كثيرة أهمها الوديان الثلاثة واد المقيدون وادي مسعود** و وادي قاريت مكونـــة سبـــاخ ملحية كسبخة القـــرارة و السبخة

---

* تسابيت : وصف الحسن الوزان قرى تسابيت فقال : "... تسابيت إقليم مأهول في صحراء نوميديا على بعد مائتين وخمسين ميلا شرق سجلماسة و مائة ميل عن الأطلس يضم أربعة قصورأغلبية سكانها فقراء ... " ينظر الحسن، الوزان، مصدر سابق، ج 2، ص ص 133 – 134.

[1] أبو سالم العياشي، **الرحلة العياشية – ماء الموائد**–، تحقيق : محمد حجي المغرب : طبعة حجرية، 1977، ج1، ص 20.

[2] أحمد لحمدي، مرجع سابق ، ص8.

* تنزروفت :هي صحراء حصوية صعبة المسلك لا يمكن للابل ارتيادها ،ينظر : أحمد لحمدي ،المرجع نفسه ،ص8.

[3] مبروك ، المصري، **المدرسة الفقهية التواتية** ، الملتقى الوطني الأول[المذهب المالكي في الجزائر] 2-3 ربيع الأول 1425 هـ / 21 -22 أفريل 2004 م ، ص 98

[4] محمود ، فرج ، المرجع السابق ،ص02

** وادي مسعود : هو امتداد لوادي الساورة، يتكون أصلا من وادي حير مع وادي زوسفانة محاذي لمنطقة توات من الجهة الغربية ، ينظر : فرج محمود، فرج ، المرجع نفسه ، ص02

الجنوبية "مكرغان" و سبخة محاذية لمنطقة توات يصب فيها وادي مسعود هـــي سبخة أزل مانـــــي[1].

وإقليم –توات– يمتد على مسافة ثلاثة آلاف كيلومتر مربع تشمل عدد من الواحات والقصور التي يفوق عددها ثلاث مائة قصر في أدرار لوحدها على ذكر الشيخ بلعالم باي[2] ، و أما في القرن الحادي عشر هجري فكانت عدد القصور مائتي قصر ، يذكر تلك القصور المؤرخ ابن خلدون في معرض كلامه قائلا : "...فمنها على ثلاث مراحل قبيلة سجلماسة ، وتسمـــى وطن توات وفيه قصور متعددة تناهز المائتيـــن أخذت من الغرب إلى الشرق و آخرها من الشرق يسمى تمنطيط و هو بلد مستبحر في العمران ... و من هذه القصور على عشرة مراحل منها قصور تيقورارين ...."[3].

2-1 تضاريس إقليم توات

يقف إقليم توات على أرض تكوينها الجيولوجي ضارب في القدم حيث يبدأ منذ ما قبل الزمن الأول إلى الزمن الرابع مما أكسبها بنية صخرية ساهمت بشكل كبير في التأثير على تنوع المظاهر الطبيعية للمنطقة . ويمكن القول أن توات أرض ذات رواسب فيضية اتسعت غربا و جنوب هضبة تادميت ذات الصخور الكريتاسية وصخورصلبة – تعود للعصر الديفوني الأسفل– المكونة لكتل جبال كرزاز في شمال واد الساورة[4].

---

[1] محمود ، فرج ، المرجع نفسه ،ص02.

[2] محمد، بلعالم باي، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 10.

[3] ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، المصدر السابق ، 118.

[4] محمد، بالعالم باي ، مرجع سابق ، ص ص 27،28.

إن تضاريس الأراضي الصحراوية تختلف عن طبيعة الأراضي في الشمال حيث نجد فيها الرق والعرق، الحمادة و السبخة مع الوديان[1]، هذا هو شأن تضاريس توات التي تلفها العروق الكبرى و الثانوية من ثلاث جهات شرقية ،غربية و شمالية وإن شبّهنا صحراء توات بالبحر فالعروق فيها تمثل الأمواج العاتية حيث يعتبر العرق سطوح واسعة تغطيها كثبان رملية ذات رواسب هوائية؛ فنجد العرق الغربي الكبير في الشمال وعرق الشرقي كبير في الشرق وعرقين ثانويين في الجهـــــــة الغربيـــة ممثلة بعرق الراوي وعرق شاش[2].

و أمّا الرق فهو سهل صحراوي صخري أو منخفض حصوي مثل صحـــــراء تترروفت الحصويـــــة فـــــي جنـــوب الإقليم، ثـــم الحمـــادة و الممثلة في هضبة تادميت التي تعتبر مرتفع صخري تغطيها صخور جيرية على شكل طبقات من الصفائح[3]، يرتفع علوها ستمائـــــة متـــــر و الممتدة بين دائرتي عـــــرض 27° و 30° شمـــالا[4].

تأتي السبخات الملحية في توات كمصب للوديان الثلاثة ، كلٌ على حدى، فوادي مقيدون ينتهي بسبخة قورارة ثم وادي مسعود ينتهي بسبخة محاذية لرقان تسمى سبخة أزل ماني و وادي قاريت الذي ينتهي بسبخة مكرغان[5].

---

[1] حاج أحمد ، الصديق ، **التاريخ الثقافي لاقليم توات**، ط1 ، أدرار : مديرية الثقافة لولاية أدرار، 2003، ص و ينظر أيضا:عبد الله ، كروم، **الرحلات باقليـــم توات دراسة تاريخيـــة وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات**، الجزائر: دار النشر دحلب، 2007، ص23.

[2] صالح، بوسليم، **المؤسســات الثقافية باقــليم تــوات – دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلــية أثنــاء القرنيــن 12 هــ و 13هــ /18م و 19م**، رسالة دكتوراه فـــي التاريخ الحديـــث و المعاصر ، كلية الأداب و العلوم لانسانية والاجتماعية ، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بالعباس ، 2007-2008 ، ص ص 34 ، 35.

[3] محمد ، بالعالم باي ، المرجع السابق ، ص 29.

[4] صالح ، بوسليم ، مرجع نفسه ، ص 32.

[5] فرج ، محمود فرج ، مرجع سابق ، ص 02.

2-2 المناخ:

إن تنوع الخلفية الجغرافية لإقليم توات من حيث التضاريس والبنية الصخرية للأرض مع الإنتماء للصحراء الكبرى ستؤثر تماما على طبيعة المناخ[1]، فالمناخ الصحراوي يتميز عامة بالصعوبة والقساوة يتّضح ذلك في الفارق الكبير بين درجة الحرارة القصوى و الدنيا حيث ترتفع درجة الحرارة إلى خمسين درجـــة و تنخفض إلى عشرين درجة تحت الصفر[2]. ممّا يؤكد عدم استقرار المناخ الصحراوي عامة ولمناخ إقليم توات خاصة بحيث تختصر الفصول الأربعة إلـــى فصلين اثنين صيف حار وجاف وفصل شتاء بارد جـــــدا،[3] وليس عامل الحرارة فقط المؤثرة على طبيعة المنطقة بل هناك عامل الرياح الذي يهدّد أرض توات و يغير من ملامحها الطبيعية ، فسرعة الرياح الصحراوية العكسية تصل إلى أعاصير قد تنقل الجبال الرملية أو ما يسمى العـــــرق و تعـــرّي السطوح مـــن غطائهـــا و تجعلها مناطق غير مأهولة تصبح على شكل صحاري حصوية تملؤها صخور مهشمة بفعل الرياح[4]، و تلك الرياح القوية تسمى السيروكو –siroco - و هي الرياح الجنوبية الشرقية ممّا يدفع سكان المنطقة إلى محاربة هذه الظاهرة بانشاء سدود يدوية اعتمادا على جريد النخيل ومع مرورالزمن تصبح حواجز لوقف زحف الرمال تسملى في توات بـــ– أفراك*[5].

أما مستوى التساقط فضئيل جدا حيث لا يتعدى 200 مم^3 لأن الطبيعة الصحراوية للأرض و المناخ الحار يجعل الإقليم أرض جافة تقل أمطـــــارها و حتى إن سقطت الأمطار تتبخر من شدة الحرارة قبل أن تصل إلى الأرض و حتى لو سقطت امتصتها رمال الصحراء العطشـــــى

---

[1] صالح، بوسليم ، المرجع السابق، ص 34.

[2] اسماعيل، العربي، **الصحراء الكبرى و شواطئها**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص 1.

[3] (ـــــــ) ، المرجع السابق، ص ص 15 ، 19 ، ينظرأيضا : لـــصالح ، بوسليم ، المرجع السابق، ص 34.

[4] عبد الله ، كروم ، مرجع سابق ،ص 25 ، و ينظر أيضا : اسماعيل العربي ، المرجع نفسه ، ص ص 18 ، 19.

* أفراك : هي سياج أو حواجز يدوية بلغة الأمازيغ و لا تزال هذه المنطقة الى اليوم جنوب أدرار حاليا . ينظر : أحمد ، لحمدي ، المرجع السابق، ص9.

[5] أحمد ، لحمدي ، المرجع نفسه ، ص 9.

وضاعفت بذلك من صعوبة هذه المنطقة . و قد يصف ابن سعيد المغربي (ت 685 هـ) وضع الصحراء القاسي قائلا :" ...إن رياح الصحراء التي تمتد بين غانة وسجلماسة تجفف حتى المياه التي يجمعها المسافرون في قربهم ..."[1]

والأمطار في توات متقطعة يسبقها رعد و برق تتسبب في فياضانات تغذّي الوديان بالمياه الجوفية والتي تعتبر مصدر الطاقة المائية هناك حيث تملأ الآبار و الفقارات* و السبخات[2].

أما السبخات فمياهها متجمعة و راكدة مالحة حتى و لو غذتها مياه الأمطار و قد جرّب أهل توات حفر آبار بالمحاذاة مع السبخات لكن كانت مياهها غير صالحة للإستعمال الإنساني.[3] أما الآبار فمعظمها عذبة توجد في دواخل مدن توات، تسمى الفقارات و قد ذكرها ابن خلدون و تحدث عن الفقارات وطريقة انجازها قائلا: " ... و في هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق الغربي في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلول المغرب ، وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة الهوى، و تطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة، فتحت بالمعاول و الفؤوس إلى أن يرق جرمها ثم تصعد الفعلة و يقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها عن الماء فينبعث صاعدا فيفعم البئر ثم يجري على وجه الأرض واديا..."[4].

---

[1] اسماعيل، العربي ، المرجع السابق، ص ص 17،18،19.

* الفقارات : يرى الشيخ أحمد بن يوسف بأن أول من حفر الفقاقير بتوات هم عرب وصلوا من مصر في أواخر القرن الثالث هجري (ق 10م)، و تسمى بالشراج في المدينة المنورة.ينظر : أحمد، الحمدي، مرجع سابق، ص 10.

[2] اسماعيل، العربي ، مرجع سابق، ص 23.

[3] محمد، بالعالم باي، مرجع سابق، ص ص 29،30.

[4] عبد الرحمان بن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ط 1 ، بيروت: دار الكتب العلمية ، ج7 1992، ص،ص 68،69.

3-الخلفية التاريخية لإقليم توات:

الذي يميز هذا الإقليم الإنتماء الجغرافي و السياسي الذي اكتنفه بعض الاختلاف حيث سبق و عرفنا أن إقليم توات تابع جغرافيا إلى المغرب الأوسط . بينما شهد فترات لا بأس بها في العصر الوسيط اتباعا في حكمه السياسي للمغرب الأقصى من الدولة الموحدية إلى المرابطين إذن سنحاول فك خيوط الخلفية التاريخية للإقليم الذي يظم الكثير من المحاور.

والدراسة التاريخية تعتمد على دراسة جغرافية ثم الفئة البشرية التي استقرت بذلك الإقليم وأخيرا دراسة لطبيعة الحكم.

و فعلا تكوّن الإقليم من تركيبة سكانية مشكلة من أجناس مختلفة أغلبها وافدة إليه، وهم يهود عرب قادمين من الشمال والشرق ثم عبيد وزنوج مـــن الجنوب[1] فتولّد عن التقاء العرب والعبيد عنصر بشري جديد سمي بالحرثانـــي*، أما سكان المنطقة الأصليون فهم عنصر البربر[2].

والبربر هم الأمازيغ الذين عمّروا بلاد المغرب القديم في شمال إفريقيا ثم نزحوا إلى الصحراء نظرا لتطورات الوضع السياسي للمنطقة مع اضطهاد الرومان والوندال والبيزنطيين[3]. نخص بالذكر قبائل زناتة من البربر، هذا البطن الذي ضمّ أفخاذا عديدة منها فخذ مطغر وبني عبد

---

[1] مبخوت، بودواية، **العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي في عهد دولة بنو زيان** ، رسالة دكتوراه في التاريخ، كلية الآداب و العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة تلمسان،2005 – 2006 ، ص 241.

* الحراثين : كلمة مركبة من كلمتين: [حـــر]، [ثانـــي] أي أنه ابن الرجل الحـــر مـــن الجارية، و هي لفظ بربري " أحرضان" الذي يعني الهجين معنى مختلط و هم سمر البشرة الى حد السواد، ينظر أحمد لحمدي، المرجع السابق، ص22.

[2] أحمد، بابا حيدة ، **القـــول البسيـــط فـــي أخبار تمنطيط** ، مصدر سابـــق، ص 14 و ينظرأيظا: أحمد، لحمدي، مرجع نفسه، ص 21 .

[3] مبخوت ، بودواية ، المرجع نفسه، ص242.

الواد وبني مرين مع بني يالدس[1]. و قد استوطنت المكان قبل مجيء الإسلام على يد الفاتحين وقد اعتمد المؤرخون في ذلك على الدراسات الأثرية لنقوش الصخور الموجودة هناك ثم استدلوا على أسماء مناطق وقصور ذلك الإقليم ذات الأصل البربري[2]. وقد شهدت المنطقة صراعا قبليا بين زناتة وصنهاجة.

لقد ورد ذكر قبيلة زناتة في معرض كلام المؤرخين أمثال ابن خلدون والسلاوي والفشتالي وغيرهم حيث يذكر ابن خلدون القبيلة قائلا: "... و كل واحد من هذه القصور وطن منفرد يشتمل على قصور عديدة أكثر سكانها من زناتة، فقد شيدوا الحصون والأطام والأمصار من سجلماسة وقصور توات و تيقورارين و فقيق و وارقلان و بلاد ريغ ... و تسابيت ..."[3].

ثم يؤكد السلاوي فضل القبائل في الرفع من شأن المنطقة حيث شيّدوا القصور وعمّروا الواحات فيقول: " ... اختطت زناتة بالقفر قصورا متعددة مثل توات وبودة وتمنطيط*، و ورقان و تسابيت و تيقورارين، و كل واحدة من هذه وطن منفوذ يشتمل على قصورعديدة ذات نخيل و أنهاروأكثر سكانها من زناتة**..."[4] ثم

---

[1] ابن خلدون ، **كتاب العبر**، المصدر السابق، ج 7، ص 68.

[2] أحمد، لحمدي، المرجع السابق، ص 22.

[3] ابن خلدون ، **كتاب العبر**، المصدر السابق، ج 6، ص **17**.

* تمنطيط : كلمة أمازيغية تعني حاجب العين، و هي اسم لمدينة في اقليم توات بها احتمع العلم و الامارة والرياسة، انتصبت فيها الأسواق و الصنائع، يقبل عليها الأغنياء و الزهادينظر ، ابن بابا ، حيدة : **القول البسيط في أخبار تمنطيط** مصدر سابق، ص ص 13 ، 14.

** زناتة : " ... استقروا في منطقة تيكورارين منذ أقدم العصور، فكانوا يتنقلون بين جبال الزاب و منطقة بسكرة و وادي ريغ ... كانت لهم علاقة مع سكان نزحوا نحو الجنوب فاستقروا بواد أمقيدن ..." مأخوذ من : محمد الصالح حوتية، **توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر و الثالث عشر للهجرة (18 – 19 م) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية** ،الجزائر: دار الكتاب العربي للنشر و التوزيع و الترجمة، 2007، ج1، ص 70.

[4] السلاوي، أبو العباس، **الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى**، تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، د ت، ج3، ص72.

ظهر صراع قبلي بين زناتة و صنهاجة على سلطة المنطقة فانتهى الصراع إلى سيطرة أبو يوسف ابن تشفين لتوات سنة 456 هـ / 1063 م[1] ثم بعد سقوط المرابطين انضمت جماعات كبيرة من قبائل لمتونة الصنهاجية إلى صحراء توات واستقروا بتمنطيط حيث شيدوا القصـــور واغترسوا النخيل، حفروا الفقاقير بالمنطقة خوفا من انخفاض منسوب المياه[2].

تواصل الصراع على المنطقـــة حيث كانت توات قبلـــة المهاجـرين البربر والعرب خلال القرن الخامس الهجري (501 هـ / 1117 م) كما يعتبر قبائل المعقل من بني هلال أول من وفد إلى المنطقة وعموما فالقبائل العربية التي هاجرت إلى توات كثيرة كقبائل أولاد علي بن موسى و قبائل كنتة[3]، رغم أن البعض يؤكد على أن القبائل العربية وفدت إلى توات منذ القرن الثالث الهجري حين مرورهم إلى بلاد السودان قصد التجارة ونشر الاسلام واللغة العربية، فمثلا مجيء قبيلة كنتة* العربية في القرن السابع الهجري كان له الأثر العظيم في اسلام الزنوج في جنوب توات[4].

---

[1] ابن بابا،حيدة، المصدر السابق، ص16.

[2] أحمد ، لحمدي ، المرجع السابق، ص22.

[3] ياسين ، شبايبي ، **الفكر السياسي عند الشيخ المغيلي التلمساني و دعوته الاصلاحية بتوات والسودان الغربي (870هـ-909هـ/1465م – 1503م)** ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ و الحضارة الاسلامية ، وهران ، السنة الجامعية 2006- 2007 ، ص100.

* كنتة : قبيلة عربية تتواجد في الصحراء الكبرى من موريتانيا الحالية الى النيجر ينتسبون الى عقبة بن نافع الفهري لها عدة بطون أهمها : أولاد الوافي ، أولاد سيدي بوبكر، و ينسب اسم كنتة إلى جد القبيلة لأمها محمد بن زم من قبيلة ايدوكال الترقية: مأخوذ من : هبة بن عبد المومن، **الحيـــــاة الاجتماعية باقليـــــم توات خلال القرنين 18 و 19** ، مذكـــرة ماجستير فـــي التاريـــخ و الحضارة الإسلامية بكليـــة العلـــوم الانسانيـــة والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، سنة 2005 -2006، ص 38.

[4] عبد القادر، زبادية،**الحضارة العربية و التأثير الأوربي في افريقيا جنوب الصحراء**، الجزائر، الموسسة الوطنية، 1989، ص39.

أما الزنوج ذوي اللون الأسود الذين أطلق عليهم تسمية العبيد فقد جلبوا إلى أرض توات عن طريق منافذ التجارة السالكة اتجاه جنوب شمال[1].

و قد كان الطلب على هذه الفئة من قبل العرب و البربر القاطنين في توات لاستعمالهم في وظائف تتطلب الجهد و الصبر في مناطق حارة مثل حفر آبار الفقاقير أو بناء القصبات و العمل في الزراعة لذلك لم يخل قصر أو مدينة من هؤلاء العبيد ، و يذكر ذلك ابن بطوطة في رحلته من تكدا الى توات سنة 754 هـ / 1353 م حيث بلغ عدد العبيد المجلوبة ستمائة خادم[2].

ومع مرور الزمن تزاوجت الأجناس الثلاثة و أنجبت جنسا جديدا سمي حرثاني أي حر من الدرجة الثانية و من أصل أب حر سواء عربي أو بربري وأمّ أمة أو جارية. و كان لهم أن يمارسوا الزراعة و رعي المواشي و العمل في الفقاقير لكن شأنهم أكبر من شأن العبيد[3].

وفي ذكر جالية اليهود فقد كانت توات مفتوحة لهجرات هذه الفئة التي يرجع أصل تواجدها لما قبل الفتح الاسلامي ذلك للاضطهاد الذي واجهه اليهود في الأراضي التي لجئوا إليها- من قبل الرومان- أو من تعصب ديني و أيضا لعصيان و تمرد هذه الفئة التي طالما عرفت بالتمرد والإرتداد[4] . و ترجع بعض المصادر أن أصل يهود توات قادمين من يثرب فارين إلى صحاري إفريقيا[5]. كما يجمع الكثيرأن اليهود كانو ثلة قليلة بدأ ظهورها و تجمعها في المنطقة مع القرن الثامن الهجري متخذة مدينة تمنطيط مقرا لاستقرارها[6].

---

[1] أحمد ، لحمدي، مرجع سابق، ص 25.

[2] فرج، محمود، فرج، مرجع سابق، ص ص 34 – 35 .

[3] مبخوت، بودواية، ، مرجع سابق ، ص 240، ينظر أيضا: فوزي ، سعد الله، **يهود الجزائر** ، الجزائر: دار الأمة ، 1996، ص 39.

[4] مبخوت، بودواية ، المرجع نفسه ، ص 240.

[5] أحمد، لحمدي، مرجع سابق، ص 26.

[6] أحمد، بابا حيدة، **القول البسيط في أخبار تمنطيط**، مصدر سابق ، ص35.

فيوجد حوالي ثلاثين قرية يهودية بدءا من تيبلكوزة* إلى تاورير** جنوبا. فتمنطيط لوحدها كان يوجد بها ثلاثمائة و ستين صائغا على حد قول صاحب القول البسيط في أخبار تمنطيط[1]، و قد كان نشاط اليهـــــود في توات التجارة و اعتبرت الفئة الغنية من جموع سكان المنطقة وقد ساعدهم على الاستقرار موقع توات كونه حلقة وصل تجارية بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي . ونظرا لخوف هذه الجالية من معاملة الجماعات التواتية ادعت بعضها اعتناق الاسلام فلقبوا بالمهاجرية[2].

خضعت توات لأغلب دول الغرب الإسلامي بعدما استقام إسلامها خلال فترة فتح الأندلس في القرن الأول الهجري. فكانت أول مرة خارجية المذهب تحت راية بني مدرار*** ثم على المذهب الشيعي على يد الفاطمين ثم تصبح سنية المذهب على مذهب الإمام مالك في ظل حكم دولة المرابطين بعد انتقال الزعامة من قبائل زناتة إلى أهل صنهاجه- في توات- حين تفوّق يوسف بن تاشفين عام 456هـ/ 1063م واستلائه على إقليم توات[3]. لكن الأمر لم يدم على ذلك الحال لتخضع المنطقة للموحدين دون مقاومة على الرغم من وجود أهل لمتونة المرابطة فكان الخضوع متمثل في دفع الإتاوات دون التدخل في شؤون توات الداخلية ،حيث أصبحت تمنطيط عاصمة لتوات[4] .

---

* تيبلكوزة : هي أهم قرى قورارة، تمتد بحوالي 50 م شرقي واد الساورة و جنوب العرق العربي الكبير، ينظر : ياسين الشابي، مرجع سابق، ص 102.

** تاورير : قرية تقع في سالي و رقان، اسم بربري يعني الحجارة المستديرة، ينظر: محمد بلعالم ، مرجع سابق، ج1 ، ص 22.

[1] أحمد، بابا حيدة، **القول البسيط في أخبار تمنطيط**، المصدر السابق، ص 35 .

[2] أحمد، لحمدي، المرجع السابق، ص 28.

*** بنو مدرار : هم ملوك سجلماسة و جدهم " مسكو" بن " واسول" مـــــن تابعي التابعيـــــن و هو من حملة العلم الذين أخذوا على عكرمة مولى ابن عباس، ينظر: عبد الرحمن، الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ط1 ، الجزائر: المطبعة التجارية، 1971، ج1، ص 219 .

[3] عبد الرحيم، محمد الطيب، **القول البسيط في أخبار تمنطيط**،، مصدر نفسه، ص 14.

[4] فرج ، محمد فرج، مرجع سابق ، ص 6.

كان هذا الأمر نقطة ضعف استغلها عرب المعقل وحولوها إلى عامل قوة حكمت بها زمام أمور المنطقة بنوع من الإستقلالية، وما ساهم في سلمية تلك القبيلة إلغاء أمر الضرائب على أهل توات فأصبح بذلك أمر الحل والربط في يد المعاقلة[1].

كان ذلك قبل وصول آل مرين إلى سدّة الحكم في حدود القرن السابع الهجري (668هـ / 1269م) وخضوع توات للدولة المرينية كإقليم تابع لإمارة سجلماسة* منذ سنة (714هـ / 1314 م) جاعلين أمر حكم توات في يد رؤساء قبائلها مع الإكتفاء بدفع الضرائب فأصبحت توات تمثل موردا إقتصاديا هاما للدولة المرينية[2].

وبعد سقوط هذه الدولة وجد أهل توات أنفسهم مرغمين على تسيير شؤونهم بأنفسهم فاحتكموا للشرع وعينوا قاضي يفصل في أمورهم[3]. لكن سرعان ما تدخلت الدولة الوطاسية وارثة بني مرين و أرغمت أهل توات على دفع الضرائب مجدّدا[4] وكانت لهم علاقات طيبة مع الجالية اليهودية لأن مصالحها التجارية في توات كانت تحت يد التجار اليهود، ثمّ بعد الدولة الوطاسية شهدت توات مواجهات خارجية من الدولة السعدية الذين أعطوا إهتماما كبيرا لتافيلات و ضواحيها منذ 1540م إلى حملة المنصور أحمد سنة 1588م لكن كلتا الحملتين باءتا بالفشل وأصبحت منطقة توات تقود نفسها بنفسها اعتمادا على شيوخ قبائلها[5].

---

[1] أحمد، لحمدي ، مرجع سابق، ص 13 ، و ينظر أيضا : ياسين شبايي، مرجع سابق ، ص 97.

* سجلماسة : إقليم يمتد على طول وادي زير، مدينة أسسها بنو مدرار الخوارج أواسط القرن الثاني للهجرة منتصف القرن الثامن ميلادي، تقطنها قبائل بربرية: صنهاجة، هوارة ، كما تعد مدينة أو مركز تجاري هام. ينظر: حسن ، الوزان، المصدر السابق ، ص ص 120، 121.

[2] ياسين ، شبايي، مرجع سابق ،ص 98.

[3] فرج، محمود فرج، المرجع السابق، ص 32.

[4] ياسين ، شبايي ، المرجع نفسه ، ص ص، 98، 99.

[5] صالح ، بوسليم ، المرجع سابق، ص ص، 60،61.

المبحث الثاني: واقع السودان الغربي السياسي و التاريخي

1-دراسة عامة لإقليم السودان الغربي:

يعتبر إقليم السودان الغربي حوض صحراوي احتضن الإسلام في مراحله الأولى بعد دخوله إلى مصر ثم منطقة المغرب الإسلامي ، وقد أطلق هذا الإسم أول مرة من قبل العرب على أديمها الأسود* من جنس البشر منسبين إسم الإقليم إلى سود بشرة سكانها أما فيما يخص تحديد الإقليم بالغربي فلأن هناك أقاليم أخرى تحمل ذات الإسم شرقا و غربا[1].

و يضيف ابن خلدون في مقدمته خاصة في ذكر الإقليمين الأول و الثاني في الجزء المخصص للعمران و ما فيه من تجار و أنهار و أقاليم مؤكدا أنها المنطقة التي ساد فيها السواد والحرو أن اللـــون تابـــــع لمزاج الهـــــواء أي لدرجة الحـــــرارة و برودتها و في ذلك يقول ابن سينا في أرجوزته :

بالزنج حرّ غيرّ الأجســـــاد حتى اكتست الجلـــــود سوادا

والصقلب اكتست البياضا حتى غدت جلودها بضاضـــــا[2]

وأما جغرافيا فتشمل منطقة السودان الغربي كل المناطق التي تقع جنوب الصحراء الكبرى والتي تمتد بين البحر الأحمر شرقا و المحيط الأطلسي غربا[3] و في هذا المعنى يذكر زكريا القزويني (682هـ/1283م) في معرض كلامه : "...هي بلاد كثيرة وأرض واسعـــة ينتهـــــي

---

* وتذكر الروايات في نفائس الكتب أن السود هم أولاد كوش بن حام بن نوح و ان منهم الحبشة و السودان . ينظر : أبو أحمد ،ابن أبي يعقوب ، **تاريخ اليعقوبي** ، بيروت : طبعة دار صادر 1992 ، ص191 ، ينظر ايضا : عبد الرحمن ، بن خلدون ، المقدمة ، ، تحقيق : خالد ،عطار، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر 2001 ، ص98 المسعودي ، **مروج الذهـــب و معادن الجوهر** ، تحقق : محمد محي الدين ، د م : مطبعة التجارية ، 1958، ج2، ص4 ، زكريا ، القزوينـــــي ، **آثار العبـــــاد و أخبار البلاد** بيروت: دار صادر ،1969، ص22.

[1] محمود، شاكر، **مواطن الشعوب الاسلامية في إفريقيا،السودان** ، ط2 ، بيروت : المكتب الاسلامي ، 1401هـ/1981م، ص09.

[2] ابن ، خلدون ، المصدر نفسه ، ص99.

[3] محمد فاضل ،ابراهيم ،كريدية ، مرجع سابق ، ص ص ، 19،20.

شمالـــها إلـــى أرض البربـــر ، و جنوبـــها إلـــى البراري ، و شرقـــها إلـــى الحبشة وغربها إلى البحر المحيط..."[1] و يوافقـه أبو عبيد البكري (ت 487هـ) في رأيه، كما يجمع المؤرخون على تقسيم السودان إلى ثلاث أقاليم إذ حصـــرنا هـــذه التسميـــة فـــي المنطقة الممتـــدة من البحر الأحمر والمحيط الهندي شرقا إلى البحر المحيط – البحر الأطلسي – غربا[2].

أما القسم الأول فهو السودان الشرقي الذي يضم مناطق واد النيل وروافده جنوب النوبة* والمعروف عند العرب بالزنج[3].

ب- السودان الأوسط : يضم حوض بحيرة تشاد و المناطق المحيطة بافريقيا الوسطى.

ج- السودان الغربي و الذي يشمل بمفهومه الأقاليـم التاليـة: موريطانيـــا و مالي والسنغال، قامبيا وغينيا، بوركينافاس، الطوغو، البنين، نيجيريا كامرون الغابون والكونغو[4].

أما الحدود الجغرافية للسودان الغربي فتبدأ من شمال الصحراء الكبـرى وجنوب خليج غينيا وأما شرقا فالكمرون وخليج التشاد[5]، وأخيرا في الغرب نجد المحيط الأطلسي حيث تقـع أراضي غرب إفريقيـا ما بيـن خطي العرض 4° و16° شمال خط الإستواء و 13°

---

[1] القزويني ، **آثار العباد و أخبار البلاد** ، بيروت: دار صادر ،1969، ص22.

[2] هارون ، المهدي ميغا ، **إمراطورية سنغاي : دراسة تحليلية في الترتيب التاريخي للامبراطوريات الإسلامية في غرب إفريقيا**، مجلة دراسات ، إفريقية، مركز الدراسات الإفريقية، ع : 37، د ت، ص 4.

* النوبة : تعني بلاد الذهب عند قدماء مصر ، عاصمتها مدينة دنقلة العجوز التي فتحت نهائيا على يد السلطان ابن قلاوون سنة 1318م، يرجع: محمود، شاكر، مرجع سابق،ص، ص 11،12. يذكرها البلاذري قائلا:"... حدثني محمد بن سعد قال ؛ حدثني محمد بن عمر الواقدي عن الوليد بن كثير عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير قال : لما فتح المسلمون مصر بعث عمر بن العاص إلى القرى التي حولها الخيل ، فبعث عقبة بن نافع الفهري و كان نافع أخا العاص لأمه ، فدخلت خيولهم أرض النوبة كما تدخل صوائق الروم ، فلقي المسلمون في النوبة قتالا شديدا ، رشقوهم بالنبال". ينظر: البلاذري ، فتوح البلدان ، ص151.

[3] يحيى، بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر والعشرين** ، الجزائر : دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، 1996، ص 08.

[4] يحيى ، بوعزيز ، المرجع نفسه، ص09.

[5] محمد فاضل ، ابراهيم كريدية ، مرجع سابق ، ص ص ،19، 20.

و17°غرب غرينتش[1]، لكن في التعريف السياسي للسودان الغربي فهي ما بين الصحراء الكبرى في الشمال و حدود التشاد في الشرق و المحيط الأطلسي في الجهتين الغربية و الجنوبية و جبال الكمرون في الجنوب الشرقي[2]، وتضم هذه المنطقة كل من السنغال و غامبيا وغانا وسيراليون وليبيريا ،ساحل الذهب والداهومي و نيجيريا بحيث تمثل المنطقة الجزء الكبير من إفريقيا ويتكلم سكان هذه المنطقة لهجات مختلفة مثل لهجة النّوي والإيوي واليوربا هذا ما قاله جون فيجي في كتابه عن غرب إفريقيا[3].

حيث استقرت بهذه المنطقة أجناس بشرية تنحدر من جموع قبائل تتكون من عدّة قوميات، يمكننا اعتبار بعضها سكانا أصليين و البعض الآخر وافدين إليها وأهّم تلك القوميات الماندي ، سونرهاي ، الهوسا و الفولاني[4].

و يورد اليعقوبي (282 هـ - 895 هـ) متحدثا عن أولاد كوش بن حام بن نوح قائلا : "... إنهم لما عبروا النيل افترقوا فرقتين، فقصدت فرقة منهم التيمن بين المشرق و المغرب، و هم النوبة، و البحة و الحبشة و الزنج و قصدت فرقة المغرب- أي غرب افريقيا- وهم زغاوة و القافو، المرويون، الكوكو و غانة[5].

كما يورد بعض المؤرخين أصل سكان المنطقة إلى العناصر الحامية الشرقية يدعون بالأسماء التالية البجاة أو الحبشة. يوجد أيضا قبائل نيلية و زنجية و هم المدعوون بالكوش[6]. و أيما تغيرت

---

[1] فيجي ،جي دي ، ، **تاريخ غرب افريقيا** ، ترجمة و تقديم :يوسف نصر ،ط1، اسيوط : دار المعارف ،قسم التاريخ ،كلية الآداب ،1982،ص15.

[2] عطية ،مخزوم ، **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا و جنوب الصحراء – مرحلة انتشار الإسلام** بنغازي : منشورات جامعة قازيونس ، 1997،ص09.

[3] هارون ، المهدي ميغا، مرجع سابق ، ص3 .

[4] عطية، مخزوم، المرجع نفسه، ص 165.

[5] أبو أحمد ، بن أبي يعقوب ، **تاريخ اليعقوبي** ، مصدلر سابق ، ص ص194،193.

[6] محمود ،شليكر ، مرجع سابق، ص10، هارون ،ميغا ، مرجع نفسه،13.

الأسماء فأصول هذه المنطقة غالب عليها اللّون الأسود يلقبون بالزنوج الذين عمروا افريقيا الغربية و هم السكان الأوائل خاصة حين نحدد منطقة الغرب من السودان، يتجلى ذلك في تواجدهم على ساحـــــل غانـــــا و المنطقة الممتدة على نهر السنغال شمالا والمنطقة الساحلية بيـــن نهـــــرالسنغـــال و غامبـــيا، يلقبون بالولـــــوف أو الولف " **Wolf** " والقبيلة الأخرى تلقب بـــ " **السرير**"[1]. أما الولوف فهم الأكثر سوادا بين الزنوج – الأسود الأبنوسي– لهم خاصية قوة البنية الجسدية، بينما السرير فيحملون صفات أكثر خشونة من الولف لكنهم أقل سوادا منهم طوال القامة و أقل بنية جسدية يتمركزون في أعالي النيجر، يتكلمون لغة " الماندينغو " و منهم تفرعت جماعات أسست أهّم الدول في السودان الغربي كجماعة السننكي التي ساعدت في بناء دولة غانا قبل دخول الاسلام إليها. ثم جماعة " مالنكي"، " Malinke" التي أسست دولة مالي القديمة[2].

مملكة غانا

إن دراسة بلاد السودان تستوحي دراسة مفصلة لممالكها ، نقصد بالذكر كل من مملكة غانة ، مالي ومملكة سنغاي ، هذا بعد دراسة الواقع الجغرافي البشري لإقليم السودان الغربي*. وقد اكتنف هذا الموضوع نوع من الغموض من خلال اختلاف آراء العلماء في مسألة الأسبقية التاريخية لتلك المماليك الثلاثة. فبعض الآراء تؤيد رأي أقدمية كل مملكة على حدى ونرفض فكرة ميراث الملك بدءا من غانا إلى مالي ومنها إلى مملكة سنغاي. والرأي الآخر يؤيد

---

[1] علي ، ناجي ، **لمحات عن الاسلام في نيجيريا بين الامس و اليوم** ، الكويت : دار الكتاب الحديث ، د .ت ، ص5 .

[2] جون ، فيجي مرجع سابق، ص **51** ، و ينظر أيضا :علي ، ناجي ، المرجع نفسه ،ص53

و ينظر أيضا: محمد ، فاضل ، مرجع سابق ،ص 12.

* نقصد بالواقع الجغرافي والبشري ما ورد في التعريف العام للسودان الغربي .إرجع للمبحث الثاني من هذا الفصل.

قضية توارث الملك من غانا فمالي ثم مملكة السنغاي[1]، أما نحن فمع رأي الأغلبية المتمثل في الترتيب التاريخي لممالك السودان من غانا إلى مملكة سنغاي[2].

إذن تعتبردولة غانة أقدم دولة في غرب إفريقيا – السودان الغربي – وهي أيضا أول دولة إسلامية هناك خلال القرون الوسطى وحتى نتعرف أكثر على أهّم التفاصيل نعرّج إلى ذكر موقعها ومسألة تسميتها[3]، لقد وردت تسمية غانا -غانة- في العديد من أمّهات الكتب مثلما كتب البكري وياقوت الحموي وابن خلدون وإبن حوقل المسعودي واليعقوبي ،السعدي ومحمود كعت وغيرهم كثير[4].

فمنهم من تحدث عن غانة الإسلامية وذكر أهّم معالمها ومنهم من تحدث عن غانة القديمة التأسيس والوثنية الديانة وكيف حاول الإسلام تغير منهجها ومذهبها، فها هو أبو عبيد البكري يتحدث في معرض كلامه عن غانة القديمة التي تدين الوثنية والمجوسية موضحا أنها لم تكن مسلمة في كامل ترابها حيث هناك مدينتان سهليتان إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون ،وهي مدينة كبيرة فيها إثناعشر مسجدا وفيها فقهاء... وحملة علم ....ومدينة الملك على ستة أميال من هذه المدينة وتسمى بالغية والمساكن بينهما من صلة ومبانيهم بالحجارة وخشب السنط ... وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يغد عليه من المسلمين... وفيها دكاكيرهم* وقبور ملوكهم..."[5] كما يتفق عبد الله الادريسي في وصف موقع غانة على ضفاف نهر النيجر متحدثا بما يلي :" أن مدينة غانة الكبرى مدينتان علي ضفتي البحر الحلو** وهي أكثر بلاد السودان

---

[1] هارون ،مبغا، مرجع سابق، ص4.

[2] عطية ، مخزوم ،مرجع سابق ص234، يرجع أيضا: محمد فاضل ، إبراهيم كردية مرجع سابق ص،**هارون،ميغا**، مرجع سابق ص6.

[3] عطية،مخزوم، الفيتوري، المرجع نفسه، ص23.

[4] نفسه، ص27، محمد فاضل، إبراهيم كريدية، نفس المرجع، ينظر: إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص284.

* الدكاكير:جميع الدكور وتعني الصنم او الوثن ،يذكره البكري في كتابه "المغرب في ذكر إفريقية المغرب"،الجزء الخاص من كتابه المسالك والممالك في أكثر من مقام البكري:المصدر السابق، ص ص275.276.

[5] أبوعبيد البكري ،مصدر نفسه ، ص ص274.275.

** البحر الحلو: يقصد به ماء نهر النيجر العذب ، ينظر : إسماعيل العربي ، مرجع سابق، ص 282.

قطرا وأكثرها خلقا وأوسعها متجرا، وإليها يقصد التجار المياسيرمن جميع البلاد المحيطة بها ومن سائر بلاد المغرب الأقصى أهلها مسلمون وملكها فيما يوصف من ذرية صالح بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[1]..."، يذكر إبن سعيد المغربي في كتابه مدينة غانة على النحو التالي : أنها تقع على ضفتي النهر الذي يحمل إسمها – نيل غانا –* مؤكد النسب الشريف لملكها الذي ينحدر من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنه[2] إذن فغانة هي الدولة الواقعة على ضفاف نهر النيجر جنوب الصحراء وللتأكيد على أمر موقعها الجغرافي، يورد الإدريسي رأيه قائلا: "... أرض غانة تتصل من غربها ببلاد مقزارة ... و من مشرقها ببلاد ونقارة ، وشمالها بأرض الصحراء المتصلة ببلاد السودان وأرض البربر من اللملميـــــة وغيرها . ومن مدينة غانة إلى بلاد و نقارة ثمانية أيام ..."[3]

ويقصد بدولة غانا المنطقة التي تضم كل من موريتانيا والجزء الشرقي من السنيغال ثم بعض الأقاليم الخاضعة لمالي ويمكن تحديد المنطقة غانا بالمنطقة الواقعة بين نهري السنغال والنيجر من القرن الأول الميلادي حتى عام 1240م مؤسسة حضارة عريقة متمثلة في مملكة "أوكارا"[4]، أمّا بخصوص تسميتها بهذا الإسم فيبدو أنه ساد الإتفاق في معظم الكتابات التي تناولت غانا بالدراسة معتمدين في ذلك على رأي البكري في تحديد أصل تسمية غانة والتي تعني القيادة العسكرية حيث شملت المدينة التي وجدت فيها مركز القيادة العسكرية للدولة .

وهذا الذي عرضه البكري في كتابه قائلا:"... وغانة سمة لملوكـــها واسم البلد أوكـــــار واسم ملكهم اليوم وهي سنة ستين و أربع ماية تنكامين وولي سنة خمس و خمسين ..."[5].

---

[1] عبد الله الإدريسي ، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ،مصدر سابق ، ص 38.

* نيل غانة : يقصد به نهر النيجر و في كل الكتابات القديمة تذكر أنهار غرب إفريقيا سواء نهر السنغال أو نهر غانة باسم النيل، ربما لعظم شهرة النيل في القديم. ينظر : إسماعيل العربي ، مصدر سابق ، ص 286.

[2] الإدريسي ، المصدر نفسه ، ص 177.

[3] عطية ، مخزوم ، الفيتوري، المرجع السابق ، ص 233 ، يتفق معه أيضا محمد فاضل، كريدية، مصدر سابق ، ص 59.

[4] البكري ، مصدر سابق، ص 174 ، ينظر: عطية مخزوم ، المرجع نفسه ، ص ص 233 ، 234.

[5] البكري ، مصدر سابق، ص 174 ، ينظر: عطية مخزوم، نفسه ، ص ص 233 234.

و قد سميت ببلاد الذهب، هذا ما اتفق عليه معظم مؤرخي غرب إفريقيا. لماذا ؟

لأنها المنطقة التي احتكمت على مناجم الذهب أو قل أن ذهب غانا على غرار ذهب السودان الغربي كان ينبت كما ينبت العشب.

مملكة مالي:

تعّد دولة مالي من أقوى دول السودان الغربي صيتا في العصور الوسطى بعد أن كانت خاضعة لدولة غانا ردحا من الزمن بين بداية القرن الثاني عشر إلى نهاية الخامس عشر[1] ، فقد أعلنت مالي قيامها على أنقاض مملكة " غانا " و امتد سلطانها إلى شواطئ المحيط الأطلسي غربا و بعض مناطق الصحراء شمالا [2] .

و قد حدد الحسن الوزان مساحتها بثلاثمائة ميل و أنها تمتد على طول أحد فروع النيجر، محدودة بجبال وعرة و غربا غابات مسحورة التي تمتد إلى المحيط و شرقا إلى إقليم كانو[3] بينما يحدثنا القلقشندي عن مساحة مالي قائلا أنها مسافة أربعة أشهر فأكثر و كذلك مثلها طولا[4].

لقد اختلفت الروايات في تحديد أرجاء مالي، لكن المؤكد أن مالي كانت واسعة الامتداد ضمت مناطق جديدة لم تكن تخضع لمملكة غانة و بذلك فقد فتح ملوك مالي أقاليم أخرى ساهمت في اتساع مساحة مالي[5].

---

[1] الحسن، الوزان ، مصدر سابق ، ص 164

[2] الخليل النحوي ، **بلاد شنقيط – المنارة والرباط – عرض للحياة العلمية و الإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)** ، تونس، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، 1987 ، ص18

[3] الحسن الوزان، المصدر نفسه،ص 164

[4] القلقشندى ، **صبح الأعشى في صناعة " الإنشاء "** ، القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة، د ت ، ص 283

[5] عطية، مخزوم، مرجع سابق، ص235

فهي رقعة امتدت من المحيط الأطلسي غربا إلى بلاد "كانم " و"البورنو " و " الهـــــوسا " شرقـــــا و مـــــن غـــــابات السفانـــــا جنوبا إلى الصحراء الكبرى شمالا[1].

و يعود الفضل في ذكر مالي و سائر مناطق السودان الغربي إلى قلة من المؤرخين العرب الذيـــن دوّنوا مشاهـــداتهم ، فيكاد يكون البكري أول المؤلفيـــــــن العرب الذيـــــن ذكروا مالي*، ثم العمري و القلقشنـــــــدى وبعدهما ابن خلدون وابن بطوطة ثم الحســـن الوزان ومـــــن المؤرخين المتأخرين السعـــــــدي عبد الرحمن و محمود كعت[2].

و إذا توقفنا عند مسألة تسمية مالي فهناك اختلاف في أسمائها خاصة عند قبائل الماندي والفولاني و في اللهجات البربرية بما يلي " المالل " "الملل" "المل" و " المليت" و قد سكن مالي قبائل الماندينغ الذين يتفرعون إلى الماندي الشّمالي والجنوبـــي و الماندیكا في وادي النيجر والماندينج " **Manding** " [3] في الجنوب بالإضافة إلى الجالية المسلمة و التي تتنوع بين العرب والبربر[4].

كما تعني كلمـــة مـــالي في اللّغـــة الملانكية المكان الذي يقطـــن فيـــه الملـــك وفي رواية أخرى هي البرنق أو فرس النهر ، و قد اعتبر القلقشندي أول من وضّـــح نطق كلمة مالي في معرض كلامه:"مالي الذي يكـــون بفتح الميـــــم و لام مشدّدة مفخمة و ياء مثناة"[5].

---

[1] عطية، مخزوم، مرجع سابق، ص235

* يقول عنها ابن سعيد إنها الواقعة شرق إقليم كوك وقاعدة مملكة مالي ،ينظر : إبن سعيد ،مصدر سابق ، ص92.

[2] محمد فاضل ، إبراهيم كريدية ، مرجع سابق ، ص 79 و ينظر: إسماعيل ، العربي مرجع سابق ، ص ص 281، 286.

[3] جون ، فيجي ، مرجع سابق ، ص51.

[4] أحمد، لحمدي، مرجع سابق، ص 19.

[5] القلقشندي ،مصدر سابق ، ص 288 .

وقد اشتهرت مالي باسم " **التكرور**"** ساعدت على نشأة هذه المملكة – مالي- الظروف التي هوت بمملكة غانة و يمكننا القول أن أساس الدولة المالية بنيت على أنقاض دولة غانة التي شهدت اضطرابات داخلية ناتجة عن تمرد قبائل الصوصو على غانة فبعد أن فتح المرابطون غانة سنة 1076 و استتب الأمر لهم فيها بدأ ملوك و أمراء غانة في المغالاة في الضرائب أو الجزية على شعب الصوصو في أطراف الدولة و الضغط الداخلي على قبائل الماندي مما دفع بشعب الصوصو إلى لمّ نفسه و توحيد قوته بزعامة "**سوندياتاكايتا** " و أطاح بعاصمة غانة " **كومي صالح**" سنة 1203 م[1].

وبحكم ديمومة الحياة التي تفرض البقاء للأقوى استطاع أحد حكام مالي والمسمى " سونديا تاكيتا " *عام 1235 م من ردع المتمردين[2]، و هو صاحب الفضل في تأسيس الركائز الأولى لمالي[3]، فقد نقل العاصمة إلى "نياني" على شاطئ نهر السانكار وإهتم ببناء الدولة ذات الدعائم حيث ركز اهتمامه بتشجيع الزراعة والصناعة وأعطى عناية كبيرة للتجارة لاسيما تجارة الذهب[4].

وبدأ بعد ذلك حكم المنسي موسى (م**1311-1331م**)- يسميه العرب سلطان التكرور- الذي ترك أثر كبير في بناء الدولة حين وصل بالبلاد إلى درجة عالية بلغت سمعتها الأندلس وأوربا

** تكرور: أطلق هذا الإسم على الإقليم الغربي من الجنوب السوداني، و هو إسم شائع في الحرمين الشريفين ومصر. ينظر: محمد، بن عثمان فودي،**إنفاق الميسور في تاريخ التكرور**، تحقيق : بهيجة الشادلي، الرباط: جامعة محمد الخامس، منشورات معهد الدراسات الإفريقيا،1996، ص 47،.يقول عنها "البرتلي أنها إقليم واسع ممتد شرقا إلى أدغاغ، و مغربا إلى بحر بني زناغية و جنوبا إلى بيط و شمالا إلى أدرار" ينظر: البرتلي، أبي عبد الله، **فتح الشكور في معرفة أعيان و علماء التكرور**، تحقيق: حجي محمد و إبراهيم الكتاني، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981، ص 26.

[1] عطية مخزوم ، الفيتوري ، مرجع سابق ،ص 2

* وقد اختلفت المصادر في إسم هذا الزعيم فيذكره ابن خلدون بإسم "ماريي جاطة" الذي يعني الأمير و الأسد. ينظر: مبحوت ، بودواية ، مرجع سابق ص ص 43-44.

[2] مبحوت ، بودواية ، المرجع نفسه، ص43

[3] ابن خلدون ، **العبر** ، مصدر سابق ،ص413 ، مبحوت ، بودواية ، المرجع نفسه، ص 43

[4] مبحوت، بودواية، المرجع سابق، ص 46

مع المشرق الإسلامي، حيث أصبحت حواضرها مراكز إشعاع ثقافي و اقتصادي[1] وقد عمل المنسى موسى جاهدا على تقريب رعيته منه بالمعاملة والإهتمام مما ساهم في توطيد دعائمه في الحكم و انتقل الحكم من المنسى موسى إلى المنسى سليمان الذي يعتبر آخر السلاطين في عصر القوة والإزدهار لدولة مالي.

و بعده دخلت مالي في عصر الانحطاط و الضعف و اجتمعت أسباب كثيرة لذلك أهمها انشقاق جسد الدولة الواحدة بين القبائل حيث استولى الطوارق* على تمبكتو و جيني، وهجوم قبائل الموسى الوثنية على جنوب مالي و قبائل الولوف على الغرب و قبائل سنغاي من الشرق مع تسلط و استبداد كبار الموظفين على السلطة، الأمر الذي أثقل كاهل الدولة وأدى إلى انقراضها ليبدأ عهد و حكم جديدين في السودان الغربي بقيادة سينغاي.[2]

مملكة سنغاي

تأتي سنغاي كثالث حلقة في تاريخ السودان الغربي، إذ يمكن القول أنها آخر وريث لعرش الحكم و القوة في غرب إفريقيا[3] وللتعريف بهذا الإقليم علينا أن ننوه أن كلمة سنغاي في الكتب نجدها بالسين أو بالصاد.[4] إن ما يخص تسمية المملكة فقد تطرق اليها الدكتور هارون ميغا في مقال له وتعرض إليها بالتفصيل.

---

[1] عبد الرحمن، السعدي، مصدر سابق، ص 32

* الطوارق يذكرهم السعدي في كتابه **تاريخ السودان** قائلا أنهم من قبائل المسوفة من صنهاجية يرفعون نسبهم إلى قبائل حمير وهم الملثمون ، ينظر عبد الرحمن، السعدي ، **تاريخ السودان** ، مصدر نفسه، ص 25 .

[2] جون، فيري،المرجع السابق، ص 53 ،ينظر أيضا: عبد القادر، زبادية، مرجع سابق، ص14.

[3] محمد ، فاضل، إبراهيم ، كريدية، مرجع سابق ، ص 109 ،ينظر أيضا: عطية ، مخزوم ، مرجع سابق ، ص 304

[4] إبراهيم ، ميغا ، مرجع سابق، ص 2.

أما مملكة سنغاي فقد كان ظهورها مع القرون الأولى ميلادية[1] فقد كانت معاصرة لإمبراطورية مالي و غانة ، كانت تدين الوثنية قبل انتشار الإسلام منذ حوالي القرن السابع الميلادي[2].

استوطن المنطقة شعوب اختلطت لتكون تركيبة سكانية من عرب ، وبربر و زنوج أهمها قبائل السنغاي أو سونرهاي الذين تمركزوا بالأقاليم الواقعة جنوب تمبكتو و تمتد على ضفتي نهر النيجر إلى مدينة داندي و منها إلى جنوب فولتا العليا وشمال نيجيريا.[3]

وقد قاد المملكة أسرة كانت تدعى "دايا" إلى غاية 1325م جاعلين من مدينة كوكيا عاصمة لهم. وكان أول من تملك دولة سنغاي " **زا الأيمن** "* ليخلفه أربعة عشرة ملكا**.

يعد الملك " **زاكاس** "* – 1009 م – أول من أسلم منهم[4]. وأول ما قام به" زاكاس" نقل العاصمة من " كوكيا " إلى " غاو" آخذا بعين الاعتبار موقعها الاستراتيجي الممتاز ذلك يجعلها تأخذ مرتبة الوسط لتكون همزة وصل للقوافل التجارية القادمة من المغرب الإسلامي أو من

---

[1] إبراهيم ، ميغا ، مرجع سابق، ص 2.

[2] عطية ، مخزوم، ، مرجع سابق ، ص 302 ، عبد القادر ، زبادية ،مرجع سابق، ص 20

[3] مبخوت ، بودواية ، مرجع سابق ، ص 48

* زا اليمن : يورد السعدي أنه قدم من اليمن، و قدومه إلى كوكيا في وقت كان شعب سنغاي يعاني من جبروت حوت كبير كانوا يعبدونه و يهابونه ، حتى قدم " زا " و رمى عليه الحديد و قتله فتخلص أهل سنغاي منه فنصبوه ملكا عليها، السعدي، مصدر سابق، ص62.

** أربعة عشرة ملك هم : علي كلن ، سليمان نار ، إبراهيم كاباي ، عثمان كافانا ، باري كينا ، محمد دع ، محمد كونيجيا، محمد فاري ، كاربيفو ، مارفي كول ، ماري هاي ماردانو ، سليمان دم علي بير " باري دع" نقلا عن : إسماعيل العربي ، مرجع سابق ص 382.

* زاكاس أو زاكاسي : هو الملك الخامس عشر من أسرة دايا و هو أول من أسلم ، يذكر السعدي أنه كان ينعت بـ "مسلم دم " بلغة البلاد أي أنه مسلم طوعا بلا إكراه و كان ذلك في 400 هـ / 1009 م ، ينظر السعدي ، مصدر سابق، ص3.

[4] محمد فاضل إبراهيم كريدية، مرجع سابق، ص ص 111 ، 112.

المشرق و التي كانت دسمة بالبضائع و عامرة بالعلماء والدعاة لتحمل في طريق عودتها طلاب العلم من السودان ، متجهين إلى مصر أو المغرب الإسلامي أو إلى الأندلس[1].

و في هذه الفترة ظهر تنافس شديد بين المملكتين – مالي و سنغاي ساهمت فيها عدّة أسباب منها رغبة كل دولة في تكوين وحدة إسلامية، على حساب الأخرى وتعتبر هذه المسألة المحرك الأساسي لتدوير عجلة الصراع بين الدول الإسلامية في غرب إفريقيا. ولما أفل نجم مالي في حوالي القرن الخامس عشر رجحت كفة سنغاي بقيادة أحد ملوكها " محمد دوغو" عام 823هـ/1420 م الذي ثبت دعائم حكمه على حساب مالي. ثم وصل زمام الأمور إلى سني علي و بذلك تحول لقب الملك من " زا " إلى "**سني**"[2].

و يعتبر " **علي كولن** " أي – سنى علي – المؤسس الحقيقي لمملكة سنغاي حيث بدأ التوسع الفعلي للمملكة على حساب القبائل المجاورة ، فاستعاد تمبكتو عام 1468 م / 873هـ، ثم أخضع منطقة النيجر كلـها و استولى على " **جنى**" عام 1473 م و في بعض الروايات يقال في سنة 1475 ، و قضى على قبائل الموسي الوثنية سنة 1483 م[3].

قد وضع " سنى علي " بصمته في تاريخ سنغاي من الجانب العسكري فعرف باندفاعه و قوته المسيطرتين أينما حلتا. أما في إسلام هـذا الملك و تدينه فقد أسال حبر كثير من المؤرخين الذين شككوا في تحمسه لدينـه و منهـم مـن كفـروه و تحاملوا عليه. على رأسهم السعدي*.

فلا بأس أن نورد رأيه في المسألة. " **وأما الظالم الأكبر و الفاجر الأشهر " سن علي** " برفع السين المهملة و كسر النون المشددة... **فإنه كان ذو قوة عظيمة و متنة جسيمة ظالما فاسقا**

---

[1] محمد فاضل إبراهيم كريدية، مرجع سابق، ص 112 .

[2] (ـــ، ـــ)،ص 113.

[3] عطية ، مخزوم ،المرجع السابق ، ص 303 ، ينظر أيضا : نعيم ، قداح ، مرجع سابق ، ص 69.

* يورد السعدي رأي السيوطي في سني علي عند ذكره لحوادث القرن التاسع هجري قائلا: "...أن رجلا ظهر بالتكرور يقال له سنّ علي أهلك العباد و البلاد ودخل في السلطة سنة تسع وتسعين وثمانماية ... " ينظر: السعدي، المصدر نفسه ، ص64.

متعديا متسلطا سفاكا للدماء قتل من الخلق مـــــا لا يحصيه إلا الله تعالى و تسلط على العلمـــــاء و الصالحين بالقتل و الإهانة ..."[1].

ويورد المؤرخ " **محمود كعت**" : " ... ثم خلف سلمن دام الظالم الفاجر الملعون المتسلط شني عال** و هو آخرهم ... و هو سلطان قاسي القلب ..."[2]

و رأيهما مهم في ثبوت تحامل المؤرخين على هذا السلطان لأنهما من المؤرخين المعاصرين لمملكة سنغاي و أقربهما لنقل الصحيح من مشاهداتهم.

ثم ينتهي حكم " سني علي " بعد ثمانية و عشرون سنة. توفي سنـــــــة 1492 م ويصبح الحكم في يـــــــد أحد أولاده و كان يدعى " **أبو بكر** " و الملقب بـــ " **كربير** ". عرف بضعفه و فشله و ذيوع مفاسده ، لم يلـــق ترحيبا مـــن العلمـــاء و النخبة، لذلك عمل وزيره **"محمد أبو بكر"** الملقب بمحمد ألطوري بالانقلاب عليه و الاستيلاء على الملـــــــك. ومنذ ذلك الحين أطلق عليه اسم أسقيا – أو أسكيا – بمعنى المغتصب. أي أن وصوله إلى الحكم لم يكن شرعي ، و قد كان ذلك سنة 1493 م إلى 1528 م[3].

يتحدث عنه السعدي في معرض كلامه قائلا : " ... ثم نصر الله تعالى الأسعد الأرشد محمد بن أبي بكر و هرب سني أبو بكر داعو إلى أين فبقي ... فتملك الأسعد الأرشد يومئذ و كان أمير المؤمنين و خليفة المسلمين و لما بلغ الخبر بنات سن علي قالت أسكيا معناه في كلامهم لا يكون

---

[1] عبد الرحمان ، السعدي ، المصدر السابق ، ص 64 .

** شني عال : يذكر محمود كعت الملك "سني علي " باسم شني علي و يعترف بقوته وقوة جيشه قائلا : " ... و كان منصورا و ما قابل أرضا قصده إلا خربه و ما كسر له جيش كان فيه قط غالبا غير مغلوب لم يترك بلدا و لا مدينة و لا قرية من أرض كنت إلى شيردك إلا و قد جرى خيله فيه و حارب أهله و غار عليهم ..." ينظر : محمود ، كعت ، المصدر نفسه ، ص 43.

[2] محمود ، كعت ، مصدر نفسه، ص 43.

[3] عطية، مخزوم ، مرجع سابق ، ص 306.

إياه فلما سمعه أمر ألا يلقب إلا به فقالوا أسكيا محمد* ، ففرج الله تعالى عن المسلمين الكروب وأزال به عنهم البلاء و الخطوب ..."[1].

فقد عرف هذا الملك بحبه للعلماء و الفقهاء و إرجاء الحل و الربط بيد أصحاب الحكمة والعلم، و بلغت الدولة في عهده أوجها وعلوها حيث نظمت الإدارة وجهز الجيش وفتحت البلاد وانتعش العباد بضم أقاليم جديدة في الشمال وعلى سواحل الأطلسي لتمتد من مناطـــــق قبائل الفولاني ومنها إلى حوض السنغال في الغرب ثم منطقتي أغدس ودندي والهوسا شرقا وجنوبا بلاد موسى على حوض النيجر حتى عمق الصحراء شمالا[2].

إهتم الأسقيا محمد** باستجلاب الفقهاء والقضاة والعلماء ونال إحترامهم و تقديرهم من أجل تصحيح فكرة وصوله للملك في أعين الخاصة و العامة.

و أهم حدث في تاريخ " الأسقيا محمد" خروجه لأداء فريضة الحج سنة 1497 في موكـــب مهيب من حيث العدة والعدد – عدد كبير من العلماء والأعيان والدواب المحملة بالأمتعة

---

* لقد كان الملك محمد أسكيا قائدا عسكريا و إداريا مقتدرا، محنكا متضلعا حيث وسع نطاق سنغاي الجغرافي، عمل على تقريب الفقهاء و العلماء و أحسن معاملتهم لينال احترام الخاصة و الرعية. ينظر : عطية، مخزوم ، مرجع سابق ، ص 306.

[1] السعدي ،مصدر سابق، ص 72 .

[2] عطية ، مخزوم ، مرجع سابق ، ص 307 .

** تولى كرسي الحكم تسعة ملوك من آل اسقيا من بينهم الأسقيا موسى 1531/1528 وبعد الأسقيا موسى المتعطش للدماء، ليلي الحكم الأسقيا محمد الثاني حكم ستة أعوام ، ليأتي إسماعيل ويعتلي عرش الحكم من 1537الى1539 ثم ينتقل الحكم بعد ذلك إلى إسحاق الأول 1539-1549 فأجرى عملية تطهيرية في الإدارة وبعده أخوه الأسقيا داوود 1549-1582 ليخلفه الحاج الاسقيا محمد الثالث 1582-1586 ليعزله أخوه محمد بان من1586—1588 ثم الأسقيا إسحاق الثاني 1588-1591 الذي دخل في عراك مع السلطان أحمد المنصور الذهبي سلطان المغرب الأقصى بغية الاستلاء على مناجم ملح تغازاوجلب معادن التبر .ينظر : مبخوت ،بودواية ،مرجع سابق ، ص ص52،50.

والذهب[***] . إضافة إلى سابقة شراء وقف في الأراضي المقدسة بني عليها مساكن خاصة بحجيج السودان الغربي[1].

انتهى عهد " محمد الأسقيا" عام 1528 م لينتقل الملك إلى أبنائه ثم إلى آل آسقيا، من أهم أولئك الحكام أسكيا داوود(1549 – 1582 م) وقد كانت فترة حكمه طويلة تمكن من وضع بصمته فيها حيث تميزت بغزواته العديدة اشتهر بحنكته السياسية في إدارة الحروب ، لكن بعد ذلك تضعضع الملك في سنغـــــاي و بدأ العد التنازلي لعمر المملكة[2].

[***] يقول السعدي أن الأسقيا محمد أنفق بسخاء في طريقه إلى الحج مارا بمصر و قد قدرها بثلاثمائة ألف قطعة من الذهب، ينظر: عبد الرحمان، السعدي، مصدر سابق، ص 76، ينظر أيضا: محمود كعت، التمبكتي، **تاريخ الفتاش**، مصدر سابق ، ص 19.

[1] السعدي، عبد الرحمن، المصدر نفسه، ص ص 75، 76

[2] عبد القادر ، زبادية، مرجع سابق، ص 43 ، ينظر أيضا : يحيى، بوعزيز، مرجع سابق، ص 73، عطية، مخزوم، مرجع سابق، ص ص 310، 311 ، وينظر أيظا : مبخوت بودواية ، المرجع السابق، ص51.

الفصل الثاني

الحركة التجارية بين إقليمي توات و السودان الغربي

﴿ . . . تمبكتو ما دنستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمن،

مأوى العلماء والعابدين ومألف الأولياء والزاهدين وملتقى الفلك والسيارة . . .

وغليها يرد الرفاق من الآفاق وسكن فيها الأخيار من العلماء والصالحين ﴾

قول السعدي، عبد الرحمن في تمبكتو من كتابه تاريخ السودان

المبحث الأول: النشاط التجاري بين الإقليمين.

1-المسالك التجارية بين الإقليمين:

إن الحاجة عند الإنسان تدفعه للبحـــــث و التنقيب للحصول أو الوصـــــول إلى غايتـــــه، وهذه العملية تدفعه للحركة و الحركة هي عملية التنقل التي تعّلل و تفّسر عامل المسافة، فيمكـــــن للإنسان تحديدها بالطول أو القصر، لذلك كان لزاما على الإنسان عموما أن يغطي عامل النقص الذي يفرضه عليه عنصر المكان إلى التنقل إلـــــى غير مكان، طبـــــعا بحثا عـــــن حاجتـــــه التي تتلون بكل السمات، فقد تكون غذاءا أو لباسا ثم تتعداها إلى الربح ثم إلى الإحتكاك مع العالم الخارجي لتكون الفائدة أعمّ و أشمل[1].

بهذا الشكل يمكن أن نفسر حاجة الإنسان للتجارة التي سمحت له فسحة جمع فوائد كثيـــــرة تتلخص في الحركة والإتصال بالعالم الخارجـــــــي و تلبية رغباته[2].

إنّ إمتهان التجارة تسترعي الخوض في مسالك ودروب سنحاول إزالة الغبار حولها وتحديد ملامحها من خلال هذا الفصل.

فقد حظيت تلك الطرق في العصر الوسيط عناية خاصّة و أهمية قصوى تكاد تأخذ أهمية الشرايين و الأوردة بالنسبة لجسم الإنسان فهي الرابط القوي الذي يجمع المجتمعات القديمة ويبني قمـــــم الدول و علوّها[3].

لأنّ أهميتها لا تنحصر في جلب البضائع والسلع بقدر ما تجلب العادات و الهوايات وتجمع بين الشعوب و الثقافات[4].

و هذا فعلا ما حصل بين السودان الغربي و أقاليم المغرب الإسلامي عامّة و بينه و بين إقليم توات[5].

---

[1] صلاح الدين، علي الشامي، **النقل دراسة جغرافية**، القاهرة: منشأة المعارف، 1976، ص 9.

[2] (ـــــ، ـــــ)، نفسه، ص ص 9، 10.

[3] حسن، الصادقي، **أضواء على ممالك غرب إفريقيا و علاقاتها ببلاد المغرب**، الرباط: معهد الدراسات الإفريقيا، على شبكة الأنترنات من موقع www.al-mostafa.com.

[4] عبد القادر، زبادية، مرجع سابق. ص ص211-212.

[5] (ـــــ، ـــــ)، المرجع نفسه. ص ص 212.

و إن سلطنا الضوء على دروب التجارة الخارجية فهي تكاد تنحصر في طريق واحد يجمع بين توات و تمبكتو يتشعب عند نقاط كثيرة قبل الوصول إلى تمبكتو، ذلك الطريق الذي أنار ظلمة دواخل إفريقيا و حوّل قراها إلى مدن و حواضر لها مكانتها بين جموع المدن الإسلامية[1].

و ليس أدلّ عن أهميّة مسالك القوافل التجارية أكثر من قول ابن خلدون : " و فواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات و تكورارين وركلان..." و في موضع أخر يشير إلى أهميّة منفذ توات التجارية. فيعود و يذكر"... قبائل بين تلمسان و وجدة تسمى " **ذوي عبيد الله**" و تنتهي رحلتهم في القفار إلى القصور توات و تمنيط وربّما عاجوا ذات الشمال إلى تسابيت و توكرارين و هذه كلها رقاب السفر إلى بلاد السودان..."[2].

يضيف ابن خلدون و يذكر أنّ القوافل التجارية المتوجهة للسودان الغربي شهدت أوجّها في القرن الرابع عشر ميلادي، فقد اخترقت رمال الصحراء كما تخترق السفن عباب أمواج البحار عابرة كل جوانبها في كل الإتجاهات ذهابا و إيابا[3].

و عموما سلكت قوافل التجار الطرق الصحراوية المتعارف عليها بين إقليم توات و غرب إفريقيا و سنذكر أهمها.

لقد احترف التجار التواتيون التجارة فسلكوا دروبها و شعابها حيث كان لهم ملكة و دراية جيدة بالنجوم و مواقعها و بالصحراء و شواطئها حتى سماهم ابن خلدون بالمبذرق أو البذرقة*[4].

---

[1] مبخوت، بودواية، **العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي**. مرجع سابق، ص 311.

[2] بن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص ص 63، 123.

[3] حسن إبراهيم حسن، **إنتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، ط2، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية،1990،ص 92، و ينظر: مبخوت بودواية، المرجع نفسه، ص 310.

* لبذرقة: معناها الدليل أو الحفير، ينظر: صالح بوسليم، مرجع سابق، ص 380.

[4] محمد الصالح، حوتية، المرجع السابق، ص 142.

و يعد إقليم توات حلقة وصل بين الشمال الإفريقي و جنوبه و محطة عبور و إنزال للقوافل[1]، فقد لعبت الآبار فيها دورا جليلا في تأميل الماء لهم و فيها تستريح القوافل من رحلتها حتى يتأتى لها الارتواء، كما يسقي التجار و من معهم- من فقهاء و طلبة علم- قربهم و يتبادلون فيها الأحاديث و الأخبار و يتعرفون على البضائع والأسعار[2].

أمّا القوافل التواتية الآتية من الأزواد فقد كانت تقصد توات مرتين في السنة في كل من شهري ماي و أكتوبر بحيث قدّر عدد جمال القافلتين المحملتين ببضائع و سلع توات حوالي ثمانية آلاف إلى عشرة آلاف جمل و قد اصطلح عليها إسم: أكابار"[3].

و عموما فقد التقت المعابرالتجارية من كل الجوانب في إقليم توات وإتّجهت منها مسالك و سبل واصلة توات بتمبكتو و منها كل مناطق السودان الغربي، فنجد مسلك وادي درعه المنطلق من مراكش نحو تندوف و منها إلى عرق شاش ثم تاوديني و أروان لينتهي إلى تمبكتو[4].

ثم ينطلق مسلك آخر من فاس و مكناس ليصل إلى وادي غير(جير) إلى إيغلي*، ثم "وادي الساورة" "فتوات" و "أقبلي" و "والن" "فعين زيزة" وصولا إلى "مبروك" و "تمبكتو"[5]. درب تجاري آخر ينطلق من وهران متجها للخيثر فمشرية و عين الصفراء، فقيق و وادي زوزفانة إلى توات لينتهي بتمبكتو[6].

---

[1] أبو القاسم، ابن حوقل، صورة الأرض، مصدر سابق،ص 60. يشر ابن حوقل في كتابه إلى النشاط التجاري القوي الذي ربط الشمال و الجنوب ممثلا في الطريق الواصل بين سجلماسة و بلاد السودان الغربي.

[2] محمد الصالح، حوتية، مرجع سابق، ص 142.

[3] C. Sabatier Touat Sahara et Soudan Paris: Société d'édition scientifique1891, p 192

[4] عبد الله، كروم، مرجع سابق، ص 26.

* إيغيلي: واحة على بعد 153 كلم من بشار، و عندها بالضبط يلتقي وادي زوزفانة بوادي غير ليصبّ في وادي الساورة، تتميز بكثافة نخيلها و مياهها العذبة، ينظر: صالح، بوسليم، مرجع سابق، ص134

[5] يحي، بوعزيز، **الطرق و الأسواق التجارية في الصحراء الكبرى، تجارة القوافل و دورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر**، الكويت: مؤسسة الخليج، 1984،ص 138.

[6] يحي، بوعزيز، ، المرجع نفسه ، ص **138**

معبر الواحات الشرقية الخارجة من بسكرة ثم ورقلة، كما يمتد طريق آخر من الصحراء الشرقية ينطلق من طرابلس شرقا مارا بغدامس نحو عين صالح إلى أقبلي فتمبكتو[1].

و كما ذكرنا فالقوافل كانت تركز على مصادر المياه التي تؤمن بها مسالكهم في طريق الذهاب و الإياب . فكانوا يختارون أحسن و أمن تلك الطرق و من أهمّها[2].

معابر توات النافذة للجنوب بإتجاه السودان الغربي، فقد كانت لها مراكـــز و نقاط إلتقاء تتمركز المناطق الثلاثة التابعة للإقليم في كل من تيكورارين، تيديكلت و توات فنجد معبر تيكورارين الذي تنتهي عنده قوافل ورقلة و الجنوب الوهراني و بمنطقة توات يعتبر قصر تيمي ملتقى القوافل و المسالك القادمة من الغرب و الشمـــــال و منـــها إلـــى تيديكلـــت ثم السودان الغربي، لتكون منطقة رقان خاتمة الإقليم التواتي الذي تنطلق منه القوافل المجتمعة والمتوجه إلى تاودني و تمبوكتو[3].

وفي منطقة تيديكلت قصور تعد نقاط عبور القوافل من كل الجهات كقصر تيط الذي تأتيه القوافل التجارية من رقان متوجهة إلى عين صالح[4].

و تتمركز بقصور توات قبائل تحترف التجـــارة كأولاد المختـــار الطوارق و أولاد زنان. الذين يعتبرون أكثـــر تلك القبائـــل احترافا للتجارة في تيدكليت فيعملـــون على تربية الإبل لتؤجّرها لتجار السودان الغربي و في نفس الوقت لهم مهمّـــة الوسطاء و الأدلاء في شعاب الصحاري الواصلة لتمبكتو.[5]

فتكـــون القوافل أكثر أمنا و اطمئنانا فيقول ابن خلدون فـــــي هذا الشأن مايلي:"... المفازة المجهلة لا يهتدي فيها للسبيل، ولا يمرّ الوارد إلاّ بالدليل الخريت من الملثمين الضواغن بذلك القفر، يستأجره التجار على البذرقة بهم بأوفى الشروط...".[6]

---

[1] يحي بوعزيز، الطرق و الأسواق التجارية، مرجع سابق، ص 138.

[2] فرج، محمود فرج ، مرجع سابق، ص ص 77،78 و ينظر أيضا: مبخوت، بودواية العلاقات التجارية، مرجع سابق، ص ص 311،312.

[3] Mauroy,(M), précis de l'histoire et du commerce de l'Afrique sept, paris , 4eme édition, 1862,P128

[4] Déporter, l'extrême- sud de l'Algérie, Alger: P Fontana 1890, P 121

[5] محمد الصالح، حوتية، مرجع سابق، ج1، ص 148. ينظر أيضا: صالح، بوسليم مرجع سابق، ص 146

[6] عبد الرحمن، بن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص 118

و عموما هناك طريق أو مسلـــــك معروف يحبّ التجار ارتياده و هو الرابط بين أقبلي وكـــــل من عين صالح و توات، يختلف المؤرخون في تحديد مسافته يمرّ بصحراء تنزروفت تخصه أبار المياه و يوصل التجار إلى معدن الملح بمنطقة الأزواد*.[1]

2-الأسواق التجارية:

بعد أن عرفنا أنّ إمتهان الإنسان للتجارة خلال سيرورة حياته ضاربة في القدم، فقد تولدت مع حاجة الإنسان للتنقل و قهر عامل المسافة و توسيع سبل إتصاله عبر الإتجاهات الأربع.[2]

نجده ارتاد سبلا و مسالك مرّر من خلالها قوافله التجارية التي كانت الأسواق مقصدا لها[3] إنّ حاجة التجديد و التغيير في الإنسان دفعته لتوسيع مساحة الأسواق و تغيير طابعها أمام متطلباته المتجدّدة سواءا في توات أو السودان الغربي، و لّما ضعف العرض و تضاعف الطلب بطل العجب و لم تعد الأسواق الداخلية مكانا لعرض المنتوج المحلّي بقدر ما أصبحت تشكل قبلة الساكنين وبغية التجار الوافدين و منتهى كل القوافل التجارية القادمة إتجاه شمال جنوب أو عكس هذا الاتجاه بغرض العرض أو الاستبدال[4]

لذلك نجد أنّ الأسواق عموما لعبت دورا رائدا في تفعيل الحركـــــة التجارية و ربط أواصر العلاقات بين الإقليمين، لذلك لم تخلو مدينة أو قصر من سوق صغير كان أو كبير.[5]

---

* الأزواد: هي المنطقة الواقعة في جنوب- جنوب المغرب الإسلامي الوسط خاصة تعرف اليوم بمنطقة مالي يحدها شمالا صحراء تنزروفت التي ينتهي عندها إقليم توات- ينظر: صالح، بوسليم، مرجع سابق، ص 134.

[1] محمد الصالح حوتية، مرجع سابق، ص 148.

[2] صلاح الدين، علي الشامي، **النقل دراسة جغرافية**، القاهرة: مرجع سابق، ص10.

[3] عبد القادر، زبادية، مملكة سنغاي ، مرجع سابق. ص 195،ينظر أيضا: صالح، حوتية، المرجع نفسه،ص 141،و ينظر: مبخوت، بودواية، مرجع سابق.ص 110.

[4] فرج، محمود فرج ، مرجع سابق، ص63،صالح، حوتية، المرجع نفسه، ص 142 ، ينظر أيضا: عبد القادر، زبادية، المرجع نفسه، ص211.

[5] فرج، محمود فرج، المرجع نفسه، ص63.

2-1- الأسواق التجارية في إقليم توات:

كانت توات قبلة للزائرين ومرتعا للقائمين لتنوع النشاط التجاري فيها، حيث عرفت بأسواقها التي لبت حاجة سكانها وسدت طلبات الوافدين إليها.

وقد مثلت التجارة لإقليم توات شريان ينبض بالحياة حيث نشطت حركة البيع والشراء. فهي في الداخل مركزا للمبادلات التجارية وفي الخارج قبلة القوافل التجارية منها من تنوي العبور إلي الشمال ومنها من تصبوا إلي عرض سلعتها أو استبدالها .[1]

ومن أهّم الأسواق الداخلية التي نشطت الحركة التجارية ما يلي :

سوق مدينة تميمون الذي يحتل أهمية كبيرة وصلت إلى خارج حدود الإقليم عرف بتنوع السلع المعروضة فيه من محلية ومستوردة ؛وقد كانت تلك البضائع مشكلة من تمور توات بكل أنواعها[2].

الحناء، الأواني المنزلية المصنوعة من الحلفاء كالطباق والقفاف والسلاسل الشمّة التواتية، المنسوجات كالأبسطة "الدكالي"، البرنس إضافة للعبيد* ريش وبيض النعام، العاج واللحوم المجففة، الفحم، الملح...وغيرها كثير[3].

وقد كانت تقصد هذه السوق قوافل المنيعة، غرداية ،سعيدة ،مشرية محملة بالسكر ، القهوة والشمع والصابون[4]

أما في منطقة توات فقد اشتهرت بسوقي تمنطيط و أدرار . لنبدأ بتمنطيط هذه المدينة التي اكتست الأهمية القصوى لدى التجار والمؤرخين فقد اعتبر سوقها من أول الأسواق في الإقليم كله[5]. لأنها كانت عاصمة له قبل القرن العاشر الميلادي ، فصاحب القول البسيط يقول في هذا الصدد مايلي "....فاعلم أنّ مدينة تمنطيط اسم لمدينة قديمة في إقليم توات ولقد اجتمع فيها العلم

---

[1] محمود ، فرج ، مرجع سابق ، ص 64.

[2] صالح ، حوتية ، مرجع سابق ، ص 159.

* بالنسبة للعبيد وكل السلع التي تم ذكرها فهي المجلوبة من السودان الغربي يأتون بها تجار توات لعرضها في أسواقهم فيسدون النقص في أسواقهم ويلبون رغبة الوافدين إليهم من التجار من كان يأتي بسلع السودان ويبادلها في تغازي بالملح ليعود به من حيث أتي حتى يبادلها بالذهب ينظر: أحمد ، حمدي ، المرجع السابق ، ص 59.

[3] محمود فرج ، المرجع نفسه ، ص 65 ، ينظر أيضا : أحمد لحمدي ، مرجع نفسه ، ص 59.

[4] محمود فرج ، المرجع نفسه ، ص 65 ،و ينظر: أحمد لحمدي، المرجع نفسه ، ص 59.

[5] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص95.

والعمارة والولاية والديانة والرئاسة ، وانتصبت بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع وكان لاستغني عنها غنيّ ولا زاهد ....ولا يقنع ذو سلعة عرضها إلا بسعرها..."[1].

و لم يتوقف الأمر عند شهادة أهلها وإنما حتى للرحالة القادمين إليها بعد علوّ شأن مدينة أدرار ، حيث يصف الرحالة الألماني " جيرهاردرولف " سنة 1864 المدينة – تمنطيط – وسلعها المجلوبة من الخارج خاصة من السودان الغربي وعظم حوانيتها المرصوفة على جوانب الطرقات مضيفا أن تجارها كانوا أصحاب حرفة وصنعة فنجد منهم الحداد الصائغ والخياط وغيرهم .

وقد أكدّ ابن بابا حيدة ذلك مبرزا كثرة حوانيتها التي فاقت الثلاثمائة وستين منهم الحدادين والصائغين ومحترفين في صناعة الجلود .[2]

ومازلنا في منطقة توات لنذكر فيها مدينة رقان وسوقها هذه المدينة المتمركزة في أقصى جنوب الإقليم كله والمحاذية لصحراء تنزروفت وقد أقيم سوقها في قصر تمدنين الذي يعتبر محطّة لرسّو القوافل الواصلة من إقليم السودان الغربي ومـــــن قبائـــــل تاوديني ، المبروك ، أهميدان ، أدرار و إيفاووس المحملة بالخراف والإبل ، الحمير و الدمّان مقابل تمور توات المشّكلة من الحميرة، تيناصر ، تينواجل ، تنهود ، أغمو... .

ومن مقاطعة توات إلى مقاطعة تيديكلت حيث نجد سوق عين صالح الذي يأخذ الصدارة لما لتيديكلت من أهمّية بالغة عند تجار الصحراء ، أمّا السوق فقد تمركز في أحد قصورها والمسمى بقصر العرب الذي سبق وقلنا عنه أنه نقطة إلتقاء المسالك[3].

أين يتأتّى للتجار العابرين للصحراء النزول هناك و استبدال ما يمكن استبداله ثم استئناف المسير وقد أطلق عليه محمود فرج كلمة ترانزيت بمفهوم عصرنا اليوم[4].

فقد شكّلت أسواق إقليم توات الموزعة بين مدنها وقصورها معابر القوافل التجارية المحملة والتي تتم فيها معاملات البيع والشراء فساهمت في انفتاح الإقليم أكثر على العالم الخارجي فأصبحت بذلك أسواق توات مراكز تجارية لا تقل أهمية من أسواق تمبكتو وغاو وجني وغيرها .[5]

---

[1] ابن بابا، حيدة، المصدر السابق، ص 14.

[2] (ـــــ)، المصدر نفسه، ص 15.

[3] Déporter, l'Extrême sud, opicit p 20

[4] صالح حوتية ، مرجع سابق ، ص 149 ، ينظر: محمود ، فرج ، مرجع سابق ، ص 66

[5] محمود ، فرج ، مرجع نفسه ، ص 67.

2-2- الأسواق التجارية في السودان الغربي:

مثّلت التجارة شريان الحياة الذي ازداد نبضه في العصر الوسيط و لم تشكل الصحراء عائقا في وجه القوافل التجارية المتجهة صوب الجنوب[1]، بل على العكس تفرّعت الطرق و تشعبت الدروب لتنتهي إلى أسواق عامرة ذاع صيتها بين حواضر العالم الإسلامي آنذاك[2].

اختلفت تلك المراكز التجارية و تباينت في أهميتها حسب المنتوج المعروض في أسواقها أو السلع الواصلة إليها من خلال عملية الاستيراد و التصدير[3] فكان لابد لتلك المسالك أن تعبر الصحراء و شواطئها و تؤسس أسواقا ازدحم عليها القائمين و القادمين[4].

و إن كنّا ذكرنا بعض أهم أسواق إقليم توات فلا بأس أن نحط الرحال عند أهّم أسواق ومحطات إقليم السودان التجارية. و سبق أن عرفنا أنّ الحكم في السودان الغربي انتقل من مملكة إلى أخرى حيث بلغت فيها كل من غانة و مالي و سنغاي شأوا كبيرا، فالتجارة و هي أحد عوامل ارتكاز بناء الدول قد شهدت أسواقا تباين رواجها حسب بزوغ فجر تلك الممالك[5].

فعن غانة مثلا يحدثنا ابن حوقل عن قمة ثراء أهلها و ملوكها قائلا«... و ملك غانة أيسر من على الأرض بما لديه من الأموال المدخرة من التبر*...»[6] ثم يقول عنها جون فيجي في كتابه" تاريخ غرب إفريقيا".

---

[1] عبد القادر، زبادية، مملكة سنغاي ، مرجع سابق. ص 211، ينظر أيضا: يحي، بوعزيز، **إفريقيا الغربية الإسلامية**، مرجع سابق، ص 41.

[2] حسن الصادقي، **أضواء على مسالك إفريقيا و علاقاتها ببلاد المغرب**، الرباط: معهد الدراسات الإفريقية،د.ت،ص ص 1،2.

[3] محمد، الصالح حوتية، توات و الأزواد،ج1، مرجع سابق، ص 166.

[4] عبد الله، عبد الرازق إبراهيم، **دور تمبكتو الجغرافي و الإقتصادي في تجارة الصحراوية** الرباط: معهد الدراسات الإفريقية، د.ت، ص 03.

[5] محمد الصادقي، المرجع نفسه، ص 2.

* « و التبر هو الفتات من الذهب و الفضّة قبل أن يصاغ، فإذا صيغا فهما ذهبا و فضّة و التبر ما كان من ذهب غير مضروب فإذا ضرب دنانير فهو عينّة...»ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، طبعة بيروت، ج4، د ت، ص .88.

[6] ابن حوقل، مصدر سابق، ص90.

« ... كان لظهور دولة غانة في الغرب الإفريقي و لمناجم الذهب الموجودة في كل المنطقة ... أثرها في حركة النشاط الاقتصادي بين الزنوج، و بين الزنوج و الشماليين الذين كانوا يرسلون تجارتهم إلى غرب إفريقيا في مقابل حصولهم على الذهب...»[1].

أما البكري فيقول في شأن ذهب غانا أنّ ملكها كان يستحوذ على أحسن أنواع الذهب ويترك سواه للرعية و البقية حتى يحافظ على قيمته[2]. و قد اعتبرت عاصمتها – كومبي صالح- أهّم المحطات التجارية فيها وأضحت أسواقها العامرة بالذهب ومقصدا للوافدين من المغرب والمشرق[3].

حيث عرفت أسواقها رواجا للسلع المعروضة فيها وكثرت المستودعات والخزائن، يقبلون عليها لإقتناء العاج و الصمغ و جوز ثمرة الكولا[4].

و قد ساعد على رواج أسواق عاصمة غانا موقعها على حدود الصحراء و في أقصى شمال غرب إفريقيا مما جعلها حلقة اتصال بين منجمي الملح في الشمال والذهب* في الجنوب، وظلت كومبي صالح تحافظ على مراكزها ثلاثة قرون[5]. مبرزا بذلك ابن خلدون حالة أهلها الذين تعودوا على ارتداء الملابس الصوفية و القطنية و حتى الألبسة الحريرية الآتية من خارج البلاد[6].

ثم سوق تادمكة التي ذكرها البكري قائلا« ... فإذا أردت من تادمكة إلى القيروان فإنّك تسير في الصحراء خمسين يوما، إلى ورجلان و هي سبعة حصون للبرابر أكبرها يسمى " أغرم ان يكامن" أي حصن العهود.»[7] و تكتب في مواضع أخرى بتاء مفتوحة عليها سكون- تادمكت- إذن فقول البكري يؤكد على عظم المدينة وصيتها الذي وصل إلى القيروان و رجلان. كما اعتبرت طرقها أهمّ السبل الرابطة بين الشمـــــــال و الجنوب خاصة خلال القرن التاسع

---

[1] جون، فيجي، **تاريخ غرب إفريقيا**، مرجع سابق،ص 45.

[2] عبيد الله، البكري، مصدر سابق، ص 172.

[3] نعيم، قداح، مرجع سابق، ص 39، عبد القادر، زبادية، مملكة سنغاي، مرجع سابق، ص 212،حسن الصادقي، مرجع سابق، ص 200.

[4] نعيم، فداح، نفسه، ص 39.

* في شأن، ذهب غانا يذكر الهمداني ما يلي:«... إنّ بلاد غانا ينبت فيها الذهب نباتا في الرمل كما ينبت الجزر و يقطف عند بزوغ الشمس...» ينظر: أبو بكر، الهمداني، **البلدان**، ليدن: بريل، 1886، ص 87.

[5] عطية مخروم، مرجع سابق، ص 236.

[6] ابن خلدون ،مصدر سابق، ص129.

[7] البكري، المغرب، المصدر نفسه،ص 94.

ميلادي، ووصفها الجغرافي المغربي بالمدينة الكبيرة ذات الجبال و الشعاب بناؤها حسن و سوقها عامرة.[1]

و في الإقليم أيضا سوقي سجلماسة و أوداغشت و لو أنّ مسألة عمارة أسواقهما سبقت الفترة التي نحن بصدد دراستها.[2]

فقد احتوت أوداغشت على سوق هامة آنذاك اعتبرت محطة النزول والإقلاع، و قد عرفت بمدينة التبر الخالص و هي المدينة الواقعة على بعد إحدى و خمسين مرحلة جنوب سجلماسة، يقول عنها بكري:«... و هي المدينة كبيرة آهلة... و سوقها عامرة الدهر كله لا يسمع الرجل فيها كلام جليسه بكثرة جمعه و ضوضاء أهله و تبايعهم بالتبر...»[3]. وأنشئت الأسواق التجارية التي إزدهرت بها تجارة الأقمشة الحريرية و الصوفية مع الحبوب و المصوغات.[4]

لكن لم تدم الأحوال على تلك الشاكلة في عهد الإدرسي إذ يقول عنها:

بعد أن تفانى عظمها و تقلص صيتها و مالت شمسها و طوت رمال الصحراء معالم حضارتها في القرن الثاني عشر ميلادي.[5]«... وهي مدينة صغيرة في الصحراء ماؤها قليل و عامرها قليل...»، و في ذكر أسواق السودان الغربي نتحدث عن أهم نقاط تقاطع القوافل والقوارب التجارية في مدينة تمبوكتو* التي عرفت بعد علو شأن دولة مالي و خلال وصول الحكم إلى مدينة سنغاي[6].

---

[1] البكري، المغرب، مصدر سابق، ص ص 182،180.

[2] مارمول، كربخال، مصدر سابق،ج3،ص 153.

[3] البكري ، المصدر نفسه، ص158.

[4] يحي، بوعزيز، مرجع سابق،ص ص 190، 191.

[5] إسماعيل، العربي، مرجع سابق، ص 289

* تمبكتو: حاضرة مالي و سنغاي العامرة لمدة طويلة، ينظر: لحسن، الوازن، مصدر سابق، ص ص، 159-179، وسنأتي على ذكر تاريخ تأسيسها ونشأتها في المبحث الثاني من الفصل الثاني.

[6] عبد الله، عبد الرزاق، دور تمبكتو، مرجع سابق، ص 15.

بلغت أسواق تمبكتو في العصر الوسيط شأوا كبيرا و شدّ الإنتباه إليها ذلك النظام المصرفي الدقيق الذي أصّله التجار العرب هناك[1]، سوقها المليء بالحوانيت و بها أسواق صغيرة لبيع اللحوم و المنتوجات المحلية[2].

و قد اكتست المدينة هذه أهمية من خلال موقعها الجغرافي المميّز بين الشمال والجنوب فأصبحت مكان إلتقاء للتجار بكل ما تحمله الكلمة من معنى، بها المخازن و الفنادق التي تخدم الوفود التجارية من بلاد المغرب و حتى أوربا[3]

و قد اشتهرت أسواق تنبوكتو بثرائها بمعدن التبر الواصل إليها من و نقارة مع نحاس تكدا الواقعة شرقا مع الملح الموجود في تغازة[4].

و من الجنوب من تومبكتو نجد أسواق جني هذه المدينة المعاصرة لها في الظهور في القرن الثاني عشر[5].

و قد أصبحت بأسواقها المدينة الأولى التجارية خلال دولة مالي و اعتمدت عليها الدولة لرفع إقتصاد البلاد، فيقول عنها السعدي أنّها المدينة الميمونة المباركة[6].

ثم أسواق حاضرة غاو* التي تبعد عن تمبوكتو بمائة و خمسين فرسخ[7]. و قد إختارها الأسقيين في حكم دولة سنغاي لتكون عاصمة للدولة.

و قد أسالت حبر الكثير من المؤرخين الأوائل كالحسن الوازن،" السعدي" و "محمود كعت"، فقد نجدها في كتابتهم تحمل إسم "كاغو"[8].

---

[1] البكري ، مصدر سابق، ص173

[2] الحسن، الوازن ، مصدر سابق، ص537،و ينظر: كعت، مصدر سابق، ص 41 و ينظر أيضا: السعدي، مصدر سابق، ص83.

[3] الحسن، الوازن ، المصدر نفسه، ص537،ينظر أيضا: محمود، كعت، المصدر نفسه، ص41.

[4] (ــــــ، ــــــ) ، المصدر نفسه ، ص83

[5] مبخوت، بودواية، المرجع السابق، ص 54.

[6] السعدي، المصدر نفسه،ص 139، مارمول،كربخال، المصدر نفسه،ص ص 201،200،72.

* غاو: أيضا سنفصل فيها في المبحث الثاني من الفصل الثاني.

[7] مارمول، كربخال، مصدر سابق،ج3،ص 204.

[8] محمود، كعت، المصدر نفسه، ص 46.

3-المبادلات التجارية:

ارتبطت العلاقات التجارية بين البلدين – السودان الغربي و المغرب الأوسط – من فترة زمنية معتبرة سبقت حتى فترة وصول الإسلام لاعتبارات كثيرة أهمها حاجة الإنسان إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي في توفير مستلزماته التي تفرض عليه معادلة الطبيعة عدم توفرها في مكان واحد[1]، فما توفر في المغرب الإسلامي و جزئه إقليم توات انعدم في منطقة السودان الغربي و العكس صحيح.

إذن عامل اختلاف السلع و المنتوج الموجود في الإقليمين فرض التبادل التجاري الذي يتمثل في المعاملات التجارية من بضائع و عملة مع ذكر جموع القوافل الوافدة و اللآيبة[2]، أمّا تجّار توات فتولوّ رئاسة قوافلهم التي كانت تتألف من ما يزيد عن مائتي بعير[3]، بينما يقدم ابن خلدون في تاريخه أن أواخر القرن الرابع عشر بلغت القوافل اثني عشر ألف جمل[4*].

ممّا يؤكد أن حركة التجار التي كانت تتمّ عبر القوافل شهدت رواجا كبيرا، و أنّها حملت بالبضائع الكثيرة التي أدرّت الأرباح الطائلة[5].

و قد أصبحت توات نقطة ارتكاز لحركة التجار و أصبحت غالبية القوافل التجارية المنطلقة من و إلى جني و تمبكتو و بورنو تسلك الطرق المؤدية إلى توات بفضل الأمن الذي وفرته المنطقة للقوافل الصحراوية مع الخدمات المقدمة هناك من ماء و مؤن[6].

---

[1] نبيلة، حسن، مرجع سابق، ص 153، ينظر أيضا: محمد، صالح، توات و الأزواد ،مرجع سابق، ص 134،علي، الشامي، النقل، مرجع سابق، ص 10.

[2] صالح، محمد حوتية، المرجع نفسه، ص ص 105،101.

[3] فرج، محمود ، مرجع سابق، ص 77، 79، ينظر: محمد، صالح، المرجع نفسه، ص 143.

[*] الجمل: شاع استعمال في الصحراء بدءا من ق 13 ميلادي وقد سميت الإبل عدة تسميات كتسميات العرب حسب سنها فعندما تلد الناقة يسمون رضيعها سلاح و عند بلوغ السنة يسمى حوار و بعد تعديه السنة يدعى بالمخلول أما ببلوغه بثلاثة سنوات ينعت بالحاشي و أربع سنوات يسمى الجمل و قد اعتبر حيوان دخيل على الصحراء الإفريقية و آخرون يقولون أنّه موجود بالصحراء منذ العهد الروماني، ينظر: إسماعيل، العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، مرجع سابق ص ص 33، 34، أيضا: صالح، حوتية، **توات و الأزواد، ج1**، المرجع نفسه، ص123.

[4] ابن خلدون، عبد الرحمن، مصدر سابق، ج7، ص 405.

[5] عبد القادر، الزبادية، مملكة سنغاي، مرجع سابق، 212.

[6] نبيلة، حسن، المرجع نفسه، ص 160، أيضا: محمد، صالح، المرجع نفسه، ص ص 143، 144.

و من إقليم توات إلى السودان الغربي يوجد اتجاه يتفرع إلى ثلاث طرق؛ فالأول من مقاطعة عين صالح مارا بالطوارق المقيمين بـــ " أزقوير" ثم الثاني الذي يخرج من جنوب مقاطعة أقلي متجها إلى تمبكتو[1].

و كانت توات محطة عبور للقوافل الواصلة من كل اتجاه؛ غدامس، مصر و غات* و من الشمال، لكن هذا لا يعني أنّها لم ترتاد التجارة بنفسها فقد ساهمت بدورها بالقوافل المحمّلة بالمنتوجات المحلية أو الغير محلية[2].

و في هذا الشأن تخرج من أرض توات قافلتان كبيرتان في كل عام واحدة في النصف الأول من السنة و الثانية في النصف الثاني[3].

تتجمع القوافل قبل انطلاقها في أماكن سميت كما سبق و أن ذكرت أكابار تحدّد فيها سعر البيع و عمولة الأدلاء*، بالمصادقة من قاضي المدينة و تنطلق القافلة من أرضها مخترقة أرض قبائل الطوارق بعد دفعها لمبالغ مالية – أتاوات – لمشايخ القبائل فالمرور من هناك يعتبر اختراقا لحدودها الإقليمية، تستغرق القافلـــة مـــــــدة طويلة تقدر بالشهـــــر و النصف سالكة مسافة مقدرة بألف و ثلاث مائة كيلومتر أي بمعدّل خمس و أربعين كيلومتر في اليوم، ثم تمكث في مدينة تمبكتو ما يقارب ثلاثة اشهر يتم فيها عملية البيع و الشراء و استبدال الدوالب أومقايضة السلع بعضا ببعض[4].

و قد وجدت قوافل توات في السودان الغربي ما ينشط حركتها و لكثرة الطلب على منتوجاتها و ساعدها العوامل المتوفرة هناك في البقاء لإستكمال تلك العملية فقد خصصّت أحياء كاملة باسم تجار توت فيها الخزائن و النزل و غيرها من متطلبات.

---

[1] فرج، محمود فرج، مرجع سابق، ص ص 78،77.

* يذكرها الحشائشي في قوله:«... ثم نرجع إلى الكلام على غات فنقول أن غات هي مركز عظيم للتجارة الصحراوية ومرسى السودان و لها تجارة كبيرة مع أهل توات...» ذكرها في رحلته بين غات و توات- ينظر: محمد بن عثمان، الحشائشي، **جلاء الكرب عن طرابلس الغرب** تحقيق: على مصطفى، المصراني، لبنان: د،م،1965،ص 118.

[2] فرج، محمود فرج، المرجع نفسه، ص ، 97.

[3] ابن خلدون، عبد الرحمن، ج6، ص 195.

* الأدلاء كانوا قبائل أولاد زنان، و أولاد مختار و الطوارق، الذين اكتسبوا خبرة المسالك الصحراوية الوعرة و المملوءة بالمخاطر كصعوبة المناخ أو تعرضها للسطو و النهب. ينظر: فرج، محمود فرج، مصدر سابق، ص 195.

[4] (ـــــــــ، ـــــــــ)، المرجع نفسه، ص 79.

أمّا القوافل الواصلة إلى أرض توات محملة بالسلع الغير موجودة في أرضها فكانت أهمها قوافل البيض، مشرية و عين الصفراء. و كانت تقصد الإقليم في شهر ديسمبر من كل عام محملة بالمنتوجات الاستهلاكية والغذائية منها السمن والشّحم، الصابون والشمع مع الزيوت والقمح وزجات الصوف إضافة إلى القطن و الغزل مع الفول و الفلفل الأسود، فتدخل هذه القوافل من قصر أولاد عيسى الذي يقع في أقصى شمال غرب منطقة القورارة[1].

تمكث تلك القوافل ما يزيد عن خمس و عشرين يوما تتاجر في أسواق توات – كل من تسابيت، توات أقروت، شروين... فيتم فيها بيع التمور* المتعددة الأنواع كالحميرة و تيناصير، تينوجل**[2]، ثم مزروعات المنطقة من الحنّة و الحار و الصناعات التقليدية[3].

و بعدما تنتهي معاملاتها تنطلق القوافل محملة بكل ما لذ و طاب متوجهة إلى أسواق السودان الغربي بدءا من مدينة تمبكتـــو، مقابـــــل شراء العبيـــد و الذهب الخام – التير- ريش النعام، العاج و الجلود و غيرهم من المنتوجات السودانية- السودان الغربي[4].

وقد اعتبرت أرض بلاد السودان الغربي بممالكها الثلاثة مقصد التجار من جميع الأمصار لما تميزت به من خصائص طبيعية أهمها وجود المعادن الثمينة كالذهب والفضة والنحاس إضافة إلي الذهب الأسود المتمثل في عنصر الرقيق[5].

---

[1] فرج، محمود فرج، المرجع السابق.ص 71.

* انتشرت زراعة النخيل في إقليم توات عبر كامل مدنه لأن المناخ الصحراوي يتلاءم مع تواجد هذه الشجرة المباركة. و في الأمر يورد ابن خلدون ما يلي: «... اغترسوا شجرة النخيل على الطريقة العربية فمنهم بتوات قيلة سجلماسة إلى تمنطيط أخر عملها...» ينظر: ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 245.

** من أنواع التمور أيضا: حرطان، تين دكان، تين جوهر، فقوس، عروسه، شركة تفريش. فأشجار النخيل في توات تنتج أكثر من ستة و خمسين نوع. ينظر: محمود، فرج، المرجع نفسه، ص 57.

[2] صالح، محمد، المرجع السابق، ص143.

[3] المرجع نفسه ،101-105.

[4] مبخوت ، بودواية ، مرجع سابق ص304 .

[5] حسن، الصادقي، مرجع سابق، ص10 .

فإذا كان قصدها تجار المغرب الأوسط علي رأسها تجار إقليم توات فللوصول للتبر الموجود في أرض السودان[1].

فيعتبر ذهب السودان سرا مكتوما في جوف البلاد وتحت سيطرة أهله، هذا المعدن الذي يمكن تصنيفه إلى ذهب " البامبوك" الواقعة علي نهر السينغال، ذهب " لوبي " وذهب أشانتي[2*]، كما تذكر كتب الجغرافيا والرحلات أن ذهب السودان الغربي أصله من " ونقارة" التي ذكرها الإدريسي بقوله "...هي بلاد التبر المشهورة بالطيب والكثرة وهي جزيرة طولها 300 ميل وعرضها 150 ميلا، والنيل يحيط بها من كل جهة في سائر السنة ..."[3] هذه المدينة التي انتمت إلي غانة التي تحكمت في هذا المعدن وفي أسعاره وكمياته المعروضة في الأسواق.

وقد ذكر الإدريسي أن عاصمة غانة " كومبي صالح" كانت أكبر أسواق الذهب، كما ذكر ذلك البكري قائلا: " سوقها عامرة الدهر لا يسمع الرجل فيها كلام جليسة ..."[4]

واعتبر الذهب معدن ثمين تهافت عليه تجار السودان مثلما تهافت عليه تجار بلاد المغرب الإسلامي والتجار المسلمين قاطبة، ومثله مادة الملح الذي ارتفعت قيمته في العصر الوسيط حتى تحوّل إلي عملة للتبايع .

فقد قايض أهل السودان الغربي الملح بالذهب هذا ما يؤكده الرحالة ابن بطوطة: "...وبالملح يتصارف أهل السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطعا ويتبايعونه ..."[5] ويعتبر منجم تغازي أشهر أماكن الملح،يصفها ابن بطوطة بـــ "...وهي قرية لاخير فيها ومن عجائبها أن بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح ..."[6] وفعلا ففي مدينة تغازي ألواحا ضخام متراكمة من الملح، أما في السودان فأماكن الملح قليلة هذا ما ذكره الإدريسي حين قال:

---

[1] محمد فاضل، مرجع سابق ، ص 64.

[*] منجم ذهب الأشانتي: كان يجود في ساحل الذهب بين أحضان غابة السافانا في جنوب إفريقيا وكان بيد الأفارقة الوثنيين، ينظر: حسن، الصادقي، المرجع السابق، ص11.

[2] حسن، الصادقي، المرجع نفسه، ص 10 .

[3] الإدريسي، مصدر سابق، ص 24 .

[4] البكري، مصدر سابق، ص 158، ينظر أيضا: نعيم، قداح، مرجع سابق، ص ص 38-39 .

[5] ابن بطوطة، مصدر سابق،ص ص 192- 193 .

[6] (ـــــــــ، ـــــــــ)، مصدر نفسه، ص 191 .

" ...أما جزيرة أوليل فهي في البحر علي مقربة من الساحل وبها الملاحة المشهورة ولا يعلم في بلاد السودان ملاحة غيرها ..."[1]

إضافة إلي أهمية الذهب والملح بالنسبة لتجار المغرب الإسلامي عامة وتجار السودان الغربي نجد عامل الرقيق الذي تزخر به أرض السودان فأرضها تعد منجم الرقيق الذي لا ينضب هذا ما أكده الإدريسي، البكري، ابن بطوطة والحسن الوزان[2]، حيث يذكر هذا الأخيرأن في بداية القرن السادس عشر ميلادي مايلي : " يدفعون خمسة عشر رقيقا مقابل حصان واحد"[3] بمعنى أن سعر العبد في السودان بخسا جدا، لذلك اعتبرت تجارة الرّق مربحة لتجار المشرق والمغرب الإسلامي عامة.

[1] الإدريسي، مصدر سابق، ص 26 .

[2] حسن، الصادقي، مرجع سابق، ص 12 .

[3] الحسن، الوزان، مصدر سابق، ص 201 .

المبحث الثاني: أثر القوافل التجارية في تأصيل العلاقات الثقافية بين الإقليمين

1-توات ودورها في الحركة التجارية:

من العناصر المميزة لإقليم توات موقعها الجغرافي الخاص و الذي يتوسط الصحراء الكبرى، حيث جعلها الله عزّ و جلّ بوابة مفتوحة على الوجهتين بحيث توصل أصحاب الشمال و الجنوب وتنقل أصحاب الجنوب إلى الشمال[1]، فشكلت حلقة وصل ربطت المغرب الإسلامي و سكان السودان الغربي أو لنقل جمعت أواصر العلاقات بين جوانب إفريقيا الشمالية و منها الجنوبية، فمن أجل ذلك حضي الإقليم إقبالا كبيرا منذ بداية التاريخ ، فأصبحت قبلة التجار خاصّة، لأنّهم وجدوا فيها ما يفي حاجتهم في الترحال من ماء و كلأ و مكان تحطّ فيها الراحلة و من يشدّ الرّحال[2]. فقد منّ الله عـــــزّ و جـــلّ عليها بنعمـــــة الماء فاستغلها سكانها وأنشؤوا الآبار الأرتوازية و الفقاقير، و زيّن أديمها بغطاء أخضر و هما العاملان الجاذبان للناس قديما و حديثا، سواء، فرادى أو جماعات[3].

و حين بزغ صبـــــح بلاد الذهب و ذاع صيتـــــها بين الأمم و عنـــــد العام والخاص تعالت معها سمعة إقليم توات كونها المسلك الواصل بأرض الذهب، لذلك يمكن القول أنّ التجارة عامل إقتصادي هام للطرفيـــــن- توات و السودان الغربي[4].

لذلك فلا غرابة أن تتحول بعض الأسواق إلى مدن كبيرة بسبب تجمع القوافل التجاريـــــة التي تسترعي إنشـــــاء الفنادق و الخنادق و الخزائـــــن و السراديب و غيرها، الكثير[5]، يؤكـــد ذلك قول الرحالة أبو سالم العياشي:

« ... و قمنا بها ستة أيام و بعنا بها خيلنا و ما ضعف من إبلنا و إشترينا ما نحتاج إليه من التمـــر، وبها من التمر أنواعا كثيرة، و وجدنا التمر فيها رخيصا... و سبب إقامتنا في هذه البلاد المـــدّة أنّ

---

[1] محمود فرج ، المرجع السابق ، ص 63 ، ينظر أيضا : أبو سالم ،صالح، مرجع سابق ، ص 130 .

[2] محمد حوتية، مرجع سابق، ج1،ص 145.

[3] أحمد، لحمدي،، مرجع سابق،ص57.

[4] محمود، كعت، مصدر سابق، ص47، ينظر أيضا : ،صالح، أبو سالم، المرجع نفسه،ص 131.

[5] عبد الله، إبراهيم، المرجع سابق، ص ص 15-16.

كثيرا من الحجاج لمّا غلا صرف الذهب في تافيلالت أخّروا الصّرف إلى توات، فإنّ الذهب فيها أرخص و كذلك سعر القوت و الزرع و التمر...»[1].

و تأتي أهمية توات كونها تتوفر على مصادر الماء و العشب كما ذكرنا لذلك لم تكن محط أنظار العابرين أو الزائرين فقط و إنّما أصبحت موطن استقرار فليس أحد يترل بها إلاّ استوطن واستقر لما هناك من رخاء و حسن معاملة[2].

فشكلت توات الصورة المثلى و الأوضح لأهم المدن التجارية كما عرف سكان الإقليم بالمعرفة و الدراية بمسالك التجارة و المعابر النافذة إلى عمق صحاري إفريقيا، هذا الذي جعلهم رواد التجارة بين الشمال و الجنوب و الشاهد على ذلك إقامة مراكز محاذية للسودان الغربي[3].

و قد سمح موقع توات الجيد في عرض الصحراء للامتهان التجارة والاحتراف فيها[4].

فكانت القوافل التواتية تقدم خدمات جمة للمسافرين أهما وجود الدليل الخبير بأمور الطريق وبالنجوم و مواقعها، فقد نعتهم ابن خلدون بالملثمين الظواعن[5].

إضافة إلي توفر القوافل بالفقهاء و الأطباء والحرس خاصة وأن الهدف من عبور الصحاري وتكبّد عنائها الحصول علي الذهب وجلب الرقيق* خاصة و أن سعر العبد في أرض السودان أقلّ كلفة من سعره خارج هذا الإقليم[6].

---

[1] أبو سالم ، العياشي، ماء الموائد ، تحقيق : مولاي بلحميشي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في عهد العثماني**، ط2 ، الجزائر: د م ، 1981،ص ص69 ، 70.

[2] أبو سليم، صالح، مرجع سابق، ص131.

[3] الحسن، الوزان، مصدر سابق، ص109،ينظر أيضا : محمود، فرج، مرجع سابق. ص ص 64،63.

[4] فرج، محمود، فرج، المرجع نفسه، ص15.

[5] ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص ص 118

* كان الرق معترف به في بلاد السودان وبأبخس الأثمان لذلك أقبل علي شرائه تجار المغرب الإسلامي فقد ذكر الإدريسي:"... أن أهل تكرور وغانا يغيرون علي بلاد لملم ويجلبونهم إلي بلادهم فيبيعونهم ..." أما ابن بطوطة فيقول : " يشترون بغلالها العبيد والخدم " ينظر : الإدريسي ، مصدر سابق، ص 24 و ابن بطوطة ، مصدر سابق، ص 206 .

[6] صلاح بوسليم، المرجع نفسه، 132

ولأجل كل ذلك عرف إقليم توات بتلك الشهرة وراجت أسواقها كسوق تمنطيط، عين صالح تيمون وغيرها فأقبل عليها التجار من كل فجّ عميق لما للأسعار فيها من اعتدال والتوازن[1].

هذا الذي أكده صاحب القول البسيط: واصفا سوق تمنطيط قائلا:

« ... وهي قاعدة اجتمع فيها العلم والإمارة والديانة والرئاسة انتصبت فيها الأسواق والصنائع والتجارات و البضائع، وكاد لا يستغني عنها غني ولا زاهد... فهي مورد الركبان ومحشر العربان رئيسة البلدان، تنصت لسعرها الجيران... و لا يقنع ذو سلعة عرضها إلا بسعرها...»[2].

2-أثر التجارة في تفعيل الحركة الثقافية:

2-2-تنشيط المراكز الثقافية و التجارية:

إن الاحتكاك و التمازج بين الإقليمين بفعل الحركة التجارية و المحاولات الإقتصادية فعّل عملية الإنصهار الثقافي بينهما، و ما زاد العملية تفاعلا وصول الإسلام إلى شواطىء الصحراء و خارجها.

و في غرب إفريقيا- السودان الغربي- تحديدا ساهمت الحركة التجارية في بناء مدن من العدم وأسست حواضر بلغ صيتها خارج القارة، تكاد رمال الوثنية و التأخر تمحو معالمها[3].

فازدهرت و علا شأنها و دوّرت عملية البيع و الشراء دولاب حركتها التي حولتها إلى مراكز تجارية و ثقافية في الإقليمين توات و السودان الغربي.

ومن القرن التاسع إلى العاشر الهجري عاشت المجتمعات السودانية نهضة كبرى و انتفض الغبار على إقليم توات بعد أن تصاعد بريق السودان الغربي و تهافت عليها الطلب من كل حدب و صوب[4]، و إن كنا نركّز على مراكز السودان الغربي فبحكم أهمّية المكان أولا و اختلاف الوضع السياسي ثانيا و كبر المتسع الجغرافي له، بحيث يعتبر

---

[1] عبد القادر، زبادية، **الحضارة العربية و التأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989،ص 39.

[2] ابن بابا، حيدة، **القول البسيط**، مصدر سابق، ص3.

[3] يحي، بوعزيز، مرجع سابق، ص187.

[4] إسماعيل ، العربي، **الصحراء الكبرى**، مرجع سابق، ص 118.

إقليم الغرب الإفريقي جزء كبير له مكانته في رقعة العالم الإسلامي، بينما إقليم توات فهو جزء لا يتجزء من إقليم المغرب الأوسط الذي ينتسب إليه[1].

و من أهّم تلك المراكز نذكر تمبكتو، غاو، جني، تمنطيط، تيدكيلت مع عين صالح.

***حاضرة تمبكتو**

تعدّ هذه المدينة عريقة من حيث تاريخ تأسيسها حتى لو اختلف أهل الدراية في ذلك، حيث يرجع السعدي نشأتها للقرن الخامس الهجري الموافق لإحدى عشر ميلادي من قبل قبائل الطوارق* الذين قدموا إلى المدينة من الشمال بحثا عن العشب و الماء لمواشيهم، و ما لبثوا أن استقروا هناك حتى بدأت تمبوكتو تكبر يوما بعد يوم لتضحى سوقا مميزا للتجار و قبلة للفقهاء و العلماء[2]. تقع المدينة على حواف الصحراء الكبرى من الناحية الجنوبية متاخمة لنهر النيجر، حيث تبعد عنه بستة عشر ميلا في فصل الصيف و بسبعة عشر ميلا في فصل الخريف، تعدّ مفرق طرق القوافل التي تتشعب إلى عمق السودان الغربي و ملتقى القوارب الآتية عبر نهر النيجر، و هناك تلتقي الإبل بالقوارب[3].

أما حسن الوزان فيقول في مجال تأسيسها ما يلي: "... تمبكتو اسم مدينة بناها الملك منسى سليمان عام 610 هـ (1214 م) على بعد نحو اثني عشر ميلا من أحد فروع النيجر..."، أمّا عمارتها الحقيقية فقد ثبتت في القرن التاسع الهجري و تكاملت في البناء و الالتئام في أواسط القرن العاشر الهجري[4].

تمتاز المدينة بموقعها الجيواستراتيجي الذي أكسبها أهمّية كبيرة حيث أضحت قبلة تجار الشمال، و كثرت فيها الآبار و الفنادق و الأسواق والمساكن هذا الذي يؤكده السعدي في كتابه و هو الأقرب إليها ، إذ يقول في معرض كلامه:

---

[1] يحي ،بوعزيز، المرجع السابق، 189.

* الطوارق هم المسوفة من صنهاجة الذين يرفعون أنسابهم إلى حمير أحد القبائل العربية و يعرفون عند العرب باسم الملثمين القاطنين في الصحراء الكبرى، و يمتد توزيعهم الجغرافي من منطقة توات حتى تمبوكتو. ينظر: جون، فيجي، **تاريخ إفريقيا**، مرجع سابق، ص 67، و مارمول، كربخال، إفريقيا ، ج3 ، مصدر سايق،ص130.

[2] عبدالرحمن، السعدي ، مصدرسابق، ص،ص 20، 21، 22 .

[3] محمد فاضل ، إبراهيم كريدية، ، مرجع سابق ص98.

[4] حسن، الوزان، مصدر سابق،ص 165

«... ما دنستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمن ، مأوى العلماء والعابدين ومألف الأولياء والزاهدين، و ملتقى الفلك و السيارة، فجعلها خزانة لمتاعهم وزروعهم... و إليها يرد الرفاق من الآفاق و سكن فيها الأخيار من العلماء والصالحين...»[1].

أمّا في مسألة تسمية هذه المدينة فيتفق كثيرون أنّ اسمها ينسب إلى إمرأة كانت تدعى"وكتو" أقامت في ذلك المكان مالكة لبئر أقبلت عليه جموع القوافل، و إسم تومبوكتو* في لغة الطوارق مكان المرأة[2].

وللإشارة فقد ذاعت سمعة المدينة مع علو شأن دولة مالي، حيث بدأت تشيّد الدور والجسور والفنادق و النزول ذات الأسقف المنتظمة بعد حكم منسى موسى بفترة، مما يدل أنه تم تعمير المدينة أثناء عمارة دولة مالي قبل انتقال الحكم لدولة سنغاي خاصة في أواخر القرن الثالث عشر ميلادي[3].

لقد جمعت خصائها و مقوماتها من حيث استحواذها على تجارة الملح و الذهب فلم تعد للقوافل ما تخشاه من عبور الصحراء، فقد شاعت الطمأنينة و الأمن. فأصبحت حاضرة إسلامية تتمركز فيها الدكاكين و تتجمع بها الدواوين، نجد فيها حوانيت الحدادة و الحياكة و محلات الجزارة و الحرازة، فهي ملتقى الثراء المادي و التنوع الثقافي[4].

***مدينة غاو**

تعدّ غاو ثاني حواضر السودان الغربي من حيث أهمية، فقد صنّفها الحسن الوازن بالمدينة العظيمة في وقت لم يعظّم كثيرا مدينة تمبكتو[5].

---

[1] عبد الرحمن ، السعدي، مصدر سابق، ص 21، ينظر: عطية، الفيتوري، مرجع سابق ،ص 290.

* تمبكتو: ينسب مارمول كربخال بناءها للملك منسى سليمان حوالي 610هـ / 1200 م يبعد نهر النيجر عنها بأربع فراسخ.ينظر: مارمول، كربخال، مصدر سابق، ج3، ص،201.

[2] محمد فاضل ، إبراهيم كريدية، مرجع سابق، ص20. ينظر أيضا: مبخوت، بودواية، مرجع سابق، ص 50.

[3] محمد،الصادق،**أضواء على إمارة تومبوكتو**، مرجع سابق،ص 09. ينظر أيضا: مبخوت، بودواية، **العلاقات التجارية**، المرجع نفسه، ص،ص 15،17.

[4] عطية، الفيتوري، مرجع سابق ،ص 280.

[5] الحسن، الوزان ،**وصف إفريقيا**، مصدر سابق، ص169.

وقد أسست مدينة غاو أو- كاغو*- أواخر القرن الثاني الهجري الموافق للثامن ميلادي، وهي الواقعة على الجهة الشرقية لمنحى نهر النيجر[1].

وهي المدينة التي اختارها ملوك سنغاي- الأساقي- لتكون عاصمة لمملكتهم. و قد بلغت ذروتها في القرن الخامس عشر ميلادي بحيث شاعت تجارها و زادت عمارتها، و يذكر محمود كعت في الفتاش أنها في 1585م أحصيت فيها 7626 دارا و بلغت سبعين ألف نسمة تعداد سكانها[2].

تبعد هذه المدينة عن تمبكتو بمائة وخمسين فرسخ حسب كتاب أفريقيا لكربخال[3].

اعتمدت لتكون عاصمة لدولة سنغاي عامرة بالتجار و رجال الدولة بها قصور الملك و رؤساء مملكته، بينما كانت تمبكتو عاصمة ثقافية[4].

ويقول الإدرسي أنّها واقعة جنوب مدينة تادمكت بتسع مراحل[5]، تعدّ سوقا واسعة للملح والذهب والبضائع المحملة من كل حدب وصوب: من خيول وجمال وأحمرة هذا الذي ذكره الوزان.[6]

وفد على أديها علماء صلحاء كالسعدي و محمود كعت و عبد الكريم المغيلي على أيام الأسقيا محمد خلال القرن الخامس عشر فكان نافعا شافعا علي كامل السودان الغربي وتوات[7].

---

* كاقو هي المدينة التي يقول عنها حسن الوزان: " مدينة عظيمة غير مسورة، بعيدة بنحو 400 ميل عن تمبوكتو إلى الجنوب الشرقي، دورها قبيحة علي العموم إلا حيث يسكن الملك وحاشيته وسكانها أغنياء ..." ينظر: حسن، الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 169.

[1] يحي، بوعزيز، **المسلمون في غرب إفريقيا**، مرجع سابق، ص191.

[2] محمود، كعت، **تاريخ الفتاش** ، مصدر سابق، ص 46.

[3] مارمول، كربخال، **إفريقيا**، ج3، مصدر سابق، ص 804.

[4] عبد القادر، زبادية، مرجع سابق، ص 108.

[5] الإدريسي، مصدر سابق، ص 11، ينظر: إبن خلدون، **العبر**، ج1، مصدر سابق، ص 93.

[6] الوزان، المصدر نفسه، ص ص 169- 170.

[7] عبد الحميد، بكري، **لبذة في تاريخ ثواني و أعلامها من ق 9هـ** ، ط2 ،الجزائر: دار الغرب للنشر و التوزيع، 2007،ص74.

***مدينة جني**

هي واحدة من أهم حواضر السودان الغربي، معاصرة في نشأتها لمدينة تنبوكتو، تقع في الجنوب الغربي منها على خطّ عرض 13° شمـــالا و خط طول 9° شرقا، موجودة في دلتا نهر النيجر على أنقاض إحدى مدن غانة.[1]

تضارب المؤرخون في تاريخ نشأتها فبعضهم قال ما بين 354-436 هـــ و آخرون يرون أنّه كان ما بين 494هـــــ-495هـــــ، و الفرق بينهما ليس بالهيّن[2] و آخرون يرجعون تاريخ التأسيس للقرن الثالث* الهجري، أمّا البعض الآخر فيرجع تاريخ بنائها إلى ما قبل التاريخ.

ارتبط ازدهارها بتاريخ تمبكتو،حيث يقول السعدي عنها:"... إنّها مدينة عظيمة ميمونة مباركة، ذات سعة و بركة و رحمة، جعل الله في أرضها خلقـــــا و جبلّـــــة، و طبيعـــــة أهلـــــها التلاحم و التعاطـــف و المواســـاة..."[3]

أصبحت جني مكان إلتقاء للتجار و موضع تبادل البضائع، فأضحت ثالث أهم مدينة في السودان الغربي منذ منتصف القرن الثاني عشر بعـــــد " تمبكتو "وغاو"[4] و لا أدّل عن أهمية المدينة أكثر من شهادة من عاصرها، كمحمود كعت التمبوكتي و عبد الرحمن السعدي حيـــث يقول السعدي: " هي سوق عظيم من أسواق المسلمين و فيها يلتقى أرباب الملح و الذهب و كلاّ من المعدنين المباركين ما كان مثلهما في الدنيا كلّها فوجد الناس في التجارة إليها كثيرا و جمعوا من الأموال مالا يحصى..."[5]

أمّا الجانب العلمي فقد كانت جني في الواجهة مثلها مثل " تمبكتو"، حيث كان لها شأنا كبيرا لمّا توافد على أديمها من العلماء و الصالحاء من غير أهلها و ما ميّز المدينة أيضا اهتمام سلاطينها- الأساقي- بالرفع من شأنها ثقافيا حيث اهتموا بأمورها و احترامهم العلماء فيها

---

[1] يحي، بوعزيز، مرجع سابق، ص 193.

[2] مبخوت ، بودواية ،**العلاقات التجارية**، مرجع سابق ص 54.

* لقد عرفت مدينة جني الإسلام في القرن الثالث عشر على يد المرابطين، ممّا يؤكدّ الرأي القائل أنّ تاريخ التأسيس كان قبل ذلك التاريخ، ينظر: مبخوت، بودواية، المرجع نفسه، ص ص 54،55.

[3] عبد الرحمن، السعدي، مصدر سابق، ص 175.

[4] عبد القادر، زبادية، **المملكة**، سنغاي، مرجع سابق، ص106.

[5] عبد، الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 71.

والقادمين إليها لطلب العلم.[1] عرفت هذه المدينة نوع من الاستقلالية لأنها كانت تحت يد قبيلة السوننكي حتى سنة 1473م و لم تنضو لحكام مالي ولكن كانت مسالمة لها، حين أصبح الحلّ و الربط في يد الأساقي فقد خضعت جني" و قبيلتها إلى حكمهم خاصة في عهد حكم " سنى علي".[2]

منطقة تيكورارين

نجد هذا القطاع في مدخل إقليم توات من الجهة الشمالية أي هي البوابة الشمالية لها و ما وراء الصحراء الكبرى، يحيط بها العرق الغربي الكبير من الشمال مشكلا جدار سدّ للمنطقة.[3]

و من الجنوب يحدها هضبة تادميت غربا تنتهي بسبخة تيكوارين و شرقا بحوض وادي ميقيدون مع جبال صخرية، تشرف على هضاب تبلغ مائة كيلومتر من العرض، كما تضم مجموعة من المنخفضات التي توجد بها مجموعة قصور كلها متمركزة في الشمال.[4]

و نجد هذه المنطقة في جموع الكتابات بأسماء كثيرة كقورارة أو تيميمون. من قصورها (أوقروت، تبلكوزة، أجريفت، تيميمون، تسابيت).[5]

قصور أوقروت: تضم أربعة عشرة قصرا واقع في نهاية السهل الكبير لواد أمقيدون- يمتد من الشمال إلى الجنوب، أهم قصوره قصر بوقمّة يقع على بعد 340 كلم من المنيعة.[6]

---

[1] عبد الرحمن السعدي، **تاريخ السودان** ، المصدر السابق،ص 172 ينظر أيضا: يحي، بوعزيز، **المسلمون في غرب إفريقيا**، مرجع سابق، ص191.

[2] عبد القادر، زبادية، **مملكة سنغاي**، مرجع سابق، ص107.

* تيكورارين تقع في صحراء نوميديا حسب مارمول كربخال ، تبعد عن تسين بنحو أربعين فرسخا ، سكن أهلها بخمسين قصرا متفرعة بأكثر من مائة مدشر والنخيل الفسيح ، أهلها أغنياء ينتقلون كثيرا لسودان ، يمتهنون التجارة التي تدر لهم أرباحا طائلة..."-بتصرف ، ينظر: مارمول، كربخال، مصدر سابق، ج**3** ،ص 164 ، ويقول الحسن الوزان أن تيكورارين كلمة بربرية تعني الثكنات العسكرية ، ينظر : حسن، الوزان ، المصدر نفسه،ص ، 133.

[3] صالح، حوتية، **توات و الأزواد**، ج1 ، مرجع سابق، ص 28.

[4] صالح، بوسليم، مرجع سابق، ص19.

[5] محمود، فرج، مرجع سابق، ص02.

[6] العياشي، **الرحلة العياشة**. تحقيق: حميدسي، مصدر سابق، ص 70

قصور تيميمون: متمركزة على حواف سبخة القورارة، تضم سبعة و عشرين قصر تنطلق منها مسالك كثيرة رابطة بين المنيعة و تبلكوزة و تيديكلت و توات الحنّا، معظم سكانه من زناتة يتكلمون اللهجة البربرية الزناتية.[1]

قصور تسابيت: تشمل على إحدى عشرة قصرا أهمها قصر برينكان و عريان الرأس، واقعة على بعد ستة و ثلاثين كيلو متر غرب منطقة الدغامشا وعلي بعد 40كلم من واد مسعود، تتميز بكثرة نخيلها وهي أول عمالة بإقليم توات [2].

***منطقة توات الوسطى- تسوات**

تسمى هذه المنطقة في الكثير من المراجع- توات الحنّا* لتوفر هذه المادة فيها، تمتد من تيديكلت ووادي مسعود شمالا إلى الجانب الغربي يحدها وادي الساورة غربا الذي يتفرع إلى وادي مسعود مساحتها مقدرة بمائتي كيلومتر. تتميز أرض المنطقة بالخصوبة لذلك نجد فيها واحات كثيرة لزراعة النحيل، مؤلفة من جمع هام من القصور نذكر بعضها.[3]

قصور بودة: تعبد عن قصور تيمي بأربعين كيلومتر شرقا، تتمركزعلى الوادي الموازي لوادي مسعود، عدد قصورها ثلاثة عشرة قصرا، تنقسم إلى مقاطعتين بودة الفوقانية(العليا) و بودة السلفي أو التحتانية، منها قصر القصيبة، أولاد عيش، الغماريين، بن أدراعو ودران ، زاوية سيدي حيدة... [4].

يقول عنها إبن بطوطة أنّها كثيرة التمر، هي أكبر قرى توات بها رمال وسباخ.[5]

قصور تمنطيط: تضم سبعة قصور منها: أولادالحاج، مامون، أنكير قصور بلحاج، بوقادي، توكي، بنكور، نومناس.[6] و قد تحدّث عنها صاحب القول البسيط بأنّها كانت عاصمة إقليم توات مدينة

---

[1] صالح، حوتية، مرجع سابق، ص30 وينظر أيضا: صالح، بوسليم، مرجع سابق، ص 20.

[2] العياشي، **رحلة العياشي**، مصدر سابق، ص20 وينظر : مارمول ، كربخال ، مصدر سابق، ج3 ، ص 163 .

* الحنانا: نبتة تنتج في منطقة توات الوسطى، تسمى بتوات الحنا أشجارها ترتفع من الأرض بحوالي أربعين إلى خمسين سنتمتر، تزرع على حواف السواقي. ينظر محمد، حوتية، مرجع سابق، ص ص118-119.

[3] صالح، حوتية، **توات و الأزواد**، ج1 ، ص32، صالح، بوسليم، مرجع سابق، ص 23.

[4] بلعالم، **الرحلة العلية**،ج1 ، مرجع سابق، ص11.

[5] ابن بطوطة، مرجع سابق،ج2، ص ص210-211.

[6] بلعالم، ، مرجع سابق، ص 12.

عامرة بالعلم و العمارة و التجارة.[1] تقع جنوب قصر تيمي بحوالي إثنا عشر كيلومتر و أهم قصورها (تاسفاوت، أولاد الحاج، تامست سالي و قصور زاوية كنتة.[2]

***منطقة تيديكلت:**

هي ثالث أهم المناطق الثلاثة في إقليم توات، واقعة عند سفح هضبة تادميت، يحدها شمالا الهضبة السالفة الذكر و من جنوب واد غاريت و هضبة مويدر، و من الشرق إيغرغارين و من الغرب تحدّها منطقة توات – تسوات- مع صحراء تزروفت تضمّ شريط سهلي رملي بطول 220كلم من فقارة الزوي شرفا إلى تمقطن غربا [3].

تتميز المنطقة بموقعها الإستراتيجي الهام بحيث تعدّ ملتقى طرق القوافل التجارية المقبلة من كل إتجاه ذهابا و إيّابا. أيضا تزحر تيديكلت بوفرة المياه الجوفية، تضمّ أهم قصور الإقليم[4].

قصور عين صالح : يوجد على بعد حوالي خمسين كيلومتر شرق إينغر و أربعمائة و عشرين كيلومتر، كل هذه المسافات مقدّرة بحسب مسالك الإبل، تحتوي على إثني عشر قصرا أهمها قصر العرب.[5]

قصور إينغر: نجدها بين مقاطعة تيط و عين صالح على منحدر هضبة تادميت، بها سبعة قصور منها قصر لكحل الفوقاني و مليانة، قصر لكحل التحتاني، قصر أقبور.[6]

قصور تيط: تتجمع تلك القصور على ربوات تسمى " الكرب" مشكلة ملتقى لمنحدر الهضبة السفلى لتادميت، تتواصل تلك القصور* لتصل إلى عين صالح، أهمها قصر الشرفاء.[7]

---

[1] ابن بابا، حيدة ، مصدر سابق،ص ص 13 – 14.

[2] صالح، حوتية، مرجع سابق، ص 33.

[3] صالح، بوسليم، مرجع سابق، ص 27.باي، بلعالم، مرجع سابق ،ج1،ص 18،9.

[4] بلعالم، باي، **الرحلة العلية**، ج[1]، مرجع سابق،ص ص 9-18.

[5] عبد الله، كروم، **الرحلات**، مرجع سابق، ص22 .

[6] صالح، بوسليم، المرجع السابق، ص26.

* القصور عبارة عن تجمع سكاني يربطهم القرابة أو المصالح المشتركة ، لهم روابط اجتماعية وعادات كما يميزهم طابع بناء واحد .ينظر :

Déporter, La question du Touat au Sahara algérien, Alger : Fontana, 1891, p16-5

[7] صالح، بوسليم، المرجع السابق، ص26.

2-2-إنتشار اللغة العربية :

ارتبطت الدعوة الإسلامية في بلاد السودان الغربي باللغة العربية كما هو الحال في إفريقيا شمالا، لأنّها لسان القرآن و السبيل لمعرفة تعاليمه [1]، حيث يؤدي المسلم بها صلاته و بها يتلو قرآنه و يقرأ علوم الشرع و السنّة.[2]

و يكفينا فخرا بهذه اللّغة أن أحبها الرسول صلى الله عليه و سلم قائلا: " أحبّ العربية لثلاث لأني عربي و القرآن عربي و لغة أهل الجنّة العربية" [3]، بل و يمكن أن نحصر انتشار اللغة العربية في دواخل دواخل إفريقيا قبل وصول الإسلام إليه، حيث تعامل التجار العرب بها مع أهل تلك الأمصار و تعودت أذان أهل السودان الغربي على سماعها فجاء الإسلام ليؤصلها ويوصلها بشكل أكبر و أدق.[4]

و يمكن القول أن عملية إنتشار اللغة العربية راجعة للعلاقات التجارية بين المغرب الإسلامي و غرب إفريقيا منذ القرن السابع الميلادي و رواجها في القرن الحادي عشر و جاء الإسلام و عزز الأواصر[5].

حيث يعلم الجميع أن العملية التجارية تلزمها لغة التخاطب بين البائع و المشتري فبدأ هؤلاء التجار يدخلون بعض المفردات العربية في المعاملات التجارية فالتقطها السودانيون و كما سبق الذكر بأن التاجر كان الرسول الأمثل لنشر الإسلام إلى تلك الأمصار بأخلاقه و معاملته ولغته[6].

و يمكن القول أنّ العلاقات التجارية بين المغرب الإسلامي و السودان الغربي و التي نقلت الإسلام إلى أديمها الأسمر و جلبت معها الحضارة التي أصّلتها اللّغة العربية بدأت القرن السابع

---

[1] سير، أحمد، العراقي، **انتشار اللغة العربية في بلاد غرب إفريقيا عبر التاريخ** . السودان: جامعة أمدرمان الإسلامية. مقالة على شبكة الانترنيت 03/02/10.

[2] إبراهيم، طرخان، **الإسلام و اللغة العربية في السودان الأوسط و الغربي**، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، ع2، 1389 هـ، ص15.

[3] رواه الطبراني في الأوساط و الحاكم و البيهقي في شعب الإيمان و غيره عن أبي العباس رضي الله عنه، و هذا الحديث حكم عليه ابن الجوزي بالوضع و قال الذهبي: أظن الحديث موضوعا و قال الألباني في سلسلة الضعيفة رقم 160.

[4] صالح، أبو سليم، مرجع سابق، ص، ص 372.371.

[5] أحمد، العراقي، المرجع نفسه، دون صفحة- على شبكة الانترنيت، صالح، أبو سليم، المرجع نفسه، ص 372.

[6] أحمد، العراقي، مرجع نفسه، ص 372.

ميلادي وتعززت في القرن الحادي عشر حيث وجد الإفريقي ذلك الرقي في اللغة العربية مقارنة باللهجات المحلية[1].

و لنقل أنّ هذه اللغة الأصيلة أثرت في بعض اللهجات المحلية حين نجد الكلمات و التعابير العربية في كل من الهوسا و الفولاني، خاصة في أسماء بعض البضائع و السلع مثل كلمة السرج، الحرير، الزعفران، اللجام، القلم و الدواة... إلخ، بل أكثر من ذلك نجد أنّ الحروف العربية استخدمت في كتابة لغة الهوسا و الفولاني[2].

ثم نعود و نؤكّد أنّ من أصّل اللغة العربية عامل الدين إذا اعتبرنا أنّها ترجمان القرآن و لسان حال هذا المذهب العزيز بشرعه وسنته[3].

فكان لا بدّ لمعتنق الإسلام أن ينطق الشهادتين بالعربية و يتعلّمها ليؤدي صلاته هذا أقل ما يفعل[4].

و من العوامل الأخرى التي ساعدت على انتشار و ازدهار اللّغة في تلك الأمصار أنّ ملوكها ادّعوا الانتماء لأصول شرقية عربية قبل مجيء الإسلام، و فعلا فقد نجد في العديد من الكتابات عامل الهجرة للقبائل العربية جنوب الصحراء من قبائل بني هلال و المعاقل و غيرهم و كان ذلك عامل آخر في نشر اللّغة و الدين أيضا[5].

وقد شهدت اللغة العربية أزهى عصورها مع عهود ملوك الدول الكبرى في السودان بغانا ومالي وسنغاي، حيث اتخذوها اللغة الرسمية للبلاد واستخدمت في مجال الحكم والإدارة والقضاء[6]، فيذكر فيذكر ابن حوقل أن ملك أوداغشت مثلا كان شديد الحماس لنشر الإسلام ولغة والقرآن[7].

---

[1] أحمد، العراقي، المرجع السابق، مقال على شبكة الانترنيت 03/04/10 و ينظر أيضا: إبراهيم، طرخان، مرجع سابق.ص 16.

[2] عمّار،هلال، **الطرق الصوفية**، مرجع سابق، ص ص 44.41 ينظر أيضا: صالح، أبو سليم، مرجع سابق، ص، 372، يحي، بوعزيز، مرجع سابق، ص186.

[3] هلال، عمّار، المرجع نفسه، ص45. ينظر: أحمد، العراقي، المرجع نفسه.

[4] هلال، عمّار، المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[5] محمد، فاضل، إبراهيم كريدية، مرجع سابق، ص 21. ينظر أيضا: إبراهيم، ميغا، مرجع سابق، ص 16. ينظر: إسماعيل العربي، **مسالك الإسلام و العربية إلى الصحراء**، مجلة الثقافة، 1981 ع:62، الجزائر، ص 44.

[6] يحي ، بوعزيز ، المرجع نفسه، ص ص 186-187.

[7] ابن حوقل، مصدر سابق، ص 101.

بينما البكري يذكر(ت 1094) أنّ جيشا من بني أمية وصلوا إلي السودان الغربي للفتح في صدر الإسلام واستقرت ذرية منهم إلي غانة[1] ثم يذكر القلقشندي أن أهل غانا أسلموا في أول الفتح[2].

ويؤكد ابن بطوطة عناية ملوك السودان الغربي عندما زار أحد ممالكها مالي سنة 753هـ/1352 – باللغة العربية التي تسمح لهم حفظ كتاب الله الحكيم قائلا: «...وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه فلا تفك عنهم حتى يحفظوه، ولقد دخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون فقلت ألا تسرحهم فقال لا أفعل حتى يحفظوا القرآن... »[3].

لقد كانت اللغة العربية لغة عبادة وثقافة علاوة على كونها لغة تجارة ممّا زاد في عملية الترحال بين إقليم توات والسودان الغربي بين العلماء والطلاب والتجار الذين استقرّ بهم الأمر هناك فيتزوجون ويتوالدون ويؤصلون الدين واللغة[4].

لقد بلغت اللغة العربية في بلاد غرب إفريقيا أهمية وسعة انتشار بالغتين لما قدمته من تطور حضاري صحّح المفاهيم، وعلاّ الحسّ الفني هناك هذا الذي يذكره أرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام قائلا : « ... و بلغت اللّغة العربية و هي اللغة التي يكتب بها دائما الكتب الدينية الإسلامية حدّا يفوق كل وصف من الفنّ و الجمال و إذا تعلّم الإفريقيون هذه اللّغة أصبحت لغة التخاطب بين أهالي نصف هذه القارة، و تستخدم كمقدمة لدراسة الأدب، بل مكتوبة حلت محل التروات شيخ القبيلة الاستبدادية، وهذا يعتبر في حد ذاته تقدما في الحضارة...»[5].

---

[1] البكري، **المغرب في ذكر إفريقيا و المغرب**، مصدر سابق، ص 179.

[2] القلقشندي، مصدر سابق، ص 126.

[3] ابن بطوطة، **تحفة النظار**، طبعة بولاق، 1934، ج2، ص312.

[4] محمد جلال، عباس، **اللّغة العربية في إفريقيا، محلية الدارة**، السنة التاسعة، ع: 10 الرياض1983، ص 180.

[5] السيد، توماس و أرنولد ، **الدعوة إلى الإسلام**، ص 398.

لذلك نجد أن جميع المعارف التي تدرس في غرب إفريقيا و تناقش باللغة العربية كما أضحت اللّغة الرّسمية، و كثرت المكتبات التي تضم التآليف و الدواوين العربية في حواضر السودان الغربي كتمبكتو و غاو و غيرهما[1].

إذن فقد انتشرت اللّغة العربية في السودان الغربي بعدة عوامل أولّها روح الدين الإسلامي التي تلبسه اللّغة ثم واصل العلماء و التجار تعميم استعمالها لتأتي الطرق الصوفية و الزوايا و تثبت هذا الاستعمال، و قد كان لزوايا إقليم توات الفضل الكبير في تحقيق التعريب و بث معارفه بين الناس[2].

[1] عبد الحميد، الهرامة، **تمبكتو نافذة على تاريخ و التراث الإسلامي** ، مرجع سابق، ص 230، حلال، عباس، مرجع سابق، ص 180.

[2] صالح، بوسليم، مرجع سابق، ص 374.

الفصل الثالث

الواقع الثقافي في إقليم توات و بلاد السودان الغربي

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

﴿ تعلم العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ﴾

المبحث الأول: الواقع الثقافي لإقليم توات

1-المؤسسات التعليمية:

بدأ إقليم توات في الارتقاء شيئا فشيئا منذ دخول الإسلام إليه، وقد بلغت المنطقة أوجها مع بداية القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي، حتى وصف بالعصر الذهبي.

وقد ساهم في عملية الارتقاء تلك مشاهير العلماء القائمين هناك من أهلها والوافدين إليها الذين ساهموا في تفعيل دولاب الحركة الثقافية[1]، فكثرت الكتاتيب التي تعد اللبنة الأولى في حركة التعليم، ثم المساجد التي كانت القاعدة المتينة في تعاليم الدين وجمع شمل المسلمين[2].

أيضا نجد الزوايا التي ساهمت بشكل واسع في المحافظة على الدين الإسلامي والطابع الروحي للتعليم، بحيث تعد مرحلة ثانية للتعليم بعد أن ينتقل من المرحلة الابتدائية ليصل على المراحل العليا للعلم بفروعه وتخصصاته[3].

وقد تمتعت توات بحياة ثقافية حافلة خلال القرن التاسع الهجري، فأضاءت بنورها كامل الصحراء وما وراءها، فلم تحد توات عن موطنها المغرب الأوسط حيث تأثرت بانتمائها للمغرب الأوسط الذي كان مركز إشعاع فكري وعلمي[4].

وقد أصبحت تلك المؤسسات الثقافية مقياسا هاما يقاس به الواقع الثقافي لتوات وغيرها من الأقاليم، حيث تنوعت كما سبق وذكرنا بين المساجد والزوايا والكتاتيب، ثم حركة العلماء ونشاطهم الذي أضفى على تلك المؤسسات طابعها الحركي النابض بالتفاعل[5].

---

[1] أحمد، لحميدي، مرجع سابق، ص66.

[2] مبخوت، بودواية، **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان**، مرجع سابق، ص 61.

[3] فرج محمود، فرج، مرجع سابق، ص 85 – 86.

[4] عبد الحميد، حاجيات، **الحركة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان**، مجلة الأصالة، ع:26، جويلية – أوت 1975، ص155.

[5] عبد الحميد، بكري، **النبذة في تاريخ توات وأعلامها**، مرجع سابق،ص44 – 46، وينظر أيضا: عبد القادر، زبادية، **الحضارة العربية**، مرجع سابق، ص 77- 78.

1-1 – الكتاتيب:

هو مكان خصصه المسلمون لتعليم صبيانهم مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن والأحاديث النبوية، مع شيء من النحو والصرف.

وهذا الرأي يؤكده أبو حامد الغزالي حين يتكلم عن الموضوعات التي تُعلَّم في الكتاتيب: "القرآن الكريم، وأحاديث الأخيار، وحكايات الأبرار وأحوالهم، وبعض الأحكام الدينية والشعر"[1]، والشائع في وظيفة الكتاب تحفيظ الصبيان القرآن الكريم وتأدية الصلاة[2].

والكتاتيب لغة جمع لمفرد كتاب، بضم الكاف وتفخيم التاء الممدودة، وياء ساكنة، لكن بعض اللغويين يرون غير ذلك بحيث يفرضون الرأي القاضي بأن الكتاتيب جمع لكلمة مكتب، وجمعها مكاتب، وهي اللفظة الصحيحة اعتمادا على الرأي التالي: "المكتب موضع للتعليم، والمكتَّب بفتح الكاف وتشديد التاء وكسره المعلم، والكتَّاب هم الصبيان، ومن جعل الموضع الكتَّاب فقد أخطأ..."[3].

وقد اتخذ المسلمون مبنى صغير متواضع جدا وخصصوه للكتاب، منفصل عن المسجد لمقاصد كثيرة أهمها تفادي دخول الغير بالغين لبيت الله احتراسا لتفادي النجاسة وما شابه ذلك[4].

ويتم الالتحاق بالكتاب في السن الرابعة والخامسة، فمتى تأتى للطفل الكلام والإفصاح بشكل صريح استطاع الالتحاق[5].

وفي هذا الشأن يقول صاحب كتاب قطف الزهرات:"فلما بلغت سن التعليم أدخلني سيدي والدي مكتب القرآن، عند عمنا ومقرئ بلدنا البركة الربانية والأسرار الرحمانية..."[6].

---

[1] أبو حامد، الغزالي، **إحياء علوم الدين**، بيروت، دار القلم، د ت،ج3، ص53.

[2] صالح، بوسليم، مرجع سابق، ص146.

[3] أحمد، أمين، **ضحى الإسلام**، ط2، مصر، مكتبة النهضة، ج2،1935، ص50.

[4] صالح، بوسليم، المرجع نفسه، ص148.

[5] محمد، باي بلعالم، **الرحلة العلية**، ج1، مرجع سابق، ص262.

[6] عبد العزيز، سيدي عمر، **قطف الزهرات في أخبار علماء توات**، ط2، الجزائر، دار هومة، 2002م، ص9 – 10.

والكتاب بلغة أهل توات يسمى " أقربيش" وهي كلمة زناتية ، أو تسمى بالمحضرة[1] خاصة في منطقة بودة[2].

وقد انحصرت وظيفة الكتاب أو الأقربيش في توات وفي عامة أقاليم العالم الإسلامي في تهيئة الطالب للدخول للمرحلة الثانية في المدارس أو الزوايا أو المساجد، بحيث يلم بالخط وفنونه، وباللغة العربية وضروبها زيادة على الحرص على عملية تحفيظ القرآن عن ظهر قلب[3]، وطبعا تلك الوظائف كلها تحتاج إلى معلم ضليع بالأمور السالفة الذكر، والذي تطلق عليه الأسماء التالية: المؤدب، الشيخ، المرشد أو المولى.

ويمكن الجزم أن تحفيظ القرآن للصبيان في الكتاب هو أول ما ينبني عليه التعليم بكل أطواره[4]، وهذا من خلال تجربة أسلافنا أولهم كما يذكر ابن خلدون في مقدمته: (...اعلم أن تعليم الولدان القرآن من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات ثم اختصت العوائد الإسلامية بتقديم دراسة القرآن الكريم، للتبرك وخشية ما يعترض للولد من جنون الصبا والآفات والقواطع فيفوته القرآن)[5].

وعن أجرة المرشد أو الشيخ فكانت حصة من التمر والقمح سنويا تدفعها الأسرة مقابل تعلمه القرآن، أما الصبي فكان لزاما عليه أن يطعم دابة المعلم، نظير تعلمه[6].

وأما عند ختم أحد الصبية للقرآن فكانت تحتفي به أسرته أيما احتفاء، مما يدل على اهتمام أهل توات بالعلم وحفظ القرآن الكريم.

---

[1] المحضرة: اسم شاع في بلاد شنقيط، لكنها ليست بنفس المفهوم بحيث تعني عندهم تلك الجامعات التي تستقبل الطلبة الوافدين، بحيث توفر لهم ما يحبون من ضروب العلم والمعرفة. ينظر: خليل، النحوي، مرجع سابق، ص 54.

[2] صالح، بوسليم، المرجع السابق، ص148، ينظر أيضا: الصديق، الحاج أحمد، مرجع سابق، ص45.

[3] صالح، بوسليم، المرجع نفسه، ص149، أحمد، لحمدي،ص73.

[4] فرج، محمود فرج، مرجع سابق،ص86.

[5] ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص279، 280).

[6] فرج محمود، المرجع نفسه، ص86.

2-1الزوايا:

تعد الزوايا ركنا متينا في هيكل المؤسسات العلمية في توات وغيرها، وذلك لعظم الدور القائمة بهن وإن كانت في تعريفها اللغوي تعني أحد أركان المسجد.

وكلمة زاوية مشتقة من فعل انزوى يتزوي، وزوى تعني ابتعد وانعزل، وفعل زوا الشيء زيا جمعه وقبضه[1].

وفي الحديث: (زويت في الأرض فأريت مشارقها ومغاربها)، وقد أطلقت هذه التسمية في بادية الأمر على صومعة الراهب المسيحي، ثم أطلقت هذه الكلمة على المصلى – تلك المساجد الصغيرة التي تقام فيه الصلوات الخمسة – وما زالت هذه الكلمة تحمل نفس المعنى في المشرق، أما في المغرب الإسلامي فكلمة زاوية فهي مبنى يميزه الطابع الديني يمكنه أن يشبه الدير في مفهومه، فهي مدرسة دينية مجانية[2].

إذن فمفهوم الزاوية[3] بهذا الشكل اشتقت من فعل زوى أي جمع، ففيها تتجمع الصفوف التي يختلط فيها الغير بالفقير، وطالب العلم، ثم تجمع فيها الأموال قصد تمويلها وتسييرها[4].

وأما المعنى الاصطلاحي لها، فهي مؤسسة دينية لها طابعها الاجتماعي الصوفي، يجتمع فيها المريدون، فهي وعاء الطرق الصوفية،تتخذ لإيواء الطلبة والزوار المسافرين، هذا الطابع الذي طغى على الزاوية خلال القرن العاشر هجري[5].

---

[1] حسان بجيدي، محمد عبد القادر، **الزوايا ودورها في حفظ المخطوطات**، مذكرة الليسانس، تخصص علم المكتبات والتوثيق، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة السانية، وهران، 2000 – 2001، ص04.

[2] محمد، نسيب، **زوايا العلم والقراءة بالجزائر**، بوزريعة، دار الفكر العربي، د ت، ص27.

[3] يطلق اسم الزاوية ويراد به مأوى المتصوفين و الفقراء، وقد أطلق ذلك اللفظ قديما في موقع بالبصرة في موقعة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث، وأطلق على بلد بالموصل، وأطلق على قرية بالأندلس وسميت بها مدينة من مدن ليبيا.

[4] محمد باي، بلعالم، أهداف نشأة الزوايا وواقعها في المنطقة، الملتقى الوطني الأول للزوايا بأدرار، أيام:3،2،1 ماي 2000م، 2000م، ص2.

[5] محمد، نسيب، المرجع نفسه، ص31، محمد، بلعالم، المرجع نفسه، ص2.

وإن حاولنا البحث في منشأ الزاوية فيذهب الكثير من المؤرخين إلى أن الزاوية أصلها الرباط[1]، وأصبحت ابتداء من القرن الرابع الهجري تعرف تحولا كبيرا، حيث أضحت مركزا تعليميا يقصدها العلماء لمزاولة أعمالهم وتدوين تآليفهم، وتتجمع فيها الطلبة المتسابقين لنيل شرف العلم والتعلم.

وقد أخذت الزاوية أسماء متعددة، فمثلا في المشرق سميت "بالخانقاه"، وقد كانت بيوتا صغيرة متلاصقة بالمساجد ومخصصة للذكر والعبادة والانقطاع والتأمل والتفكير، ومع مرور الزمن انفصلت عن المساجد وأصبحت قائمة بذاتها، لها وظائفها ومهامها التي تجاوزت الإيواء وتحفيظ القرآن، بل أصبحت شأنها شان المعاهد العليا، أين تدرس العلوم الدينية كالفقه والتفسير والحديث والعلوم اللغوية كالنحو والصرف والبلاغة[2].

أما عن الزوايا بتوات فقد أرساها رجال أكفاء صدقوا الله ما عاهدوا الله عليه، عرفوا بالصلاح والتقوى، فالكثير إن لم أقل كل الكتابات التي تناولت موضوع الزوايا في توات تؤكد على عراقتها بل هي ترتبط بتأسيس الإقليم نفسه، قنوات هي الزاوية والزاوية هي توات[3].

وتنقسم الزوايا في توات إلى زوايا العلم والقرءان وزوايا لإطعام والإصلاح ثم تطورت في القرن التاسع الهجري القرن الخامس عشر ميلادي لتصبح مدارس دعوية[4]، تدعوا للجهاد والإصلاح لذلك سنأتي لذكر أشهر الزوايا التي تأسست في الفترة ما بين القرن السابع والعاشر هجري.

---

[1] الرباط: جمع أربطة ورباطات وربط، لها أكثر من معنى، هو بناء عسكري يقام غالبا في نقطة الضعف عند الحدود، والمرابطون فيه يجمعون بين الدفاع عن الأرض – الجهاد – وبين العبادة والزهد. ينظر: محمد الأمين، بلغيث، **الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين**، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1406هـ/1986م، من المقدمة، ص2.

[2] محمد باي، بلعالم، الملتقى الأول للزوايا بأدرار، مرجع سابق، ص3.

[3] أحمد باي، بلعالم، الرحلة العلمية، مرجع سابق، ج1، ص ص 319-320.

[4] أحمد لجمدي، مرجع سابق، ص ص 68-69.

ينظر أيضا: عبد الحميد، البكري، مرجع سابق، ص 55.

1-2-1زاوية مولاي سليمان بن علي الإدريسي:

تعد هذه الزاوية من أقدم الزوايا وأنشطها، بحيث لا يكاد يخلو قصر من إقليم توات من هذه المؤسسات التعليمية، وقد حرك فعل تلك الزوايا العلماء النشطاء الذين عملوا على بث الروح العلمية في نفوس سكان المنطقة كما اعتبر مراكز إيواء وأمان للمسافرين سواءا قصدوا العلم او لم يقصدوا[1].

هي زاوية أسسها العالم الجليل الشريف مولاي سليمان بن علي القادم من فاس إلى توات سنة 580هـ/1208م في قصر أولاد أنقال إحدى قصور تيمي، اهتم ببناء هذه الزاوية ليعلم القرءان واللغة العربية وينشر الفكر الصوفي من خلال بث هذا التوجه في تلاميذه الذين أصبحوا أتباعا له[2].

اشتملت هذه الزاوية على مكتبة ثمينة جمعت فيها الكتب في مختلف العلوم من حديث وفقه وجغرافيا وفلك، حساب ، طب وغيرها، فذاع صيت الزاوية وشيخها وأصبحت قبلة للزائرين والسائلين حتى بعد وفاته* 670هـ[3]، حيث أقيم له ضريح في الزاوية من قبل موريديه، فأصبحت الزاوية بذلك مزارا للتجار الذين غمروها بالنفقات والهدايا ومعبرا للحجاج المارين بتوات قاصدين البقاع المقدسة.

1-2-2زاوية عبد الكريم المغيلي*:

اعتبر محمد عبد الكريم المغيلي من كبار علماء القرن التاسع الهجري، لما اشتهر به من سعة علوم والرأي الثاقب وحجته في الدين، أخذ العلم على يد كبار العلماء والصلحاء أمثال عبد

---

[1] محمد صالح حوتية، مرجع سابق، ص 234.

[2] أحمد لحمدي، مرجع سابق، ص 68.

* انتقل الشيخ في آخر عمره إلى قصر اولاد وشن وتوفي هناك، وفي مسألة وفاته وجدت تضارب في التواريخ وحتى في تاريخ وصوله إلى إقليم توات، فرجحت التاريخ الموجود في كتاب "بلعالم باي" "الرحلة العلية" لأنه من أهل المنطقة وأهل مكة أدرى بشعابها.

[3] عبد الحميد، البكري، النبذة في تالريخ توات، مرجع سابق، ص 65، ينظر أيضا، محمد بلعالم ، باي، المرجع السابق، ج1، ص 254، ينظر أيضا: صالح ، بوسيلم، المرجع السابق، ص 165.

* سنفرد للشيخ المغيلي ترجمة كاملة في هذا الفصل.

الرحمن الثعالبي** و الشيخ أبي العباس الوغليسي ببجاية، تشرب لواء الصوفية باسم القادرية من الثعالبي فأقسم على نشرها، و لم يجد في تلمسان الوسط لمناسب حين تتفذ اليهود إلى قمة الحكم[1] وسيطروا على التجارة في تلمسان فانتقل منها قائلا:

تلمسان أرض لا تليق بحالنا ولكـــن لطـــف الله نســـأل في القضا

وكيف يحب المـــرء أرضـــا يسوسها يهود وفجار ومن ليس يرتضى

فنزل بأرض توات تحديدا بتمنطيط سنة 882هـ/1465م فأخذ العلم [2] بزاوية يحي المنياري هناك، لكنه اختلف مع الشيخ في شأن حادثة اليهود، فسافر إلى قصر بوعلي أين أسس زاويته سنة 885هـ/1480م، وبدأ نشاطه الذي سرعان ما جمع فيه بين الدعوة التعليمية والدعوة إلى الجهاد مناديا بتطهير توات من جنس اليهود قائلا:

برئت للرب الودود من قرب أنصار اليهود[3]

فأعد العدة لضرب اليهود في توات من تازولت ، تاخفيفت وتمنطيط وجمع الناس من حوله وألب عليه ممن ساندوا اليهود وجعلهم أهل ذمة[4].

لهذه الزاوية الكثير من الأوقاف تتمثل في البساتين والأراضي والبيوت التي أوقفها أصحابها لهذه الزاوية، كما امتلكت نصيب كبير من مياه الفقاقير مما أضاف لها تلك الحركية النابضة في نشر

** عبد الرحمن الثعالبي (ت 875هـ/1470م) وهو ابن محمد بن مخلوف بن طلحة وينتهي نسبه إلى جعفر بن أبي طالب والعالم المصنف والولي الصالح والصوفي المتكلم ولد 785هـ/1384م بوادي يسر بالجنوب الشرقي للجزائر، تلقى علومه الأولى على يد والده ثم سافر إلى بجاية ثم قصد تونس وانتفع بعلمائها كالغبريني والبرزي وغيرهم.

ينظر: عبد المنعم ، القاسمي الحسني، **أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، ط1، ورقلة، دار الخليل القاسمي، 2005، ص 194.

[1] ناصر الدين، سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999، ص 266.

[2] أحمد لحمدي، مرجع سابق، ص 109.

[3] فرج، محمود فرج، مرجع سابق، ص 93، ينظر أيضا: صالح بوسليم، المرجع السابق، ص 165، أحمد لحمدي، المرجع نفسه، ص 70، ينظر أيضا: مبروك ، مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي .

[4] عبد المنعم، القاسمي الحسيني، المرجع نفسه، ص 325، أحمد، لحمدي، المرجع نفسه، ص70، صالح بوسليم، مرجع نفسه، ص 165.

تعاليم الدعوة وبث أفكارها إلى جهات عدة كبلاد السودان الغربي وبهذا الشكل حرص الشيخ على إقامة نظام إسلامي يبني به مجتمع موحدا تحكمه مبادئ الشريعة[1].

1-2-3زاوية بدريان:

تم تأسيس الزاوية من قبل الشيخ أبي محمد الجزولي*، أحد أبناء محمد بن سليمان الجزولي، من مشايخ القرن العاشر الهجري انتقل إلى قصر "تيزكرك" حيث أنشأ الزاوية الجزولية، ثم أسس عدة زوايا في قصور مختلفة كهذه الزاوية وزاوية بن عيسى وزاوية فاتيس وتمطوحت[2].

تولى تسيير الزاوية بعد وفاته (ت863هـ) ابنه محمد عبد الله الصوفي فقسم الزاوية إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول أوقفه لطلبة العلم وعابري السبيل، القسم الثاني أوقفه للفقراء حيث يتكون من أربعين سكننا وخمسة وثلاثين بيت، أما القسم الأخير فقد تركه لأبنائه وأحفاده.

اعتبرت تلك الزاوية حلقه وصل ربطت ومصدر إجماع للقبائل الموجودة حولها كقبائل الحنافسة، وولاد جرير، أولاد الحسين وأولاد سليمان مما أكسبه مكانة وهيبة كبيرتين في الإقليم[3].

"... وكانت لهذه الزاوية عدة اتصالات عملية مع شيوخ المنطقة وخارجها نذكر منها فتوى للشيخ محمد الشاذلي المالكي وأخرى للشيخ عمر بن علي البخاري أما فقهاء المنطقة فلهم عدة فتاوى تختص بشؤون الزاوية للقاضي سليمان بن الحوزي بأولاد سعيد تتعلق بأوقاف الزاوية"[4].

كما تضم هذه الزاوية خزانة للمخطوطات يصل عددها على المائة مخطوط سنة 1195هـ/1780م.

---

[1] أحمد لحمدي، المرجع السابق، ص 70.

* هو محمد بن سليمان بن داوود أبو عبد الله، ولد أوائل القرن التاسع الهجري، بأولاد سعيد ، سنة 806هـ بجزولة بالمغرب الأقصى، تلقى تعليمه الأول من ابيه الشيخ محمد بن سليمان ثم تتلمذ على يد مشايخة كثر منهم الشيخ الحاج بلقاسم بن الحسين والشيخ موسى بن مسعود الذي أخذ عنه التصوف، تصدر التدريس بمكة، برع في الفقه ، توفي سنة 869هـ ، ينظر: أحمد بابا، التنبكتي، نيل الابتهاج، مصدر سابق، ص 538، وينظر أيضا: عبد المنعم القاسمي، مرجع سابق، ص 270.

[2] صالح، حوتية، مرجع سابق، ص 235.

[3] (ـــــ، ـــــ)، المرجع نفسه، ص 236.

[4] نفسه، ص 236.

1-2-4 الزاوية الكنتية*:

تعد من أهم زوايا توات، يحدها شرقا قصر عربي وغربا القصبة وسبخة وادي مسعود، شمالا وادي عربي، أسسها الشيخ أحمد بن محمد الرقادي** سنة 99هـ/ 1590م على أرض اشتراها من أولاد جرير ومن أهل عزي ومن المقاطعة، اشتهر صيته وصيت الزاوية معا حتى توافد عليهما عدد لا بأس به من الطلبة من منطقة توات والأزواد من أقدس، تمبكتو، غاو، ... .

تعاقب على الزاوية علماء كثر نذكر منهم محمد بن علي (ت 1125-1708) محمد الصوفي بن محمد (1222هـ/1807م)[1].

1-3المساجد:

لكل مبنى أساس ولكل أساس عماد وعماد الإسلام العقيدة وأساس العقيدة الإيمان ولا يتم الإيمان إلا بتمام الأركان وكانت حكمة الله العزيز المتين أن أقام الإنسان على قاعدة الإرشاد والدين والتوجيه والتعليم وتوضيح الاعتقادات والإرادات والعبادات التي تتبع بالمعاملات والتي تضم الاختلاف والمنازعات وحفظ الأمانات[2]، فنصل بذلك إلى حدود الله التي نقف عندها ونمتثل إليها ولن يتأتى ذلك إلا بإقامة بيوت الله، وهذا بالفعل ما جسده رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين، فأول ما استقر أمره في المدينة المنورة فأسس أول جامع* في الإسلام حتى ينشر الدين وتعاليمه ففيه تتم الصلوات وتعرف العبادات وتحدد فيه المعاملات.

---

* سميت هذه الزاوية بهذا الإسم نسبة للشيخ عمر بن أحمد البكاي الكنتي (908-960هـ/1504-1553م)، نشر الطريقة القادرية التي أخذها عن والده وعن الشيخ عبد الكريم المغيلي، فكان للطريقة البكائية القادرية زوايا كثيرة في توات، كان والده أحمد البكاي أول من نشر الطريقة بعد الشيخ عبد الكريم، ينظر: عبد المنعم، القاسمي، مرجع سابق، ص 252.

** كان للشيخ الرقادي ثمانية أولاد: عمر، عبد الوهاب، عبد المومن، أحمد، علي، عبد القادر، محمد، مصطفى، عبد الله، وثلاث بنات، عائشة، فاطمة، خديجة، تصاهر مع الشريف مولاي أحمد، فساهم الإشراف في الزاوية، ينظر: عبد الله، الرقادي، نافذة عن تيديكلت، د. م. ن، أولف، 1998، ص 09.

[1] صالح، حوتية، المرجع السابق، ص 243.

[2] محمد باي، بلعالم، مرجع سابق، ج1، ص .

* يوضح أبو القاسم سعد الله في كتابه "التاريخ الثقافي" مفهوم الجامع والمسجد فيقول:"... كثير ما يختلط على الباحث اسم الجامع و المسجد والزاوية، فالجامع اصطلاحا أكبر حجما من المسجد، فهو الذي تودى فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة، والعيدين، وكثير ما يسمى أيضا جامع الخطبة، وبعض هذه الجوامع كان أيضا يسمى بالجامع الكبير..."، ينظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع سابق، ص 245.

لذلك فيعد المسجد أحد أهم مقومات الإسلام ورموزه فهو مكانا للعبادة ومركزا لاتخاذ القرارات ثم إنه مكانا للتأطير الروحي والإشعاع الفكري وأنموذج تربوي أخلاقي ترقى به النفوس ويتضاعف به الإيمان[1].

فيرتبط المسجد بالإسلام ارتباط الروح بالجسد، كما يرتبط القرءان الكريم باللغة العربية كل مرتبط بالآخر مشكلين حلقات تفسر هذا الدين الحنيف، وقد تعدت مهام المسجد منذ عهد النبي الكريم مهمة العبادة لتكون مجالس للقضاء وفك النزاعات، مجالس تحدد فيها الغزوات وتجسد فيها كل الطاعات[2].

إذن بهذا الشكل يكون المسجد رمز من رموز الدين للمسلمين في كل مكان، وفي توات أيضا لن يسير الأمر إلا على ذلك النحو، بحيث صارت حلقات للدروس اليومية، للعلوم التي كانت سائدة. وإن مسألة وجود المساجد في توات منذ زمن مبكر يوضح قضية اعتناق الإسلام لأهل توات في أول وأحدث عهده في إفريقيا ويعتبر مسجد تمنطيط شاهد على ما سبق بحيث يحمل محرابه التاريخ التالي [3] 106هـ/725م.

كثرت المساجد في توات وسادها المذهب المالكي، فاعتمدت تدريس العلوم البينية من حديث، تفسير وفقه على شكل حلقات والتي لعبت دورا كبيرا في حركة التعليم في الإقليم[4]، حيث تخرج من بيوت الله علماء أفاضل تنافسوا في العلم والمعرفة عملا بقول الله تعالى:" وفي ذلك فليتنافس المتنافسون".

فعقدوا المحاورات والمناظرات الفقهية بينهم مما زاد من سمعة المنطقة فأصبحت قبلة لمحبي العلم والمعرفة[5].

---

[1] صالح بوسليم، مرجع سابق، ص 153.

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 245.

[3] أحمد لحمدي، مرجع سابق، ص ص 15-21.

[4] صالح، بوسليم، المرجع نفسه، ص 156.

[5] محمد، بلعالم، الرحلة، ج2، مرجع سابق، ص 80.

"لقد جرت بين علماء توات محاورات* ومدارسات من خلال الفتاوى التي كانت ترد على المشايخ ويفتي فيها المفتي بحسب اجتهاده..."[1]، لذلك فقد أولى سكان إقليم توات اهتمام كبيرا لبناء المساجد فلم يخلوا قصر أو حي من بيوت الله لإقامة شعائر الدين[2].

3-أشهر أعلام إقليم توات:

تميز هذا الإقليم بالموقع الجغرافي الممتاز الرابط بين الشمال والجنوب وبالوقع التاريخي والحضاري، فقد لعبت دورا فعالا في نشر الثقافة الإسلامية العربية في الصحراء وما ورائها بل في الكثير من أمصار العالم خلال الفترة الوسيطة، فقد كانت آهلة بالعلماء والعظماء والفقهاء والأدباء[3].

عاش هؤلاء على أديم توات فمنهم من تلقى علومه فيها ومهم من كان ملقنا للعلم هناك، فكان منهم العالم والمعلم، القاي والأديب الفقيه واللبيب، فبلغت بذلك توات إشعاعا فكريا لا

---

* لقد جمعت توات علماء أجلاء في جميع العلوم، اتخذوا المساجد منابر علم للمدارسة والمحاورة، سنورد بعض من تلك المحاورة. مثلا: محاورة الشيخ المغيلي لجلال الدين السيوطي في موضوع علم المنطق، فكتب الشيخ المغيلي ما يلي :

سمعت بأمر ما سمعت بمثلـــه ... وكل حديث حكمه حكم أصلـــه

أيمكن أن المرء في العلم حجة ... وينهي عن الفرقان في بعض قولـــه

فرد عليه الشيخ السيوطي ما نصه:

حمدت إله العرش شكرا لفضله ... وأهدي صلاة للنبي وآله

عجبت لنظم ما سمعت بمثلـــه ... أتاني عن حبر أقر بنبله

إلى أن قال:

أقمت دليلا بالحديث و لم أقم ... دليلا على شخص بمذهب مثله

سلام على هذا الإمام فكم له ... لدي واعتـــــراف بفضلـــــه

ينظر: محمد باي بلعالم، الرحلة ، ج2، ص ص 85، 86.

[1] محمد، بلعالم ، "التعريف على بعض علماء الصحراء وما دار بينهم من المحاورات" محاضرة ألقيت في الملتقى الثقافي التربوي بأدرار ما بين 13 و20 مارس 1980، ص ص 1،2.

[2] صالح، بوسليم، المرجع نفسه، ص 157.

[3] محمد، بلعالم، الرحلة ، ج1، ص ص 78-79، ينظر أيضا: محمود فرج، مرجع سابق، ص ؟؟؟؟ ، محمد الصالح، حوتية، مرجع سابق، ج1، ص ص 267-268، عبد الحميد ، البكري، النبذة، مرجع سابق، ص ص 64-65.

ظهير له آنذاك[1]. حمل هؤلاء الرجال مسؤولية تبليغ الرسالة فتجلدوا بالصبر والمصابرة وتحملوا المشاق وتكبدوا الصعاب في سبيل نشر تعاليم الدين بين طبقات الأمة.

وفي هذا المنحى يقول الشيخ محمد بلعالم رحمة الله تعالى ما يلي :"... فما وهنوا لما أصابهم في سبيل تبليغ الدعوة الإسلامية... في ظروف حرجة لا تعرف المشي على الأرجل إلا الكاغد والمداد والقلم ولا من وسائل النقل إلا المشي على الأرجل ولا من الإنارة إلا الليف والزيت فتعلموا وعلموا وألفوا وكتبوا..."[2]

وفي هذا الصدد سنورد تراجم لبعض حملة العلم والين في هذا الإقليم.

***الشيخ سليمان بن علي بن عمر (ت.670هـ)**

هو أبو داوود سليمان بن مولاي على الشريف والذي ينتهي نسبه إلى إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن ابن سيدنا علي وسيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنهما، من مواليد فاس سنة 546هـ[3]، أخذ علمه الأول عن الشيخ علي بن حرزهم* هذا الأخير الذي أمره بالسفر إلى أرض توات سنة 580هـ.

وصل إلى قرية عريان الراس بتسابيت ومنها إلى قصر تيليلان سنة 581هـ واستقر في أولاد عيسى، تزوج هناك فرزق بأولاده أولهم مولاي عيسى ثم عبد الله الذي استقر أمره في قصر "**أمدر**" حتى توفي، علي وعبد الحق اللذان لازما قصرا "**أولا مطاع**"، أما عبد الصمد فقد توجه إلى بلاد التكروز[4].

---

[1] أحمد، لحمدي، مرجع سابق، ص ص 66-67، محمد، بلعالم، المرجع السابق، ص 79.

[2] محمد، باي بالعالم، المرجع نفسه، ص 79.

[3] أحمد، أبا الصافي الجعفري، **أبحاث في التراث**، ملتقى وطني، أدرار، 2008/08/03، ص 32.

* علي بن حرزهم: هو ابن إسماعيل بن عبد الله بن حرزهم الفاسي، فقيه عالم محدث حافظ صوفي يميل إلى علوم الباطن، أخذ العلم عن عمه أبي محمد وابن الغربي درس بمراكش وتاب على يده أناس كثر، فكثر أتباعه، توفي سنة تسع وخمسين وخمسمائة بفاس، ينظر: أبو العباس، أحمد، بن الخطيب، **الوفيات**، تحقيق: عادل نويهض، بيروت، د.م، 1971، ص283، ينظر أيضا: عبد المنعم، الحسني، مرجع سابق، ص167.

[4] صالح، حوتية، مرجع سابق، ج1، ص ص 274-275.

تميز الشريف مولاي سليمان بعلو مكانته، فقد كان أجلّ الناس بأخلاقه ودماثه فضائله، فقد اعتبر من أوائل الشرفاء ** الذين وفدوا إلى المنطقة لذل حضي بتلك المكانة وذلك الاهتمام، كان أول من أسس الزوايا بالأقليم –زاوية سيدي سليمان الإدريسي الشريف– [1].

كبر الشيخ سليمان في السن فانتقل إلى قصر "**أولاد واشن**" وظل مستقر هناك حتى توفي سنة 670هـ/1271م، ونظرا لمحبة الناس إليه والتفافهم به وتبني دعوته الإصلاحية، بني له ضريح في الزاوية فأصبح مزارا لأهل توات *** وللحجاج المارين بالمنطقة خاصة من بلاد السودان الغربي [2].

***الشيخ سيدي عيسى (ت 883هـ):**

هو عيسى بن أحمد بن بكر بن موسى بن أحمد بن محمد الناجم بن عبد الله بن الدائم بن عبد الرحمن بن إدريس إلى أن يصل نسبه إلى ابن عاصم بن عمر بن الخطاب الحفصي رضي الله عنه، ولد عام 801هـ وهو الشيخ القطب سيدي عيسى مؤسس قصر سيدي عيسى الشارف المسمى باسمه، تلقى علومه على يد الشيخ الحاج الشيخ أبا محمد بتلكوزة متنقلا بين قرارة وحاسي

** يقول بلعالم باي بهذا الشأن ما يلي:"... والحاصل أن جميع الشرفاء العلوين الموجودين في سائر بلديات تيديكلت وتوات وحرارة يرجع نسبهم إلى السيد مولاي علي الشريف السجلماسي ... كما يوجد أولاد مولاي سليمان في بعض قصور توات وفي متليلي فإن أصلهم من أولاد مولاي سليمان وهو أول من دخل إلى المغرب ونزل تلمسان... "، ينظر : محمد، باي بلعالم، الرحلة العلمية، ج2، مرجع سابق، ص 560.

[1] أحمد، الجعفري، المرجع السابق، ص 32، ينظر أيضا: محمد بلعالم ،الرحلة العلمية، ج2، نفسه، ص 560.

*** نظرا لسمعته الطيبة لم ينقطع ذكره حتى بعد وفاته مما جعل الشيخ البكري عبد الرحمن (1139هـ) يكتب فيه قصيدة رثاء هذه أبياتها:

سيـــد سليمـــان لجـــل علـــي ... وفسيل ابن حرزهم في الطريقة
فقت مجـــدا وســـوددا وكمـــالا ... وسلوكـــا شريعـــة وحقيقـــة
فقد حللت توات كالبدري يسري ... فيها مع الصفحـــات الأنقـــة
وبسطت يـــدك بالجـــود تعطـــى ... كل ذي أمال تيابـــا صفيقـــة
ومنحـــــت الزوار كـــل مـــرام ... دوحة سر بالغصون الوريقـــة
وهديـــت مـــن الخلائـــق جمـــا ... بلهدى بعد هوانهـــم بسحيقة.

[2] أحمد لحمدي، مرجع سابق، ص ص 68-69.

الحجر إلى أن تحصل على الإجازة ثم حول الاتجاه إلى تيمقطن* فيه فدرس الفقه والبلاغة، المنطق والحساب، علم التاريخ وتفسير القرءان الكريم[1].

تزوج الشيخ ورزق بستة أولاد وثلاث بنات وكانوا نباتا طيبا، نبغ فيهم ابنه عبد الله في مختلف العلوم وفي التفسير فواصل مسيرة والده الشيخ عيسى حيث زاول التدريس وبنى الفقاقير، أما العالم الشيخ عيسى فوافته المنية سنة 883هـ بالتقريب حسب ما يذكره الشيخ محمد بلعالم[2].

***الشيخ عبد الكريم المغيلي (ت 909هـ/1509م):**

هو محمد بن عبد الكريم بن محمد بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحي بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن العباس ... ويصل نسبه إلى الحسن المثنى ابن فاطمة الزهراء رضي الله عنها[3]، يجهل تاريخ ميلاده بالضبط، يعد من كبار علماء القرن التاسع الهجري ذاعت شهرته في سواحل إفريقيا ودواخلها[4].اكتسب تلك المكانة بجهده وإخلاصه لعلمه ومحبته لإعلاء كلمة الحق وشهد بذلك كبار العلماء منهم ابن بابا حيدة قائلا: "... وهو مشهور بالعلوم الظاهرة والولاية الباطنة، فهو آية الله في أرضه وحجته في شريعته..."[5]، ثم يمدحه الشيخ العلامة جلال الدين السيوطي قائلا:"... اسمعوا قولي يا إخواني، رأيت شيخا في الزمان، هو المغيل التلمساني، ليس له شبيه في البلدان، فيعلم التفسير والقرءان، وعلم النحو و المعان، وعلم البديع والبيان، وعلم المنطق والبرهان..."[6].

---

* أحد أهم قرى توات تضم أخنوس، أولاد الحاج، زاوية مولاي هيبة، قصبة السيد، قصر المهدي وغيرها من القصور، وهي تنتمي حاليا إلى دائرة أولف التي تضم بدورها ستة وعشرين قصرا، ينظر: محمد، بلعالم ، مرجع سابق، ج1، ص 18.

[1] محمد ، بلعالم، الرحلة العلمية، ج2، ص 575.

[2] محمد ، بلعالم، المرجع نفسه، ص 576.

[3] أحمد ، أبا الصادق الجعفري، **أبحاث في التراث**، ملتقى وطني، أدرار، 2008/08/03، ص 4.

[4] أحمد ، لحمدي، مرجع سابق، ص 70.

[5] ابن ، بابا حيدا، القول البسيط، مصدر سابق، ص 14، ابن مريم، البستان، مصدر سابق، ص 253، عبد الحميد ، حاحيات وآخرون، مرجع سابق، ص 445.

[6] محمود، فرح، مرجع سابق، ص 93.

ويقول عنه أحمد بابا التمبكتي ما يلي:"... خاتمة لمحققين الإمام العالم الفهامة القدوة الصالح السني أحد الأذكياء ممن له بسطة في الفهم والتقدم..."[1]، ثم وصفه ابن مريم في بستانه بالمقدام على الأمور الجسور الجريئ القلب، الفصيح اللسان، المحب في السنة الجدلي النظار المحقق[2].

نشأ وترعرع في تلمسان بالذات في مغيلة حيث يجهل تاريخ ميلاده[3]، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه ثم سافر لبجاية ليجالس العلماء ومنها إلى مدينة الجزائر حيث التقى بالعالم المتصوف عبد الرحمن الثعالبي الذي قربه منه حتى صاهره وزوجه ابنته لالة زينب دفينة أولاد سعيد يتيميمون[4]، فأخذ عنه لواء الدعوة باسم الطريقة القادرية[5].

اهتم المغيلي بتغذية رصيده المعرفي من خلال احتكاكه بكوكبة من العلماء الأجلاء فمنهم من تتلمذ على يده ومنهم من التقى بهم أهمهم حافظ التنسي (ت 899هـ)* أحمد بن يحي الونشريسي** (ت 914هـ) ، الصوفي الكبير إبراهيم التازي (866هـ)، ابن مرزوق الكفيف

---

[1] نيل الابتهاج، مج2، مصدر سابق، ص 265.

[2] ابن مريم، البستان، المصدر السابق، ص 253، أبو سالم، العياشي، ماء الموائد، مصدر سابق، ص ص 25-27.

[3] في شأن ميلاده اختلف العلماء في تحديده غير أن أرجح الروايات ما ذكره ابن القاضي، في تاريخ الوفيات حيث يحدد التاريخ، التالي عام 820هـ/1417م، ينظر: عبد الحميد، البكري، مرجع سابق، ص ص 65-67.

[4] أنجب منها أولاده وهم: سيدي علي المتوفي في أولاد سعيد، ابنه الثاني عبد الجبار وهو الذي جعله أبوه على إمارة توات، قائما بأمورها وناظرا في شؤونها وقد قتل رحمه الله في توات في ظروف أقل ما يقال عنها غامضة.

[5] عبد الحميد، البكري، المرجع نفسه، ص 78، ينظر أيضا: أحمد بابا، نيل الابتهاج، المصدر نفسه، ص 577.

* حافظ التنسي: هو محمد بن عبد الله بن عبد الجليل بن محمد الحافظ التنسي مؤرخ وشاعر وأديب ولد بتنس، أخذ عن علماء تلمسان كالإمام أبي الفضل ، بن مرزوق الحفيد و الإمام قاسم العقباني والولي الصالح إبراهيم التارزي، من مآثره:" نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان"، الطراز في شرح ضبط الحراز، ينظر: ابن مريم، البستان، مصدر سابق، ص 85، ينظر أيضا: أحمد بابا، نيل الابتهاج، مج2، مصدر سابق، ص 266، عبدلي ، لخضر، **الحياة الثقافة للمغرب الأوسط في عهد بني زيان، 1236-1554**، دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط، جامعة تلمسان، 2004-2005، ص 284.

** الونشريسي: هو أحمد بن يحي، ولد سنة 834هـ من أهل تلمسان، أخذ العلم عن كبار علماء تلمسان وغيرهم كالإمام العقباني وولده أبو سالم العقباني، الشيخ الجلابة، كان أحد كبار مدرسي تلمسان حين اختص في الفقه والبيان، من مآثره:"المعيار المغرب في فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب في 12 جزء"، "إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك ، ينظر: ابن مريم- المصدر السابق، ص 53، السلاوي، المصدر السابق، ج4، ص 165.

(901هـ) والشيخ محمد بن يوسف السنوسي* (895هـ) صاحب التآليف الكثيرة في العقائد وغيرهم[1]، كما أخذ المغيلي العلم عندما وصل توات عن الشيخ القاضي يحي بن يديز (ت877هـ)[2].

ومن تلامذته الكثير نذكر بعضهم: أحمد البكاي، الفقيه أيد أحمد*، الشيخ العاقب الأنصمي** ومحمد بن عبد الجبار الفجيحي، بعض هؤلاء التقى بهم في توات حين غادر تلمسان إثر محنة الإمام أحمد بن يحي الزنشريسي الذي اتهمه السلطان الزياني بالتآمر عليه، فتوجه إلى فاس ومنها إلى توات عام 882هـ*** واستقر بقصر أولاد سعيد[3]، فقال في تلمسان هذه الأبيات:

تلمسان أرض لا تليق بحالنـــــا ولكن لطف الله نسأل في القضا

وكيف يحب المرء أرضا يسوسها يهود وفجار ومن ليس يرتضى

---

* الشيخ السنوسي، هو محمد بن يوسف السنوسي ولد سنة 832هـ/1428، كان من كبار علماء تلمسان له ما يزيد عن خمسين مؤلف أهمها العقيدة الكبرى والصغرى في التوحيد، توفي سنة 895هـ/1490م بعد عمر يناهز ثلاثة وستين سنة، ينظر: أبو عمران وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، الجزائر: مطبوعات جامعة الجزائر، 1995، ص ص 292، 293. ينظر أيضا: أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 87.

[1] بن عبد الكريم، المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق، رابح، بونار، الجزائر: الشركة الجزائرية للنشر ، 1968، ص09.

[2] عبد المنعم: الحسيني، المرجع سابق، ص 111، وعن يحي بن يدير فهو بن عتيق التادلسي أبو زريا من كبار الفقهاء في المذهب المالكي خلال القرن التاسع الهري من أهل تدلس لكنه تعلم بتلمسان وأخذ عن ابن مرزوق الحفيد ويحي العبدلي ببجاية توفي بقسنطينة سنة 877هـ، ينظر : عبد المنعم ، المرجع نفسه، ص 111.

* الفقيه أيد أحمد: هو محمد: هو محمد بن أحمد التازختي عرف بـــ:"أيد" أي بلغة أهل تمبكتو "ابن"، كان فقيها عاللما محدثا، درس بتمبكتو، لقي بتكدة المغيلي فأخذ عنه ثم رحل إلى المشرق ثم بلاد السودان وتوطن في "كشن" وولي قضاءها ، توفي في حدود 936هـ/ ينظر: أحمد باب التمبكتي، نيل الابتهاج، مصدر سابق، ص 587. ينظر: محمد، بلعالم، الرحلة العلمية، ج2، مرجع سابق، ص 66، عبد المنعم، حسني، مرجع سابق، ص 326.

** الأنصمي: المسوفي من أهل أكداس، من بلاد السودان الغربي، فقيه، علامة مشتغل بالعلم، أخذ عن المغيلي و السيوطي، له عدة تآليف كأجوبة الفقير على أسئلة الأمير، ينظر: عبد المنعم، الحسني، المرجع نفسه، ص 326.

*** هناك خلاف في سنة مجيئ المغيلي لتوات بحيث يذكر الشيخ باي بلعالم في رحلته أن السنة التي وفد فيها كانت 870هـ/1465م فوجد الشيخ يحي بن يدير المتوفي 877هـ ودرس عنده وسنة 882هـ كانت سنة دخوله لتمنطيط، يرجع: محمد، بلعالم، الرحلة، ج1، مرجع سابق، ص ص 81-82.

[3] عبد المنعم، الحسني، المرجع نفسه، ص ص 326 -327

اشتهر المغيلي بموقفه من اليهود بتوات حيث أفتى بأنه لا ذكمة لهم لنقضهم العهود، ووافقه من علماء عصره كالحافظ التنسي والإمام السنوسي والشيخ الونشريسي وناهضه أيضا من علماء عصره كالإمام العصموني في تلك المسألة فينظم المغيلي من بحر الرجز هذه الأبيات:

صفة أهل الجهل في هذا الزمان الترك للحق وقلـــة الأمـــان
إذا دعوا للحـــق والعبـــــادة قالوا بلى طريقنـــا بالعـــادة
والأمر بالمعروف عندهم غريب واتباع السنة عندهم معيب
ويسمح الجور من أهل الفصل ويبغض الحق من أهل العلم[1] .

ثم يعود ويؤكد في أبيات أخرى مبررا رأيه في شأن اليهود ومن يحب قربهم:

برئت للرب الـــودود من قرب أنصار اليهود
قوما أهانـــوا دينهـــم وأكرموا دين اليهـــود
يكفي الفتى من شينهم وخبث صنع أصلهم
انقطعوا من دينهـــم ورفعوا دين اليهـــود[2]

قضى الشيخ المغيلي حياته متنقلا ناشرا للعلم والطريقة القادرية فنزل بلاد السودان الغربي في – تكدة، كشن، كانو–[3] وواصل حركته الإصلاحية هناك، تقرب من الملوك حتى يعمم الفائدة فكان أحد أهم المقربين للسلطان الحاج محمد آسقيا، الذي عرف بأسئلة للشيخ المغيلي[4]، تمركز في غاو عاصمة مملة سنغاي ومكث في التدريس قرابة العشرين سنة[5]، كان له من المؤلفات منها

-البدر المنير في علوم التفسير.

-تفسير الفاتحة.

-مصباح الأرواح في أصول الفلاح.

-مقدمة في المنطق، منظومة في علم المنطق سماها "منح الوهاب".

---

[1] محمد ، باي بلعالم، الرحلة العلمية ، ج2، ص ص 82-129.

[2] أحمد ، لحمدي، مرجع سابق، ص 117.

[3] عبد المنعم ، الحسيني، مرجع سابق، ص 326.

[4] أحمد، الجعفري، مرجع سابق، ص ص 04-05-06، ينظر: مبخوت، بودواية ، العلاقات، مرجع سابق، ص ص 125-126، ينظر أيضا: أحمد لحمدي، مرجع سابق، ص ص 52-54، عبد الكريم المغيلي، أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي، تحقيق: عبد القادر زبادية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، ص ص، 08-10.

[5] أحمد، جعفري، المرجع نفسه، ص 6.

-تنبيه الغافلين عن مكر المبتلين بدعوى مقامات العارفين.

-كتاب الفتح المبين.

-ما يلزم أهل الذمة.

-أسئلة الأسيقيا وجواب الشيخ المغيلي.

-الرد عل المعتزلة.

-رسالة إلى كل مسلم ومسلمة[1].

وغيرها الكثير من المؤلفات، ثم عاد إلى إقليم توات بعد مقتل ابنه عبد الجبار، ومكث فيها حتى توفي رحمه الله عام 909هـ/1509م[2].*

***الشيخ عمر بن أحمد البكاني:**

ولد سنة 865هـ/1460م، تتلمذ على يد والده في أول مشواره الدراسي اعتمد الرحلة العلمية من أقطار العالم الإسلامي مشرقا ومغربا، ليزور البقاع المقدسة، هو أحد طلاب الشيخ عبد

---

[1] محمد باي، بلعالم، الرحلة، ج1، ص 81، ينظر أيضا: مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 127.

[2] عبد الحميد، البكري، مرجع سابق، ص 67.

* ينظم الشيخ محمد بلعالم عن الشيخ المغيلي ما يلي:

بشر لمن كان للمغيلي منبعـــــا ... لما المقدم قد أتى وقد جمعـــا

بحث مفيد و شامل لسيرتـــــه ... كأنه البدر الديباجي قد طلعـــا

ترى الجهاد ونشر العلم يتبعـــــه ... نور العقيدة في تواتنا سطعـــا

طرد اليهود ونشر العلم يتبعـــــه ... قلع الكنائس من جذورها سمعـــا

فالنصح والعلم والإصلاح منهجـــه ... فلا مكان لمن في الدين قد بدعـــا

تنبكتو، كانو، تقدي، كان يسكنها ... تلك المحطات للإسلام فيها دعا

له مواقف في الإسلام جيـــــدة ... فالشكر يرجع للمغيلي إذ دافعا

شيوخه كالشمس إذ بزغـــــت ... مثل الثعالبي والوغليسي قد برعا

وفي بجاية للمغيلـــــي مشيخـــة ... وتلمسان بها الجلاب قد سطعـــا

إن المغيلي أمـــــة بأجمعهـــا ... وما تفرق فيها فيه جمعـــــا

باي ينوه بالمغيلـــي سيدنـــا ... وصل رب على النبي ومن تبعـــا

يرجع : محمد، باي بلعالم، الرحلة، ج1، ص ص 405-406

الكريم المغيلي حيث لازمه وأخذ من فضائله وتشرب أفكاره، فأوصله لرؤية الأخيار من العلماء أمثال الشيخ السيوطي، تولى نشر الدعوة الإسلامية في بلاد التكرور[1].

***الشيخ عبد الجبار الفيجيجي[2]:**

اعتبر أحد أهم العلماء المتصوفة حيث بدأ رحلته العلمية على يد والده الشيخ عبد الجبار فأخذ عنه علوم الحديث وعن علماء منطقة فيجيج الفقه، وكان محبا لعمل الخير فاهتم بالفقراء حيث عمر لهم بيتا يخلدون إليه، عرف الشيخ بالشعر وبالتصوف فأسس زاوية في فجيج، فالتف حوله الموردين وأقيل عليه الزائرين والسائلين[3].

ارتحل إلى تلمسان لطلب العلم فكان تلميذا للشيخ ابن مرزوق الكفيف* وبعده التقى بالشيخ عبد الكريم المغيلي فأخذ عنه الفقه والحديث والمنطق، توفي عام 950هـ/1543م[4].

***الشيخ إبراهيم عبد الجبار الفجيجي:**

هو أكبر أبناء الشيخ عبد الجبار وأوفرهم علما، حيث شق مشارق الأرض ومغاربها لامتلاك سلطان اعلم، فأخذ عن الشيخ السنوسي* (895هـ) بتلمسان وعن الشيخ السيوطي بالمشرق، ثم مر بتوات فالتقى بالمغيلي فأخذ عنه السياسة الشرعية والمنطق والحديث والعقيدة، فتأثر به وأخذ بمبادئه التي تنادي بضرورة نصح الحكام وإصلاح شأنهم وتوجيههم إلى الصواب.

---

[1] مبخوت بودواية، العلاقات، مرجع سابق، ص 246. ينظر أيضا : عبد الله، كروم، الرحلات بإقليم توات، مرجع سابق، ص 54.

[2] هو محمد بن عبد الجبار بن ميمون بن هارون المسعودي الفجيجي، ينظر: ابن مريم، البستان، مصدر سابق، ص 287، ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 464.

[3] عبد المنعم، الحسني، مرجع سابق، ص 314.

* ابن مرزوق الكفيف: هو محمد بن محمد بن أحمد بن مرزوق العجسي التلمساني المدعو بالكفيف، إمام علامة مسند رواية محدث، ولد سنة 824هـ بتلمسان أخذ العلم عن أبيه ابن مرزوق الخطيب، فقرأ عليه المطأ والصحيحين وعن العقباني والثعالبي والمشدالي ، توفي سنة 901هـ، ينظر: أحمد باب، التمبكتي، نيل الابتهاج، مصدر سابق، ص 574.

[4] ابن مريم، المصدر نفسه، ص 288، عبد المنعم، الحسيني، المرجع نفسه، ص 270.

* الشيخ السنوسي: هو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسيني أبو عبد الله التلمساني ولد سنة 832هـ/1428م، تتلمذ على يد علماء تلمسان منهم والده الزاهد أبي يعقوب يوسف السنوسي والعالم نصر الزواوي والشيخ أبو عبد الله المغيلي المعروف بالجلاب، تجاوزت تصانيفه الخمسين في علوم شتى منها عقيدة أهل التوحيد، شرح الأسماء الحسنى، توفي 895هـ/1490م. ينر: ابن مريم، البستان، مصدر سابق، ص237، عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح، مصدر سابق، ص 9.

اتجه برفقة شيخه المغيلي إلى السودان الغربي حاملين على كاهلهم مسؤولية الدعوة وتصحيح العقيدة[1].

***الشيخ العصموني (ت968هـ)[2]:**

هو عبد الله العصموني بن أبي بكر بن عثمان بن أبي بكر بن موسى بن عمران بن عبد العزيز بن عبد الله بن عباس بن محمد بن الحسن بن العالم النحوي على بن محمد بن يحي بن محمد بن صالح بن سعيد بن احمد بن عصنون بن الوثيق بن عبد المؤمن بن فلان إلى أن يصل نسبه إلى زين العابدين بن الحسن بن علي وفاطمة رضي الله عنهما[3].

ويحقق الشيخ البكري بن عبد الكريم هذا النسب ويقول أنه صحيح لا ريب فيه وأن العصموني كان أحد الشرفاء الواصلين إلى إقليم توات بصحبة ابن أخيه سيدي سالم عام 863هـ، تولى قضاء الجماعة التوتية بعد موت شيخه سيدي يحي بن يدير سنة 877هـ[4].

يقول عنه صاحب النبذة أنه بشهادة الأوائل من أهل الحق في حكمه والحمد في سريرته وقوة همته إذ وصلت سمعته أهل السودان الغربي توفي عام 986هـ[5].

***الشيخ أبو يحي بن محمد المنياري (ت 840هـ):**

من رجالات القضاء، الفقيه العالم النابغة صاحب الجود والكرم نزيل تمنطيط، تولى القضاء سنة 815هـ بعد أن اكتسب ثقة وارتياح الجميع، فضبط القوانين واتخذ الموازين بين أوساط المجتمع التواتي، بقي على كرسي القضاء حتى توفي عام 840هـ، وترك ذكره الطيب فقد عرف الناس في عهده الخير والبركة والأمن والأمان[6].

الشيخ عبد الكريم بن أحمد بن أبي محمد التواتي الأمريني (994هـ/1042م) من أعلام توات البارزين، كان صاحب مشيخة في زمانه[7]، تبحر في علوم اللغة من نحو وصرف، كان شاعرا

---

[1] مبخوت، بودواية، العلاقات، مرجع سابق، ص 247.

[2] محمد، باي بلعالم، الرحلة العلية، ج2، مرجع سابق، ص 210.

[3] عبد الحميد، البكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، مرجع سابق، ص 63.

[4] احمد، الجعفري، مرجع سابق، ص 04.

[5] عبد الحميد، البكري، المرجع نفسه، ص 65، ينظر أيضا: محمد، بلعالم، المرجع نفسه، ص 210.

[6] عبد الحميد ، البكري، مرجع نفسه، ص 62.

[7] حاج، أحمد الصديق، مرجع سابق، ص 75.

شاعرا وأديبا*، التزم علوم الدين من فقه وتفسير، يصفه صاحب كتاب جوهر المعاني قائلا:" ... القاضي العدل تاج العارفين، الجامع بين الحقيقة والشريعة، والنص والقياس..."[1].

اكتسب كل تلك المعارف التي أهلته للتميز بكل تلك الصفات حين جلس عند فطاحل العلماء مثل السيد أحمد بن أبي محلي السجلماسي، أحمد بابا التمبكتي و المقري وغيرهم، رحل إلى الحج سنة 1040هـ[2]، فالتقى خلال رحلته علماء أفاضل مثل الشيخ الأجهوري المصري، وبطبيعة الحال تتلمذ على يده طلاب كثيرون أهمهم أحمد بن يوسف التنلالي ، من مؤلفاته: تحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز، وسيلة النجاة بأهل المناجاة، توفي رحمه الله، ليلة الإثنين 23 شوال 994هـ/1042م[3].

4-الطرق الصوفية في إقليم توات:

تعتبر الطرق الصوفية يتعدد تشكيلاتها إحدى حركات الإصلاح ذات الطابع الديني، كما ساهمت في استقطاب مختلف فئات المجتمع عبر مراحل زمنية مختلفة، عندما اعتمدت على نصوص قرآنية وتعاليم السنة النبوية الشريفة مما ساهم في استمرارها وبقائها حتى يومنا هذا في إقليم توات[4].

أما عن إقليم توات فقد ظهرت الصوفية منذ أول عهدها بالإسلام قادها مشايخ أجلاء حملوا على عاتقهم مهمة نشر الإسلام فكانت توات أرض خصبة لنمو الطرق الصوفية وتفرعها في ربوعها وخارج أقاليمها[5].

شهدت أرض توات رواجا لأهم تلك الطرق وأولها من قادرية التي تفرعت عنها البكائية ثم الشاذلية والتيجانية والموساوية.

---

* كان الشيخ صاحب رسالة علمية لا يحب احتكار العلم، فقد قال عندما كان يحتضر على فراش الموت:"ها أنا أموت بنيف وأربعين علما لم أجد لها سائلا..."، ينظر: صالح، بو سليم، مرجع سابق، ص 288.

[1] عبد الله، كروم، مرجع سابق، ص ص 55-56.

[2] عبد الحميد، البكري، المرجع نفسه، ص 64.

[3] أحمد، الصديق، المرجع السابق، ص 76، ينظر أيضا: عبد الله، كروم، المرجع السابق، ص ص 56-57.

[4] نعيم، قداح، مرجع سابق، ص 111.

[5] عبد الله، عباس، **التأثيرات الحضارية لمنطقة توات في بلاد السودان الغربي**، مذكرة الماجستير في التاريخ الوسيط، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1997-1998، ص 113.

وقد دار الجدل* كبير بين العلماء والباحثين حول موضوع التصوف فاختلف آرائهم من حيث حقيقة التصوف وتوجهاته وبيان أصوله وفروعه.

وقد ظهر أول مصطلح للتصوف والصوفية في المشرق الإسلامي تحديدا في الكوفة بقرب بلاد فارس، وقد عرفت الكلمة انتشار في القرن الثاني للهجرة بتوثيق من العلامة ابن خلدون في مقدمته قائلا: "ولما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقيمون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة..."[1].

4-1 الطريقة القادرية:

وهي أوسع الطرق الصوفية انتشارا في إفريقيا شمالا وغربا، يعود تأسيسها القادرية إلى العراق على يد مؤسسها محي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلالي أو الجيلاني** بن أبو الصلاح موسى الحساني (1079م-1166م) ومن فرقها الطريقة البركائية للشيخ أحمد البكاي بودمعة (ت 959هـ/1552م)2 ويعد الشيخ ابن عبد الكريم المغيلي مؤسس الطريقة القادرية في توات سنة 870هـ، ثم تطورت في النصف الثاني من القرن الخامس عشر ميلادي ليواصل القطب علي بن أحمد الرقادي (ت 1120هـ)[3].

---

* لا بد أن نقف عند ذلك الجدل في معنى التصوف، فمعناه لغة يوضح البعض أنها اشتقاق لصفاء القلوب والبعض الآخر يرى أنها مشتقة من "الصفة " المكان الذي يوجد في مؤخرة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، آخرون يرون أنها اشتقاق من الصف الأول في المسجد أو هي نسبة "بني صفوة" أولئك القبائل الذين انعكفوا على خدمة الكعبة في الجاهلية، ينظر: ساعد، حميسي، **أبحاث في الفلسفة الإسلامية**، الجزائر : دار الهدى، 2002، ص 22، ينظر أيضا: عبد الرزاق، إبراهيم، **أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية**، الجزائر، المطبعة الفنية، 1990، ص 12، ينظر أيضا: محمد الصالح، حوتية، **توات والأزواد**، ج1، مرجع سابق، ص 177.

أما ابن تيمية فرأيه في الصوفية ما يلي:"... هؤلاء- الصوفية- نسبوا على ظاهر اللبسة وهي لباس الصوف، فقد قيل في أحدهم صوفي وليس طريقهم مقيد بلباس الصوف..." ينظر: ابن تيمية ، **الموسوعة في فقه السنة (فقه التصوف)**، تهذيب وتعليق: زهير، شقيق، بيروت، دار الفكر العربي، د.ت، ص 24.

[1] ابن خلدون ، مصدر سابق، ص 517.

** ولد في الجيلان شمال إيران ثم انتقل إلى بغداد عام 1095 فاتصل بشيوخ العلم والتصوف عمل في التدريس والإفتاء ببغداد سنة 1133، توفي ببغداد سنة 1166م من مؤلفاته الفتح الرباني، ينظر: الزركلي، مج4، مصدر سابق، ص ص 171-172.

[2] أرنولد، توماس، مرجع سابق، ص ص 394-395، ينظر: فرج، محمود، مرجع سابق، ص 110.

[3] صالح، بوسليم، مرجع سابق، ص 348.

لقد تناول التواتيون الطريقة القادرية في عدد من مخطوطاتهم إذ يعتبرون أنفسهم مرتبطين بالشيخ الجيلاني لذلك برز منهم مشايخ أوكلت لهم مهمة الإشراف عليها تحت إسم المقدم أو الخليفة بعد تسلمه السبحة أو السجادة أو عكاز شيخ الطريقة** [1].

4-2 الطريقة الموساوية:

تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ أحمد بن موسى بن خليفة ولد سنة 895هـ/1475م بقرية سيدي موسى بفاس[2]، توفي سنة 1031هـ/1604م، تتلمذ على يد والده ومنه إلى الشيخ محمد بن أبي جمعة الصماتي وعن الشيخ محمد بن أحمد بن غازي المكناسي، الشيخ أبو القاسم محمد بن إبراهيم وغيرهم كثير مما يؤكد أهليته بالحكمة والقدرة لقيادة منهجية تسمى بالموساوية[3].فقد أصبح محط أنظار العام والخاص لما ظهر منه من تمكن، أخذ هذه الطريقة عن شيخه محمد بن عبد الرحمن السهلي ومنه إلى الشيخ سيدي أحمد لعروسي، درس في فاس وتلمسان وبعدها توجه إلى الجنوب الغربي إلى قرية سيدي موسى ومكث للتدريس هناك حيث عرف كيف يتعامل مع الصغار والكبار في تلك المنطقة، فعن الصغار لقنهم الحروف وحفظهم القرءان الكريم وأما الكبار فقد تعامل معهم بطريقة الرموز ومنه قد أصبحت الرموز مادة غنائية تردد عل الألسنة من قبل النساء والرجال[4].

كان لهم تسابيح وأذكار يرددونها المريدون يوميا وفي مناسبات عديدة فمثلا في تعليم الصلاة كان لهم الورد أو الذكر التالي:

الصلاة أعليك يا محي الأنـــوار يا نور الأنوار مفتـــح الجنـــا

يا سيلني أعلي أفرايض الصلوات نورهم لك حق ستة عشـــر

تكبيرة الإحرام حققها مرتبـــات والقيام أيكون لهـــا مشهـــور

** الطرق جمع طريقة وهي السبيل أو السيرة التي يتخذها الرجل في مذهبه، قال الله تعالى: "وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءا غدقا" الآية [16] سورة الجن .

وأما اصطلاحا فهي التعبير المنظم عن التصوف الإسلامي بعد أن كان قرونا قائما على أفراد وهي هيئات دائمة لها منهجها واسمها الخاص و لم تظهر إلا في القرن السادس الهجر، ينظر: عبد الله، عباس، المرجع السابق، ص 115.

[1] صالح بوسليم، المرجع نفسه، ص 350.

[2] محمد الصالح، حوتية ، مرجع سابق، ج1، ص 186.

[3] محمد، فاضل، مرجع سابق، ص 61.

[4] محمد، الصالح حوتية، المرجع نفسه، ج1، ص ص 186-187.

والفتيح لا أصحفشي الآيـــات مرصوم فالكتاب هي المختار
والقيام أمع الركوع والسجدات والرفع والجلوس تع سريـــر[1].

4-3الطريقة الشيخية:

يعتبر الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان المولود سنة 940هـ-1533م مرجع هذه الطريقة، ولد بضواحي الشلالة بفقيق، تتلمذ على يد والده الشيخ محمد بن سليمان وعمه الشيخ أحمد المجدوب[2]، بدأ بحفظ القرآن أولا ثم كانت تنكورارين وجهته، فدرس بها على يد مشايخه كبار كان أولهم محمد بن عبد الجبار، ثم محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر السكوتي.

انتقل بعدها إلى فاس فدرس على يد عبد القادر الفاسي وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن السهلي الذي أخذ عنه الطريقة الشاذلية[3]. ثم عاد إلى فقيق وأنشأ بها زاوية وتولى التعليم بها ونشر ونشر تعاليم طريقته الشيخية، كان له ارتباط كبير بعد لا بأس به من المشايخ أمثال الشيخ أبو محمد دفين تبلكورة والشيخ عثمان دفين زاوية تيميمون وغيرهم[4]. توفي الشيخ سنة 1025هـ/1616م من مؤلفاته*: "اليقوتة" وهي أبيات شعرية تجاوزت المائة والثمانون تناولت مسائل تربوية مثل:

فكن مقتد بنا وثق بكلامنا وجد بسيرنا تفز بالمودة[5]

---

[1] محمد، الصالح حوتية، المرجع السابق، ج1، ص 189.

[2] محمد، الصالح حوتية، المرجع نفسه، ج1، ص 201.

[3] عبد الله، طواهرية، **تذكرة الخلاف في مناقب العلامة الشيخ سليمان بن أبي سماحة**، غرداية، المطبعة العربية، 2002، ص ص 42.

[4] صالح، حوتية، المرجع نفسه، ص 201.

* له أيضا ما يسمى بالحضرة وهي تتمة للياقوتة في شكل نضم مخمس تضم 24 بيت، ايضا من مؤلفاته: رسائل في التصوف والتي كتبها على سؤال في أصول الطريقة.

[5] صالح، حوتيةن المرجع نفسه، ص 202.

المبحث الثاني: الواقع الثقافي في السودان الغربي

1- المؤسسات التعليمية بإقليم السودان الغربي:

بعد أن وصل الإسلام إلى أديم بلاد السودان (غانا ، مالي ، سنغاي) في وقت مبكر كما يجزم ذلك ابن عبد الحكيم في "فتوح البلدان " والبكري "المسالك والممالك"* أضحت اللغة العربية لغة دينية وإدارية فطغى إلى الإنتاج الفكري الصبغة الإسلامية لانفتاح السلاطين والعلماء على الثقافة العربية والإسلامية في المغرب الإسلامي ومصر[1] ، فقد عرف القرن الثامن والتاسع الهجريين رواجا على الساحة الثقافية بحيث أرسل سلطان مالي "مسنى موسى" بعثات ثقافية من الطبلة السودانيين باتجاه المغرب الإسلامي لمتابعة تعليمهم بالمعاهد العليا فكانت مدارس توات وتلمسان بالمغرب الأوسط ، ومدرسة القرويين بفاس والأزهر بمصر قبلة لهم[2].

ثم واصلت سنغاي نفس الوتيرة والحركة الفكرية خاصة في عهد الأسقين فاشتهرت سنغاي بمراكزها العلمية والثقافية ـــ تمبكتو ، جني ، غاو ، ولاتة فظهرت على مستوى هذه المراكز مؤسسات تعليمية عرفت بمنارات العلم والعبادة ، فيذكر الوزان في كتابه "... ولهم مساجد\ كثيرة وأئمة وأساتذة يدرسون في المساجد ... "[3]

1-1 الكتاتيب:

كانت الكتاتيب منتشرة بشكل واسع في جميع المدن والقرى إما في مجالس مفتوحة في العراء أو تحت ظلال الأشجار وغالبا ما يتخذون دورا صغيرة ملازمة للمساجد.[4]

---

* يذهبان إلى أن عقبة بن نافع الفهري غزا إفريقيا في سنة 676 ميلادي ووصل إلى مكان يدعى "ماء الفرس" المحدد بين حدود ليبيا والنيجر في جبال "طومو" . ينظر: عبد القادر ، زبادية ، مملكة سنغاي ، مرجع سابق ، ص ص 133 ، 134.

[1] نعيم ، قداح ، مرجع سابق ، ص156.

[2] مبخوت بودواية ، أعلام السودان الغربي ما بين القرنين التاسع والعاشر ، مرجع سابق، ص 179.

[3] حسن ، الوزان، مصدر سابق ، ص 146.

[4] نعيم ، قداح ، المرجع نفسه، ص145، عبد القادر زبادية ،المرجع نفسه، مملكة سنغاي ، مرجع سابق ، ص142.

تعمل تلك الكتاتيب على تهيئة الطالب للمرحلة الثانية من التعليم ، بحيث تتبع منهج تحفيظ القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية والفرائض وتعلم الخط ، يلتحق الأطفال في سن الخامسة أو السابعة لتلقيتهم العلوم الأولى وتدربهم الصلوات الخمس [1].

ويذكر ابن بطوطة أن السودانيين أولو أهمية بالغة لتعلم صبيانهم في الكتاتيب فقد أحصى في تبمكو لوحدها أكثر من 180 كتّابا [2]، فيسمونها "دورا أو دارا" ـــ قبائل الولوف أو تارا عند قبائل المنديغ أما قبائل التكرور يسمونها "ديالا جالنتي[3]"

إن الطريقة المتخذة في كتاتيب السودان نفسها في كتاتيب المغرب الإسلامي ، بحيث يحفظ الصبيان القرآن الكريم على الألواح الخشبية برعاية المعلم المستمرة حتى الختم وفي هذه العملية يكون الطفل قد تلقى قسطا هاما من قواعد اللغة والنحو [4]، أما مدرسوا الكتاتيب فيتقاضون قسطا من أجورهم من اسر الأطفال كل أسبوع إضافة للهدايا عند ختم أطفالهم للقرآن وفي هذا الشأن يذكر محمد كعت انه حضر مكتب معلم ولاحظهم يأتون بخمس وداعات إلى عشر وقد تحصل ذلك يومها على ألف وسبعمائة وخمس وعشرين ودعة.[5]

***المدارس والمعاهد العليا:**

ارتفع المستوى العلمي في بلاد السودان الغربي حيث اهتموا ببناء المدارس والمراكز التعليم وبناء المساجد مما يدل على انفتاح التعليم وقد كان ذلك بارزا بدءا من القرن الرابع عشر والخامس عشر وصولا للقرن السادس عشر[6] . فظهرت المدارس التي ارتبطت بشكل واضح بالدين [7]. ففي ففي أول الأمر كانت مرتبطة بالمساجد وملحقة به فقد كانت المدارس ومراكز التعليم تعقد بها

---

[1] عبد القادر زبادية ، المرجع السابق، ص142.

[2] ابن بطوطة ، مصدر سابق، ص 790.

[3] مبروك، الدالي ، **التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء** ، ط1 ، ليبيا، د م ، 2002 ، ص 163.

[4] مبخوت ، بودواية ، العلاقات ، مرجع سابق، ص 202.

[5] محمود ، كعت ، مصدر سابق ، ص ص ، 180 ، 181.

[6] بودواية ، مبخوت، أعلام السودان الغربي ، مرجع سابق، ص ص 179 ، 180.

[7] قداح ، نعيم ، حضارة الإسلام ، مرجع سابق ، ص 158.

حلقات علمية [1]. لكن بعد ذلك ألحقت المدراس بالزوايا والرباطات فأضحت كل زاوية ملحة بمدرسة [2].

وقد كانت تلك المدارس تعبير على الإشعاع العلمي الفكري النابع من الحواضر العلمية كولاته ، كوميي صالح، تيميكو، جنى وغاوا، فمثلا تمكتو لوحدها اشتهرت فيها جامعة سنكوري الملحقة بالمسجد نفسه [3]، فقد بلغت الجامعة أوجها في عهد دولة سنغاي [4]، فانفتحت على العالم العالم الخارجي كالأندلس، طربلس، فارس وغيرها فاعتمدت مناهج تعليم مماثلة[5] درست فيها الكتب العربية التي كانت متداولة في تلك الفترة كالموطأ لابن مالك وصحيح البخاري ومسلم[6] .

ومن العلوم التي يتم تلقّيها في هذه الجامعة تفسير علوم الأدب كالنحو والصرف والبلاغة إضافة إلى الطب والجراحة وعلم الفلك والرياضيات ، كما ألحقت الجامعة بمعاهد تكوينية مفتوحة على مصر للطلاب فقد وجد بها محلات تجارية تقدم دروس في التجارة، مركز للخياطة ، النجارة[7]، وقد كانت الدروس فيها غير منقطعة مستمرة طيلة النهار عدى أوقات الصلاة وبعضا منهم بلغت شهوقم للعلم حتى واصلوا مسيرقم العلمية ليلا مستنيرا بنار الحطب المشتعل[8] ، وفي هذا الصدد يذكرالحسن الوزاني أن الحركة العلمية في تمبكتو لوحدها بلغت ذروقا حيث استوردت لوحدها كتبا عربية بأسعار خيالية ومثلها كانت جني وغاو[9].

وفي جامعة سنيكوري وغيرها من الجامعات يرتفع الطالب شيئا فشيئا إلى أن يصل إلى المرحلة العليا من التعليم فيصبح التعليم أكثر تخصصا في تلك المراحل المتقدمة فيطرح الأستاذ على طلبته أسئلة كثيرة تتعلق بشتى المواضيع وعلى الطالب أن يقدم حلولا لها وذلك أمام جمهرة من

---

[1] يحيى ، بوعزيز ، تاريخ إفريقيا ، مرجع سابق ، ص 125.

[2] نعيم ، قداح ، المرجع نفسه ، ص ص 157 ، 159.

[3] محمد فاضل ، إبراهيم كريدية ، مرجع سابق، ص 105.

[4] نعيم قداح ، مرجع سابق ، ص 159، محمد ، فاضل ، المرجع نفسه ، ص 106.

[5] الدالي ، الهادي ، التاريخ الحضاري، مرجع سابق، ص 167.

[6] محمد فاضل ، إبراهيم كريدية ، المرجع نفسه ، ص 105.

[7] محمد ، فاضل ، المرجع نفسه ، ص ص 104 ، 105

[8] نعيم ، قداح ، المرجع نفسه، ص 160.

[9] حسن ، الوزان ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 52.

الأساتذة الذين يصبون عليه وابل من الأسئلة وعليه أن يجد الباب الذي يخرج نفسه منه وعليه فعلى الطالب يبذل جهدا عقليا يكسبه شيئا فشيئا ورصيدا فكريا وثقة بالنفس لا مثيل لهما [1].

أما التخرج فكان فقط من خط الطالب المتفوق الذي أبرز تفوقه في جميع العلوم والأخلاق الإسلامية حينها تقدم له عمامة مزينة بالعقد والدوائر التي ترمز لأسماء الله الحسنى، إن تلك العمامة أو التاج الذي يلقى على حامله الحكمة والمعرفة التي تنزله منزلة العلماء الذين منهم: النحاة، المناطقة، الفقهاء ، والأدباء وغيرهم [2] .

إن واقع بلاد السودان الغربي الثقافي آنذاك لدليل قاطع على نجاح تلك المراكز الثقافية من مدارس ومعاهد عليا في مهامها، بحيث عرفت البلاد نخبة مثقفة اعتلت مناصب سامية في جميع حواضر غرب إفريقيا [3]، فيذكر السعدي لوحده في تاريخه تراجم لأكثر من سبعة عشرة عالما[4] ويزل أحمد بابا التمبكتي في ديباجه ترجمة أكثر من مائة شاعر وأديب ، فقيه ، ومؤرخ وكلهم أبناء المنطقة كانوا شاهدين عيان على الواقع الثقافي في الفترة الثقافية تلك [5].

1-2المساجد:

عند استقرار أمر الإسلام في بلاد السودان الغربي منذ أول عهد مملكة غانة ثم مالي وسنغاي، رأى أهل البلاد قواعد هذا الدين لممارسة أركانه ولا يتم ذلك إلا ببناء بيوت الله ، يؤكد ذلك العالم البكري واصفا لمملكة غانة أنها مدينتان سهليتان إحداهما المدينة التي سكنها المسلمون فيصفها بالكبر ويحصي بها اثنا عشر مسجدا.[6]

---

[1] محمد ، فاضل ، المرجع نفسه ، ص 106، ينظر أيضا : عبد القادر زبادية ، مرجع سابق ، ص 162 ، مبخوت ، بودواية، بودواية، العلاقات ، مرجع سابق ، ص205.

[2] محمد ، فاضل ، المرجع السابق، ص 106، نعيم ، قداح ، المرجع السابق، ص 161.

[3] بودواية ، مبخوت ، أعلام السودان ، مرجع سابق ، ص 179.

[4] ومنهم العالم المؤرخ محمد بن أبي الزنكوري الذي كان أستاذا للسعدي ومنهم أبو يحيى التادلسي ، أحمد بابا التمبكتي ، الشاعر محمد بنن محمود المتوفي عام (1565) وكان فيلسوف ، أما السعدي فألفتها بمساعدته ..." ثم يترجم لأسرة آل أقيت. فيقول:"ومنهم أولاد شيخ الإسلام ولي الله تعالى الفقيه القاضي محمود بن عمر بن محمد بن أقيت ، القاضي محمد والقاضي العاقب والقاضي عمر ..." ينظر : عبد الرحمان السعدي ، مصدر سابق ، ص ص 27 ، 29 ، 33 ، 37 ، 47 ، 48 .

[5] نبيلة ، حسن ، تاريخ إفريقيا ، مرجع سابق ، ص 171.

[6] البكري ، مصدر سابق ، ص 175.

وعن دور المسجد فقد تعدد بين العبادة والقضاء والتدريس ، فكانت أماكن لعزم الأمور منذ فجر الإسلام ن فقد واصلت شعوب غرب إفريقيا المسير بحيث اتخذوا المساجد مراكز تقام فيها حلقات الذكر والتعليم وخير أمكنة تنشر فيها البحوث والتأليف للأدباء والعلماء والفقهاء [1].

ومن أهم المساجد التي قامت بدور تعليمي بارز في السودان الغربي تلك التي أنشأت في تمبكتو وغاو وجنى كجامع سنكوري ، الجامع الكبير جنكري بيري، مسجد التواتين ومسجد عبد الكريم المغيلي وغيرهم لا يعد ولا يحصى.

***مسجد الجامع الكبير:**

هو من أقدم مساجد تمبكتو سمي بلغة سنغاي "دنجكري بيري"* بني لأول مرة في حدود القرن السادس هجري**، بينما يرجع بعض المؤرخين أن بناؤه تم في القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي[2].

كان بناؤه متواضع جدا يناسب عدد سكان البلاد آنذاك ، ثم رممه وكتب اسمه على الباب الرئيسي، ذلك بعد عودته من حجته المشهورة***، بقي المسجد على ذلك الحال لغاية القرن السادس عشر ميلادي أين أعاد ترميمه السلطان العاقب القاضي محمود**** . فوسعه ما بين سنتي

---

[1] محمد فاضل ، إبراهيم كريدية ، مرجع سابق ، ص ص 102 ، 103 ، ينظر ايضا مبخوت بودواية ، العلاقات ، مرجع سابق ، ص 190.

* djengeuber: لقد سار مسلمي السودان الغربي على نفس منهاج مسلمي المغرب الإسلامي بحيث اهتموا ببناء الجوامع وتسميتها بالمسجد الجامع أو الجامع الكبير وكان هذا المسجد أحد اهمها . ينظر: محمد ، فاضل ، المرجع نفسه ، ص175 ، 176.

** يرجع بعض المورخين هذا التاريخ الموافق للقرن الثاني عشر ميلادي وهو تاريخ تاسيس مدينة تمبكتو ولان المسلمين تعودوا على انشاء المساجد الجامعة متى استقر لهم الاحوال ز ينظر : الموسوعة العربية العالمية "جوامع تمبكتو" الرياض ك مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، 1996 . مج 8 ، ص546.

[2] مبخوت ، بودواية ، العلاقات ، مرجع سابق ، ص194.

*** بعد عودتة من الحج استقدم معه المهندس والشاعر الأندلسي غسحاق الساحلي المعروف باسم "الطويجن" ، عرض عليه السلطان مسنى موسى أجر يقال أنه يقارب أربعين الف مثقال من الذهب . ويذكر انه من ذلك الحين اخذ الاسلوب المغربي الاندلسي ينتشر في غرب السودان . يرجع : مبخوت ن بودواية ، مرجع سابق ، ص 194، يرجع ايضا : محمد فاضل ، غبراهيم كريدية ، مرجع سابق ن ص 103.

**** العاقب القاضي بن محمود بن عمر ، قاضي وفقيه ولد في تمبكتو عام 1919هـ / 1507م وتوفي عام 991هـ/ 1583م ، يعد أكثر قضاة تمبكتو عدلا ، يرجع : محمد ، فاضل ، مرجع نفسه ، ص 324.

1570 ــ 1583م بني المسجد بمادة الطين الممزوجة بالقش ودعم بالخشب ، يتألف من ثلاث قاعات داخلية، خمس وعشرون صفا من الأعمدة مبنية من الشرق إلى الغرب ، يتسع لألفي شخص [1].

***مسجد سنكوري "sankore"**

يعد من المساجد الكبرى في البلاد ــخاصة في تمبكتو ــ حيث شرع القاضي العاقب في بنائه سنة 989ه / 1581م ، يقال أن هذا القاضي أخذ مقاييس الكعبة حين زيارته للحرم وأمر بناء جامع بنفس المقاييس [2]، بينما يورد السعدي أن البناء الأول لهذا المسجد كان على يد امرأة ثرية وهبت مالها في سبيل بناء أحد بيوت الله ، لكن لا وجود لتاريخ معين لهذه الأسطورة* .

بلغ هذا المسجد أوج نشاطه في عهد دولة سنغاي على عهد السلطان الأسقيا محمد أضاف لمدينة تمبكتو طابعا مميزا فعرفت برواج العلم والأدب ووصلت سمعته حتى بلاد الأندلس ومراكش، تلمسان وبجاية، فقد كان ذلك المسجد يشبه إلى حد كبير في بنائه وأساليب التدريس فيه لمسجد القرويين بفاس [3].

كان هذا المسجد معتمد على الطين والخشب في بنائه مجزءًا إلى قاعة للشتاء وأخرى للصيف به منارة يساوي ارتفاعها خمسة عشر متر أما جزؤه الشمالي فقد اعتمد ففيه فصول الجامعة التي سميت بنفس الاسم وهي ملحقة بالجامع [4].

وقد تولى عمامة هذا المسجد الكثير من الأشياخ إلى حد قول السعدي منهم أبو البركات الفقيه محمود بن عمر بن محمد آقيتا الإمام أندغ محمد بن الفقيه المختار النحوي ليليه العالم صالح بن عمر ثم بعده الشيخ بلقاسم التواتي، وبعده كلف السلطان الاسقيا داوود الإمام القاضي العاقب حتى توفي إلى أن تولى صاحب تاريخ السودان الشيخ عبد الرحمن السعدي الإمامة [5].

---

[1] محمد، فاضل، المرجع السابق، ص 325.

[2] محمود، كعت ، تاريخ الفتاش، مصدر سابق، ص 121 .

* يقول السعدي في كتابه تاريخ السودان أن مسجد سنكوري بني من قبل إمرأة غلالية ذات مال كثير ويعقب بنفسه قائلا: "... ولكن لم نجد لبنائها تاريخا ..." ينظر : عبد الرحمان، السعدي ، مصدر سابق ، ص62.

[3] الهادي ، دالي ، مرجع السابق، ص 150.

[4] محمد ، فاضل ، إبراهيم، كريدية ، المرجع نفسه، ص ص 104 ، 105 . ينظر ايضا مبحوث بودواية المرجع نفسه، ص192.

[5] عبد الرحمان السعدي ، تاريخ السودان ن مصدر سابق ، ص ص 62 ، 63 ، 67.

***مسجد سيدي يحى التادلسي:**

هو مسجد بني على ضريح أحد الأولياء الصالحين القادمين من المغرب الأقصى يدعى سيدي يحي التادلسي* ، ويعتبر هذا المسجد من المساجد الأوائل المشيدة في تمبكتو، بني من قبل سلطان الطوارق ، كان يدعى "آكل"[1] ، وفي تاريخ تأسيسه كلام كثير فمنهم من يجزم أن المسجد بني في القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي ، ومنهم من يؤكد أن البناء تم في القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي لأن فترة حكم الطوارق كانت نحو أربعين سنة من 837هـ ـــ 876هـ / 1433م ـ 1471م[2] .أوكلت الإمامة للشيخ يحى تبركا بالشيخ "يحيى التادلسي" وقد استمر حتى توفي سنة 868هـ / 1468م ، ثم أعيد ترميمه سنة 976هـ/ 1568م . تعاقب على العمامة كل من الإمام محمد بغيغ ، محمد بن محمود الونكري ، ثم الإمام أحمد بن سعيد (ت 1630م).[3]

***مسجد التواتيين:**

أسسه محمد التواتي القادم من توات سنة 920هـ/ 1514م بمساعدة جماعة من التواتيين سكنت تمبكنو وساهموا في نشر الموعظ والإرشاد والتدريس في منابر المساجد[4] ، وقد وقع خلاف بينهم وبين بعض العلماء في تمبكتو ، لذلك شيدوا المسجد واعتكفوا فيه للعبادة والتدريس[5] . وقد وقد تولى التدريس في هذا المسجد الشيخ الفقيه محمود بم محمد الزغراني التمبكتي[6].

---

* هو بن عبد الرحيم بن عبد الرحمان الثعلبي بن يحى البكاء ، إلى أن يصل نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه ، قدم تمبكتو ويجهل تاريخ مجيئه لكن كان ذلك في اوائل دولة الطوارق ، يشيد عبد الرحمان في وصفه قائلا :"... بلغ الغاية القصوى في العلم والصلاح والولاية وانتشر ذكره في الإنفاق والأقطار وظهرت بركاته للخاصة والعامة " ، ينظر : عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص50.

[1] الموسوعة العربية العالمية ، مرجع سابق ، ص 547 ، محمد ، فاضل ، مرجع سابق، ص 106 . مبخوت ، بودواية ، المرجع نفسه، ص 196.

[2] محمد ، فاضل ، المرجع نفسه، ص 106.

[3] مبخوت ، بودواية ، المرجع نفسه ، ص ص 195 ، 196 .

[4] (ـــــ، ـــــ)، مرجع نفسه ، ص 106.

[5] محمد ، فاضل ، مرجع نفسه، ص 106.

[6] مبخوت ، بودواية ، المرجع نفسه، ص 196.

وهناك الكثير من بيوت الله عمرت في تمبكتو لوحدها كمسجد الأسقيا محمد والذي يعد من أكبر المساجد يضم صومعة ومئذنة مفصولة عن المسجد، بني هو كذلك بالطين والقش مسقوف بالخشب[1].

أيضا المسجد الذي بناه ابن عبد الكريم المغيلي بعد أن استوطن باقدز* وهو مسجد صغير اتخذه للعبادة والتعليم ، إضافة إلى مساجد أخرى موزعة على مدن السودان الكبرى والصغرى كمساجد ولاتة[2]، دندي ، غاو ، جني.

2-أشهر أعلام السودان الغربي:

تعتبر الفترة الممتدة ما بين القرنين السابع والعاشر هجريين من أهم فترات السودان الغربي أزهاها، بحيث بلغت حواضرها الإشعاع الثقافي ودارت عجلة الحركة الثقافية والعلمية ببروز علماء نبغوا في شتى العلوم وتفاعل حركة الطلبة من كل الاتجاهات[3] ، وهذا نتيجة الروابط والعلاقات الكائنة بين إقليم السودان الغربي وأقاليم المغرب الإسلامي عموما وبين إقليم توات بشكل خاص.

كما تميز سلاطين السودان** بشغفهم للعلم وتعلقهم باللغة العربية لذلك شجعوا البعثات العلمية إلى بلاد المغرب الإسلامي وإلى مصر وباقي الأقاليم الإسلامية[4] ، فقد كان التعليم تحصرا في بادئ الأمر على الأساتذة العرب القادمين من الشمال الواصلين إلى الجنوب ، لكن بعد فترة من

---

[1] محمد ، فاضل ، المرجع نفسه ، ص 106 ، ينظر أيضا : مبخوت ، بودواية، المرجع السابق ، ص197.

* أقدز : هي أحد حواضر السودان الغربي تقع حاليا في النيجر شمال العاصمة نياسي وهي أقرب المدن للسودان بالنسبة للشمال ـــ المأهولة بالبيض ـــ ، يرجع: مارمول كربخال ، مصدر سابق ، ج3، ص206 ، ايضا مبخوت بودواية، المرجع نفسه ، ص197.

[2] ولايته : هي مركز في اوداغشت التي تعرف ببني أيس ، سكنها اقل سوادا من اهل السودان انفسهم ، يلتثم اهلها رجالا ونساء ، ينظر ، مارمول ، ج3 ، المصدر نفسه ن ص 198.

[3] مبخوت بودواية ، **أعلام السودان العربي ما بين القرنين التاسع والعاشر هجريين من حولية المؤرخ** ، ع: 6، حولية 2005 ، ص ص 179 ، 180.

** لقد اهتم سلاطين السودان الغربي (مالي الإسلامية وسنغاي) بالعلم والعلماء ويذكر أن سلطان مالي مسى موسى وولي عهده كان يتقنان العربية قراءة وكتابة وحديثا ... ينظر : مبخوت بودواية ، أعلام السودان ، مرجع نفسه ، ص 179.

[4] نعيم ، قداح، مرجع سابق ، ص 157 .

الزمن تكونت طبقة مثقفة من أهل السودان الغربي فتولت مهمة التعليم والتدريس ومهام القضاة وغيرها من الوظائف السامية[1] .

لذلك سنتوقف عند كوكبة من مشاهير علماء السودان الغربي .

***الشيخ يحي بن عبد الرحيم(ت 866هـ)[2]**

هو ابن عبد الرحمان الثعلبي بن يحيى البكاء بن أبي الحسن بن عبد الله بن الجبار بن تميم ، بن حاتم بن قصى بن يوسف ين يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[3]. هو الفقيه الضليع يعد من صلحاء وعلماء تمبكتو ، قيل فيه "لكل بلاد لها رجال ولكل رجال قطب يحكم عليهم بمشيئة الله والقطب في تمبكتو هو سيدي يحيى ....." توفي سنة 866ه/1461م[4]

***الشيخ محمود كعت (ت 1593م/1002هـ)**

هو القاضي بن الحاج المتوكل كعت الكرمني التمبكتي مسكنا والوعكري انتماءا ولد في كوما بغرب "غاو" تشرب العلم من علماء تمبكتو، كان له باع كبير في العلم والأدب ، مما أهله إلى تقلد كرسي القضاء ، كما ساهم في ترقية الثقافة في بلاد السودان الغربي[5] ، عاصر السلطان محمد الحاج الكبير الاسقيا إسحاق (999هـ/1591م)، حيث شاهد أحداثها وشارك فيها[6]، ولد الشيخ عام 871هـ/ 1468م ويبدوا أن الشيخ عمر طويلا إلى أن وافته المنية سنة 1002هـ/ 1593م لا نجد الكثير من المعلومات حوله إلا ما قد ورد في كتابه الشهير بـ

---

[1] الحسن الوزان، مصدر سابق ، ص 164 . ينظر أيضا: مبخوت ، بودواية ، أعلام السودان، المرجع السابق، ص 180.

[2] عبد الرحمان، السعدي ، مصدر سابق ، ص 51 .

[3] مبخوت ، بودواية ، العلاقات ، مرجع سابق، ص 215.

[4] مبخوت، بودواية ، العلاقات ، مرجع سابق، ص 215. وينظر أيضا: بودواية ، أعلام السودان الغربي ما بين القرن التاسع والعاشر الهجريين ، مرجع نفسه، ص 182.

[5] نبيلة، حسن، مرجع سابق، ص 169 : ينظر : السعدي ، مصدر سابق ، ص 35 .

[6] محمود، كعت، تاريخ الفتاش ، مصدر سابق، ص ص 16 ، 11.

"تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش أكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظام الأمور وتعريف أنساب العبيد من الأحرار "وقد اعتبر هذا الكتاب تاريخا لمملكة سنغاي في عصر الاساقي[1] .

كان هذا الشيخ قطب في العلم تخرج على يده طلاب كثيرون ، منهم الشيخ أحمد بابا، وقد ذكر فضل الشيخ محمود كعت "... لقد صار شيخ زمانه والعلم والفنون لا نظير له لازمته أكثر من عشر سنين[2] ، فقرأت عليه بلفضي مختصر خليل ، ابن الحاجب قراة بحث وتحقيق وتحرير وختمت عليه الموطأ ... وهو أستاذي وشيخي ما انتفعت بأحد انتفاعي به وبكتبه ، وأجازني جميع ما يجوز له ومنه ، وكتب لي بخطه في ذلك ."[3]

***محمد أقيت وأسرته:**

يعتبر هذا الشيخ جد أسرة أقيت كلها والتي اشتهرت بالعلم والعمامة والريادة في تمبكتو وخارجها ينتمي إلى بلاد "بير " ثم انتقل إلى بلاد تمبكتو في القرن التاسع هجري[4] ، وقد كان خير خير سلف لخير خلف حيث انفردت أسرته بالانفراد بولاية العلم والعلماء كان لهم باع واسع في المعرفة ساهمت بشكل كبير في تحريك عجلة الحركة العلمية الفكرية والثقافية الإسلامية ، ومنهم عمر بن أحمد وهو والد الشيخ أحمد بابا التمبكتي، تتلمذ على يد الشيخ العاقب ، كان من فقهاء جامعة سنكوري .

أيضا الشيخ" أبو عبد الله أندغ محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح " هو صاحب الفضل والصلاح كان فقيها وقاضي في "تمبكتو" أواسط القرن التاسع هجري[5] .

---

[1] نبيلة، حسن ، المرجع السابق ، ص ص ، 151 - 152 . ينظر أيضا : مبخوت، بودواية ، أعلام السودان الغربي ، مرجع سابق ، ص 186.

[2] نبيلة، حسن ، المرجع نفسه ، ص ص 168 ، مبخوت بودواية، نفسه ، ص 187.

[3] يحي، بوعزيز، تاريخ إفريقيا ، مرجع سابق، ص ص 196 ، 197.

[4] مبخوت بودواية ، العلاقات ، مرجع نفسه، ص 221 ، وأيضا : مبخوت ، أعلام السودان ، مرجع سابق، ص 187.

[5] عبد الرحمان، السعدي، مصدر سابق، ص ص 28 ، 29 . ينظر أيضا : دالي، مرجع سابق ، ص ص 210 ، 211، ينظر البرتلي ، فتح الشكور ، مصدر سابق ، ص 39.

***الشيخ أحمد بن عمر محمد أقيت (943هـ/ 1536م)**

هو أحمد بن عمر بن محمد بن أقيت بن عمر بن علي بن يحيى التكروري التمبكتي، عرف بالحاج أحمد وهو جد الإمام الشيخ أحمد بابا التمبكتي* فاق جميع معاصريه لجده واجتهاده في خدمة العلم لا يناظره في العلم إلا أشياخه[1].

ارتحل إلى المشرق لتأدية مناسك الحج عام 890ه/1485م ، التقى بالعالم الجليل "جلال الدين السيوطي والازهري خالد، اعتلى كرسي التدريس في كانوا فانتفع بعلمه خلقا كثر منهم الفقيه محمود فقرأ عليه المدونة وغيرها من المعارف[2].

***الشيخ أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (991هـ/1583م)**

هو ابن عمر بن علي بن يحيى والد الشيخ العالم أحمد بابا كرمه العلم أبا عن جد ، محدثا أصوليا بيانيا منطقيا[3]. قيل فيه: "جمع الله تعالى له أنواع الجمال خلقا ولونا وصوتا وخطا وفصاحة واتقانا بارعا في الأدب ، محببا إلى جميع الخلق ..."[4] ، زار مكة الشريفة فاجتمع بالأخيار كالشيخ يوسف تلميذ السيوطي ، الشيخ التاجوري والأجهوري وابن حجر المكي، السخاوي وغيرهم فانتفع بهم[5] .

---

* سلسل عائلة شريفة بالعلم من جهة أمه وأبيه بحيث تتلمذ على يد جده لأمه الفقيه اندغ محمد قاضي تمبكتو وخاله الفقيه المختار النحوي الضليع في فنون اللغة (ت 922هـ) كان من فقهاء جامعة سنكري . ينظر : محمود ، كعت ، تاريخ الفتاش، مصدر سابق، ص 85 ، فودي ، غنفاق الميسور ، مصدر سابق ، ص 314 ، البرتلي، المصدر نفسه، ص 113.

[1] البرتلي، فتح الشكور، مصدر سابق، ص 31.

[2] عثمان ، بن فودي ، إنفاق الميسور، مصدر نفسه، ص 316. بنظر: عبد الرحمان السعدي، مصدر سابق، ص 37.

[3] البرتلي ، المصدر نفسه ، ص29، أحمد بابا، نيل الإبتهاج ، مصدر سابق ، ص 93 ، مبخوت بودواية ، أعلام السودان ، مرجع سابق، ص190.

[4] عبد الرحمان ، السعدي ، مصدر نفسه، ص ص 33 ، ويذكر السعدي بعضا من الشعر ما قاله الشيخ أبو عبد الله محمد البكري في حق هذا الشيخ الجليل:

أحببنا والله إني على عهدي وحي لكم حي وودي لكم وودي و لم انس ايام التناي وطيبها ... وأوقاتنا ما بين عوري إلى جدي وإني على ذكرى لكم وتوجهي ... إلى الله فيما ترتجون من الرفض لعمري ودينى ثم أولادكم وما ... ترومون من فضل يفيض إلى حدي

[5] البرتلي ، المصدر نفسه ، ص 30 ، السعدي ، تاريخ السودان ، المصدر نفسه ، ص32 ، مبخوت ، بودواية، المرجع نفسه، ص190 .

وعاد لمسقط رأسه واشتغل بالتدريس فتخرج على يده علماء كثر منهم : الفقيه محمد وأخوه أحمد ابني الفقيه محمود بغيغ ، الأخوان عبد الله وعبد الرحمان ابني الشيخ بغيغ كما تتلمذ على يد نجله الشيخ أحمد بابا التمبكتي ، ولد شيخنا والد أحمد في أول محرم 922هـ/1522م ، وتوفي في ليلة السابع والعشرين من شعبان عام واحد وتسعين وتسعمائة[1] .

من آثاره: شرح منظومة المغيلي في المنطق ، علق على صغرى السنوسي ، ألف الأصول ، شرح مخمسات العشرينات الفازازية لابن مهيب ، يقال أنه ما انتهى على القراءة والذكر حتى ثقل لسانه ووافته المنية[2] .

***الشيخ أحمد بابا التمبكتي:**

هو إبن أحمد بن عمر بن أحمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى بن عمر الصنهاجي الماسني[3]، ولد في قرية أروان بتمبكتو في إحدى وعشرين من ذي الحجة عام ثلاث وستين بعد التسعمائة[4]. سليل عائلة علماء ، ينحدر من قبيلة مسوفية توارثت أسرته القضاء والإمامة والعلم مدة طويلة[5] تقارب مائة سنة (القرنين الخامس عشر والسادس عشر)

درس العلوم الإسلامية من قرآن وحديث وفقه وعلم المنطق والبيان، علم التاريخ على يد شيوخ أفاضل ذكر لهم ترجمة في مؤلفه الشهير "نيل الإبتهاج" من أشهرهم الشيخ محمد بن محمود التنبكتي الذي عرف باسم بغيغ ، ختم الموطأ وتسهيل ابن مالك أصول السبكي وألفية العراقي بشرح مؤلفها ، وتلخيص المفتاح بمختصر السعد مرتين ورجز المغيلي في المنطق والمدونة بشرح أبي

---

[1] البرتلي، المصدر نفسه ، ص30.

[2] عبد الرحمان السعدي، المصدر نفسه، ص 44.

[3] عبد الرحمان السعدي، مصدر سابق، ص 37، السلاوي ، الإستقصاء ، ج3 ، مصدر سابق ، ص63.

[4] البرتلي ، مصدر سابق، ص31.

[5] نيلة حسن، مرجع سابق، ص171.

Joseph, cuog, histoir de d islamisation de l afrique de l ouest des origine a la fin du siecle , paris, librairie orientaliste paul geuthner, 1984, p 223.

الحسن الزرويلي ، صحيح البخاري ومسلم[1] . وغير هذه المعرف كثيرة لا يتسع المجال لذكرها ، فكان أحمد بابا جادا ومجتهدا في خدمة العلم حتى فاق جميع معاصريه على حد قول البرتلي[2].

يقول فيه أبو عبد الله محمد بن يعقوب المراكشي في فهرسته: "كان أخونا أحمد بابا من أهل العلم والفهم والإدراك التام الحسن ، حسن التصنيف ، كامل الحظ من العلوم فقها وحديثا وعربية وأصولا وتاريخا ..."[3]

امتحنه الله هو أسرته بالغزو المراكشي ودخول جند المنصور السعدي مدينة تنبكتو عام 1000هـ / 1592م[4]، فعملت أسرته آل أقيت على التنديد بالوجود المغربي في بلاد السودان وقد كانت آذان أهل السودان صاغية لهم مما أثارت حفيظة السعديين[5] ، فأمر المنصور بالقبض عليهم رجالا ونساء ثم نفيهم إلى مراكش*، كما نهبت خزائنهم ودمرت ديارهم انتقاما من الوجود المراكشي[6].

أطلق المنصور سراحه ومن معه بعد سنتين من الزمن ، على أن يجلس على كرسي التعليم لتلقين الدروس هناك، فكان جامع الشرفاء منزلا له[7]. فيذكر أحمد بابا ذلك في كتابه قائلا: "ولما خرجت خرجت من المحنة طلبوا مني الفقراء فجلست بعد الإباية بمسجد الشرفاء بمراكش من أقوى جوامعها ، أقرأ مختصر خليل قراءة بحث وتحقيق ونقل وتوجيه ، وكذا تسهيل ابن مالك ، وألفية العراقي ... فازدحم علي الخلق وأعيان طلبتها ولازموني وافنيت فيها لفظا وكتابة ..."[8].

---

[1] البرتلي ، فتح الشكور، المصدر نفسه، ص30 ، السعدي، المصدر نفسه، ص ص 45 ، 46 ، نبيلة حسن، المرجع نفسه، ص 171 ، انفاق المسيور ، مصدر سابق، ص 319.

[2] البرتلي، المصدر نفسه ، ص 31.

[3] البرتلي، المصدر نفسه، ص31.

[4] السلاوي، أبو العباس ، الاستقصاء ، ج3 ، مصدر سابق ، ص 43.

[5] نبيلة حسن، المرجع نفسه ، ص171.

* "كان القبض عليهم في آخر محرم من عام 1002ه فوصلوا إلى مراكش في الاول من شهر رمضان من نفس السنة ، ضلوا في السجن عامين ثم اطلق صراحهم سنة 1004ه ". ينظر : نبيلة حسن ، مرجع سابق ن ص172.

[6] عبد الرحمان السعدي ، تاريخ السودان ، مصدر سابق ، ص ص 41 ، 42 ، 46. ينظر أيضا السلاوي، المصدر نفسه، ص 63.

[7] البرتلي ، فتح الشكور ، المصدر السابق ، ص34.

[8] (ـــــ) مصدر نفسه ، ص ص 34 ، 35. نبيلة حسن ، المرجع نفسه ، ص 173.

وبعد موت المنصور أذن له خليفته ابنه زيدان ـــ ومن معه بالرجوع إلى بلاده ، توفي فيها عام 1032هـ / 1627م.

من آثاره كتابه الشهير"نيل الابتهاج بتطهير الديباج" يعد معجم للفقهاء المالكية ، ذيّل فيه على كتاب ابن فرحون "الديباج المنهي في معرفة أعيان علماء المذهب" كما له ما يربو على الأربعين مؤلف في الفقه ، النحو وموضوعات أخرى[1] .

4-الطرق الصوفية في السودان الغربي:

انتقلت هذه الطرق الصوفية إلى غرب إفريقيا عبر مسالك التجار ،حيث مررها دعاة المغرب الإسلامي شرقا وغربا ، وكانت توات أحد المراكز التي عملت بشكل فعال في تمرير تلك الحركات إلى بلاد السودان الغربي[2] .

وإن تحدثا عن الحركات الصوفية في السودان الغربي خلال القرن الثالث عشر والخامس عشر فنركز على الطرق الفاعلة آنذاك ونذكر بعضها الآخر الذي زاد نشاطه وحركته من القرن الثاني عشر هجري إلى اليوم .

***الطريقة القادرية :**

لقد سبق وعرفنا بها ومؤسسيها في المبحث الأول، قد كانت أوسع انتشار في السودان الغربي بحيث وصلت هناك مع القرن الخامس عشر ميلادي على يد مهاجرين من توات[3] ، فاتخذوا فاتخذوا من ولاته مركزا لطريقتهم ثم انتقلوا إلى تميق[4] .وقد كان الشيخ ابن عبد الكريم المغلي رائدا رائدا من روادها في السودان الغربي الذي اتجه بجهوده إلى الجزء الأوسط من الصحراء الكبرى واصلا إلى شمال نيجيريا .واصل الشيخ أحمد البكاء الكنتي في القرن الخامس عشر ميلادي ثم انتشرت هذه الطريقة بقيادة المختار الكنتي[5] .لقد اتسعت رقعة الخارطة الطرق الصوفية من خلال

---

[1] نبيلة حسن، مرجع سابق، ص 173.

[2] بودواية، مبخوت، العلاقات، مرجع سابق، ص ص 254 ، 255.

[3] عمار هلال ، مرجع سابق ، ص 110.

[4] ارلوند، توماس ، المرجع السابق، ص ص 394 ، 395.

[5] نعيم، قداح ، المرجع السابق، ص 78.

الطريقة بقيادة المختار الكنتي[1] .لقد اتسعت رقعة الخارطة الطرق الصوفية من خلال الدعاة التواتيين والفقهاء الذين وصلوا إلى السودان الغربي وقد راجت تلك الطريقة بانتظام الملوك والأمراء إليهم[2].

وقد انبثقت عن الطريقة القادرية الطريقة البكائية[3] أو الشعبة البكائية وواصلت مسيرتها في أرض غرب إفريقيا ولعبت دورا هاما في نشر الدين الإسلامي لما اتسمت به من مبادئ وتعالية تنادي بحسن الجوار والتسامح والاتحاد وهذه القيم ما هي إلا قيم الإسلام التي عملت تلك الطرق على المحافظة عليها[4] .

***الطريقة الشاذلية:**

إن المولد الأصلي لهذه الطريقة يرجع إلى أبي القاسم الجنيدي شيخ العالم الأندلسي أبي مدين شعيب الذي كان شيخا للعالم عبد السلام بن مشيش المغربي الأصل ، ولهؤلاء الأقطاب الثلاثة يرجع أصل هذه الحركة، حيث تأثروا واشتد بهم الشيخ الشاذلي الذي تجاوز بسمعته الأقطار المغرب الإسلامي ليصل إلى السودان الغربي ثم مصر ومناطق أخرى من المشرق الإسلامي[5].

وهو أبو الحسن علي بن عطاء الله بن عبد الجبار الشاذلي الملقب بتاريخ الدين عام 593هـ / 1196م ، ويذكر بعض المؤرخين أنه ولد في مدينة الشاذلية بتونس بالقرب من جبل رفران. ويزعم آخرون أنه من مواليد قرية غمارة بسبتة بالمغرب الأقصى[6].

---

[1] نعيم، قداح ، المرجع السابق، ص 78.

[2] نعيم ، قداح، مرجع سابق ، ص ص 84 - 85 ، ينظر: محمود فرج ، مرجع سابق ، ص97.

[3] الشعبة البكائية أسسها الشيخ عمر بن الشيخ احمد البكائي في القرن العاشر وكان قد سافر إلى الشمال فالتقى بالشيخ عبد الكريم المغيلي في توات فأخذ عنه جملة من الأوراد ، توفي 1226هـ/1821م ، ينظر : خليل النحوي ، مرجع سابق، ص121.

[4] أرلوند ، توماس ، مرجع سابق، ص 166.

[5] عمار هلال ، مرجع سابق، ص178.

[6] الزركاني، الأعلام، مصدر سابق، ج3 ، ص221.

بلغت هذه الطريقة سمعة كبيرة حيث تخرج على الشيخ شادلي* تلاميذ في كامل أقطار المغرب الإسلامي فاهتموا أيضا بنشر مذهبهم ، بل قد تفرعت عن هذه الطريقة الطرق الصوفية الأخرى في مناطق مختلفة ممتدة من الحجاز شرقا إلى الأندلس غربا ومنها: الواقعية في المغرب الأقصى والدرقاوية في ليبيا والعروسية نسبة لأبى العباس احمد بن العروس[1] .

أما في المغرب الأقصى فقد انبثقت الطريقة الزروقية نسبة لمؤسسها أبي العباس أحمد الزروق البرنوسي، تأسست في حدود 1494م .

وإن تحدثنا عن صدى هذه الطريقة في غرب إفريقيا فسنذكر الرازية والناصيرة والغازية والشابية[2].

إذن تعد الطريقة الشاذلية اشد انتشارا في إفريقيا الغربية، حيث ساهمت في تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية .

***الطريقة التيجانية :**

نشأت هذه الطريقة على يد الشيخ أحمد التيجاني[3] وهو أبو العباس أحمد بن محمد الحسني ولد سنة 1737م[4]، رغم أن هذه الطريقة بعيدة عن الفترة المدروسة – سميت بهذا الإسم نسبة لقبيلة توجين، كان من أول أساتذته الشيخ أحمد حسان القادري من مدينة فاس والشيخ مولاي الطيب الوزانين في سنة 1186هـ/1773م بدأ الشيخ تيجاني رحلة إلى الحجاز واصل مسيرته الصوفية وفي رحلة العودة مر بالقاهرة حيث التقى بالشيخ محمد الخيضري[5]، ثم انتقل إلى مدينة

---

* حفظ القرآن ودرس السنة والعلوم ، تدرج شيئا فشيئا حتى وصل المراد كان ينتقي الكتب التي يدرسها مثل كتاب ختم الأولياء الترمذي ، الإحياء للغزالي والموافق والمخاطات للنفري، كان صاحب حلقات وعلم، من الأساتذة الذين حضروا تلك الحلقات الشيخ أبو العباس المرسي ، عز الدين عبد السلام، يرجع إلى: عمار، هلال، مصدر سابق، ص 225.

[1] عمار هلال ، مرجع نفسه، ص206 .

[2] عمار هلال ، مرجع نفسه، ص 210 ، ينظر أيضا : مبخوت ، بودواية ، مرجع سابق ، ص 256.

[3] محمد، فاضل، مرجع سابق، ص 45.

[4] أرنولد توماس، مرجع سابق، ص ص 365-366.

[5] محمد، صالح حوتية، مرجع ، ج1، ص261.

تلمسان ومنها إلى قصري بوسمغون والشلالة ، فانقطع للعبادة والدعوة، بقي فيها ما يربوا عن الثامن عشرة سنة ثم أخذ ينتقل بين توات والسودان الغربي وتونس[1].

عرفت هذه الطريقة انتشارا واسعا بمساهمة القوافل التجارية التي اعتمدها الشيخ التيجاني وأتباعه وسيلة لنشر طريقتهم[2].

وفي الحديث عن الطرق الصوفية في توات أو بلاد السودان الغربي بغض النظر عن أسمائها وشيوخها حاولت جاهدة في نشر الدين الإسلامي في الصحراء وما وراءها.

وتعتبر الطريقة القادرية، الموساوية، التيجانية والشيخية دولاب الحركة الإصلاحية الثقافية في تلك الأقاليم فاعتمدت الزوايا والكتاتيب وحلقات الذكر التي تكون بعد الصلوات الخمس[3]، فكان لكل شيخ أتباعه ونشاطه الخاص فمثلا أبدى علماء قبيلة كنتة جهودا عظيمة في نشر الطريقة القادرية التي تفرعت عنها الطريقة البكائية في الأزواد وغرب إفريقيا[4]، ولها الأثر البالغ في انتشار الإسلام بين الشعوب الزنجية في بلاد السودان الغربي واستمرت باقي الطرق في نفس العملية كالتيجانية والموساوية وغيرهما[5].

---

[1] عمار، هلال، الطرق الصوفية، مرجع سابق، ص 206.

[2] عمار، هلال، الطرق الصوفية، مرجع سابق، ص 207.

[3] صالح حوتية، مرجع سابق، ص 221.

[4] عبد الله، عبد الرزاق إبراهيم، مرجع سابق، ص 40.

[5] نفسه، ص 38.

خاتمة

خاتمـــة

من خلال ما ورد من بعض التفاصيل والجزئيات عن مقتضى الموضوع الموسوم بـــــ:«الرحلة التجارية بين إقليم توات و السودان الغربي ودورها في تمتين الروابط الثقافية ما بين القرنين7هـــ و10هـــ.» يتبين حقيقة أهمية توات للعبور والتنقل إلى ما وراء الصحراء- تحديدا أرض السودان الغربي- فقد شكّل إقليم توات مركزا للاستقرار ومرتعا للوافدين ومحطة عبور لما توفر فيه من أمان واطمئنان. فالتقى به الزهاد و الصالحين الآتين من كل فجّ عميق.

فقد مرّر الإقليم ما انعدم في أرض السودان من خلال حركة القوافل التجارية حـــين اهتّم الجميع بعامل التجارة التي راجت و تنامت مع العصر الوسيط، حيث حملـــت القوافـــل البضائع و الصنائع مع العقائد الإسلامية حين أوصلت الدعاة و الفقهاء الـــذين صـــدقوا مـــا عاهدوا الله عليه، و إن كان تناول موضوع التجارة و رحلتها التي انتهت إلى غرب إفريقيـــا فلأجل إعادة التأكيد على قضية نشر الإسلام التي اعتمدت أساسا على عامل التجـــارة علـــى عكس ما قد تعارف عليه في عملية الفتح الإسلامي، و كما سبق الذكر فقد كان التاجر المسلم محترفا في مهنته ذكيا في إيصال دعوته الإسلامية، و إن كان الفاتحون الأوائل اعتمـــدوا علـــى السيف فسيف التاجر صدق وعده و ميثاقه وحسن معاملته مـــع الآخـــرين و وفائـــه للعهـــد وأمانتـــــــه و فعلا وصل الإسلام إلى السودان الغربي و أنشأ دولا ذات الشأن الكبير كغانة و مالي و سنغاي.

و لم تشكّل رمال الصحراء عائقا أمام التجار و العلماء بل على العكس كان لهـــا أثـــر كبير في نشر الدين و الثقافة و بالتالي الحضـــــارة العربية الإســـــلامية، و أثر الصـــحراء كان أكبر من أثر مياه البحر المتوسط حين تحولت الصحراء الكبرى إلى حواضر كبرى إسلامية بينما لم يصل الإسلام إلا للأندلس عبر مياه البحر المتوسط من أوربا .

بل على العكس استفاد أهل توات من موقع الوسط لإقليمهم في تفعيل حركة التجارة، فأصبحت أسواقهم نقطة التقاء و تجمع للقوافل المارة إلى ما وراء الصحراء أو الآتية من هناك.

لقد تنامت الحركة التجارية بين جهات إفريقيا شمالا و جنوبا فأصبح الجزء الشمالي يمثل الحضارة و المدنية بالنسبة للجنوب و أضحى أديم السودان الغربي الذي عرف بأرض الرقيق ومنبت الذهب العتيق امتداد لرقعة العالم الإسلامي ابتداء من المشرق مرورا بالمغرب و الأندلس و إنتهاءا بالسودان الغربي.

وقد مثلت الطرق و المسالك التجارية الشريان النابض بالحياة في تفعيل الحركة التجارية ممثلة في حركة القوافل، وقد التقت كل المعابر في مركز إقليم توات ثم انبثق عنها مسلك واحد مؤدي إلى تمبكتو و منها إلى باقي مراكز السودان الغربي، و لّما إحترف معظم سكان توات مهنة التجارة برعوا فيها فسلكوا الدروب و الشعاب و أصبحوا أدلاء طريق لقوافلهم و قوافل غيرهم، فأرست التجارة مراكز هامة في كل من توات والسودان الغربي أهمّها تديكيلت، تيكورارين و توات الوسطى في إقليم توات و كل من تمبكتو، غاو وجني في السودان الغربي.

و بالفعل ساعدت الحركة التجارية في وصول اللغة العربية و إرساء قواعدها في غرب إفريقيا فاعتمدها ملوكها كلغة أولى في المعاملات الرسمية و التعليم و بالتالي ارتقاء حواضر السودان الغربي بوصول الحضارة العربية الإسلامية إليها .

و إن كانت الرحلة التجارية ربطت بين إقليم السودان الغربي و إقليم توات ففي الحقيقة أنها ربطت و فعّلت العلاقات الاقتصادية و الثقافية بين اثنين من أهّم أقطار العالم الإسلامي الشمالي ممثلا في المغرب الأوسط و الجنوبي ممثلا في السودان الغربي، فنجحت تلك الروابط حين حوّلت أدغال غرب إفريقيا من الجهل و الوثنية إلى نور العلم والإسلام و المدنية.

و قد واصل التواتيون نشاطهم بعد التجارة في المجال الثقافي خاصة في القرنين الخامس والسادس عشرة ميلادي ، حيث تحولت أقاليمها الجرداء إلى واحات فكر وعطاء، فأصبحت تعج بالمدارس و الزوايا و الطلبة و العلماء الزهاد و المتصوفة ، الشعراء والفقهاء، فتدعمت قوافلهم بالكتب و الدواوين و حملت بالعلماء و المتصوفين الدين نشروا الإسلام من خلال حركاتهم الصوفية في ربوع غرب إفريقيا ، حيث نجحت الكثير منها في الإصلاح والتغيير كالطريقة القادرية التي قادها الشيخ ابن عبد الكريم المغيلي وواصلها الشيخ الكنتي و التي تمكنت من القضاء على الخرافة و الجهل وتحصين قوفلهم التجارية من النهب و السطو ، فكانت في الكثير من المواقف مرنة ملاينة للطباع و الأفكار الإفريقية محاولة امتصاص صعوبة و صلابة ذهنياتهم التي طبعتها الصحراء بالقساوة والجمود

و أخيرا يمكن القول أن إقليم توات إقليم يستحق العناية و البحث لما يكتسبه من أهّمية سواءا كرقعة جغرافية سمحت له باتخاذ موقع الوسط بين الشمال و الجنوب أو كواقع اجتماعي و اقتصادي ثم ثقافي، فقد حافظ على عاداته و تقاليده الذي جمع شمل سكان الإقليم عموما و احتوت على منابع المياه التي اعتبرت العامل الأساسي في حركة القوافل الآتية و الآيبة .

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر المطبوعة

1-ابـــن بطوطـــة، شمس الديـــــن محمد، تحفـــة النظـــار فـــــي غرائـــــب الأسفـــــار وعجائب الأمطار، تحقيق: محمد عبد الرحيم، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكـــر للطباعة و النشر و التوزيع، سنة 2003.

2- ابن الوردي،سراج الدين، عجائب البلدان من خلال مخطوط جريدة العجائب و فريـــدة الغرائب(691هـــ= 1291 م /681هـــ =1457م)، تحقيق و تعليق و تقديم: أنور محمود زناتي، مصر: جامعة عين شمس، دون تاريخ.

3- ابن بابا، حيدة محمد الطيب، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق فرج محمود فرج، تابع لأطروحة إقليم توات، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية و المؤسسة الوطنية للكتاب،1977.

4- ابن خلدون، عبد الرحمن، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجـــم والبربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت: دار الكتب العلمية، 1962، الجزء السادس و السابع .

5- (ـــــــ،ـــــــ)، مقدمة بن خلدون ، تحقيق : خالد ،عطار ، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر ،2001

6-(ـــــــ،ـــــــ)، تاريخ ابن خلدون، الطبعة الأولى ، بـــيروت: دار الكتـــب العلميـــة، 1992، الجزء السابع.

7- ابن سعيد، علي بن موسى، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العـــربي، بـــيروت: المكتبـــة التجارية، 1970.

8- ابن حوقل، أبي القاسم النصي، صورة الأرض، مكتبة لندن: بريل 1819.

9- ابن أبي يعقوب، أبو أحمد، تاريخ اليعقوبي، بيروت: طبعة دار صادر، 1992.

10- إبن منظور، لسان العرب، طبعة بيروت، الجزء الأول، دون تاريخ.

11- أبو العباس، أحمد بن الخطيب، الوفيات ، تحقيق: عادل نويهض، بيروت، دون مكـــان طبع، 1971.

12- الإدريسي، عبد الله الشريـــــــف، المغـــــــرب و أرض الســـــــودان ومصـــــــر و الأندلس، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ليدن: مطبعـــة بريل، 1863.

13-الأنصاري، أبو عبد الله، فهرست الرصاع، تحقيق: محمد العنابي، تونس، المكتبة العتيقـــة، دون تاريخ الطبع.

14- البرتلي، أبي عبد الله، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكور، تحقيق: حجي، محمـــد إبراهيم الكتاني، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981.

15- البكري، عبد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، مقتطف من المسالك والممالك، تحقيق: دي سلان،1965.

16- البلاذري، فتوح البلدان مأخوذ من موقع www.al-mostafa.com

17- الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، 1980، الجزء السادس.

18- الهمداني: أبي بكر، البلدان، ليدن: بريل:1886.

19- الوزان، حسن، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي و محمد الأخضر، الطبعـــة الثانيـــة، بيروت: دار الغرب الإسلامية، 1983.، الجزء الثاني.

20-الونشريسي، أحمد بن يحي، المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوى علمـــاء إفريقيـــة والأندلس و المغرب، تحقيق: مجموعة من الدكاترة بإشراف محمد حجي، بيروت: دار الغـــرب الإسلامي، دون سنة الطبع، الجزء الثاني.

21- الحموي، ياقوت، معجم البلدان، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت: مكتبـــة لبنان، 1984.

22- الحشائشي، محمد بن عثمان، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، تحقيق: علي مصطفي المصراتي، لبنان : دون مكان طبع، 1968 م .

23 – الطبري، أبو جعفر، تاريخ الأمم والملوك، طبع لذن، 1897 م .

24-المغيلي، محمد بن عبد الكريم، مصباح الأرواح، تحقيق: رابح بونار، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، 1968.

25- السعدي، عبد الرحمن، تاريخ السودان، باريس، 1964.

26- السلاوي، أبو العباس، الإستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، بيروت: دار الكتاب، دون تاريخ، الجزء الثالث.

27- العمري، إبن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: مصطفى أبو ضيف، الطبعة الأولى، دون مكان، 1988.

28- العياشي، محمد أبو سالم، ماء الموائد، تحقيق: محمد حجي،المغرب: طبعة فاس الحجرية،1977، الجزء الأول.

29- (_____،_____)، رحلة العياشي، و سمّاها ماء الموائد، تحقيق: مولاي بالحميستي، الجزائر: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الطبعة الثانية، 1981.

30- الغرناطي، أبو حامد الأندلسي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب،تحقيق: إسماعيل العربي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989 م .

31-الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، بيروت، دار القلم، دون تاريخ، الجزء الثالث.

32- القلقشندي، أبي العباس، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء.

33- القزويني، آثار البلاد و أخبار العباد، بيروت: دار صادر، 1960.

34- الرّصاع، محمد الأنصاري، فهرست الر صاع، تونس، 1967.

35- التمبكي، أحمد بابا، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، إشراف و تقديم: عبد الحميد الهرامة، طرابلس:منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1989

36- التمبكي، محمود كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان و الجيوش و أكابر الناس، باريس: طبعة هوداس، 1964.

37- كربخال، مارمول، إفريقيا، ترجمة: محمد حجي و آخرون، الجزء الثالث، الرباط: دار النشر و المعرفة، 1984.

38-عمر، عبد العزيز، قطف الزهرات في أخبار علماء توات، الطبعة الثانية، الجزائر، دار هومة، 2002.

39-فودي ، بن عثمان، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق: بهيجة الشاذلي، الرباط: جامعة محمد الخامس، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، 1996.

40-أحمد بن خطيب، أبو العباس، الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، بيروت، دون دار الطبع، 1971.

41- (ـــــ)، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تحقيق: عبد القادرزبادة، الجزائر، الشركة الجزائرية للنشر، دون سنة النشر

ثانيا: المراجع العربية

1-أمين، أحمد، ضحى الإسلامن الطبعة الثانية، مصر، مكتبة النهضة، 1935، الجزء الثاني.

2-إبراهيم، عبد الرزاق، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، الجزائر، المطبعة الفنية، 1990.

3-أبو الصادقي ، أحمد الجعفري، من تاريخ توات ، أبحاث في التراث ، أدرار ، دون مكان طبع ، 2008 م .

4-أبو عمران وآخرون، معجم المشاهير المغاربة، الجزائر، مطبوعات الجامعة، الجزائر، 1995

5- العربي إسماعيل، حاضرة الدول الإسلامية في القارة الإفريقية، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.

6-الدالي، مبروك الهادي، التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء، الطبعة الأولى، ليبيا، دون دار الطبع، 2002.

7-(ـــــــــــــــــــ، ـــــــــــــــــــ)، الصحراء الكبرى و شواطئها، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983.

8- الجيلالي، عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، الجزء الأول و الثاني.

9- الزيادي، محمد فتح الله، إنتشار الإسلام و موقف المستشرقين، دمشق:دار قتيبة، 1990.

10-الحسني القاسمي، عبد المنعم، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات غلى غاية الحرب العالمية الأولى، ورقلة، دار الخليل القاسمي، 2005.

11- النحوي، الخليل، بلاد شنقيط المنارة و الرّباط، تونس: المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم/ 1987.

12- الفيتوري، عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا و جنوب الصحراء- مرحلة إنتشار الإسلام- بنغازي: منشورات جامعة قازيونس، 1997.

13- الصدّيق، حاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، الطبعة الأولى، أدرار: مديرية الثقافة لولاية أدرار، 2003.

14- الصادقي ، الحسن، أضواء على مماليك إفريقيا و علاقاتها ببلاد المغرب، الرباط: معهد الدراسات الإفريقية، دون تاريخ.

15- الشامي علي، صلاح الدين، النقل دراسة جغرافية، القاهرة: منشأة المعارف، 1976.

16 - باي، بالعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام و الآثار والمخطوطات و العادات و ما يربط توات من الجهات ، الجزائر: دار هومه، 2005. ، الجزء الأول والثاني.

17- بكري، عبد الحميد، النبذة في تاريخ توات و أعلامها من القرن 9هـ/14 هـ، الطبعة الثانية، الجزائر: دار الغرب للنشر و التوزيع 2007.

18- بوعزيز، يحي، تاريخ إفريقيا الشمالية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين الجزائر: دار للطباعة و النشر، .1996

19-(ـــــ،ـــــ)، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة الطبعة الأولى، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1995.

20- دي، فيجي، تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة و تحقيق: يوسف نصر، بهجت رياض صليب، الطبعة الأولى أسيوط: دار المعارف قسم التاريخ، كلية الآداب،1982.

21-نسيب، محمد، زوايا العلم و القراءة بالجزائر، بوزريعة، دار الفكر العربي، دون تاريخ.

22- هلال، عمّار، الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافة الغربية في غرب إفريقيا.

23- زبادية، عبد القادر، الحضارة العربية و التأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989

24- (ـــــ،ـــــ)، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، 1493هـ -1591هـ، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، دون سنة الطبع.

25- حسن محمد، نبيلة، في تاريخ الحضارة الإسلامية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، دون تاريخ.

26- حسن،أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، القاهرة : دون مكان طبع 1963 م

27- حسن، إبراهيم حسن، إنتشار الإسلام في القارة الإفريقية، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية:1990

28-خميسي، ساعد، أبحاث في الفلسفة الإسلامية، الجزائر، دار الهدى، 2002.

29- كروم، عبد الله، الرحلات بإقليم توات، دراسة تاريخية و أدبية للرحلات و المخطوطات بخزائن توات، الجزائر: دار النشر دحلب، 2007.

30- محمد، إبراهيم السيد، دراسات في مصادر ومراجع المكتبة العربية، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1993 م .

31- محمد، المنوني، المصادر العربية تاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، مراكش : مؤسسة الطباغة والنشر ، الجزء الأول ، 1983 م .

32- ناجي، علي، لمحات عن الإسلام في نيجيريا بين الأمس و اليوم، الكويت: دار الكتاب الحديث، دون تاريخ.

33-نسيب، محمد ، زوايا العلم و القراءة بالجزائر، بوزريعة، دار الفكر العربي، دون تاريخ.

34- سعد الله، أبي القاسم، يهود الجزائر، الجزائر: دار الأمّة، 1996.

35- سعد الله، أبي القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي.

36- سعيدوني، ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي، بيروت، دار المغرب الإسلامي، 1999.

37- عيسى حسن، عبد الطاهر، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا و قيام دولة الفولاني في مطلع القرن الثاني هجري، الرياض: جامعة الإمام محمد ابن سعود، 1981.

38-- عبد الرازق إبراهيم، عبد الله، دور تمبكتو الجغرافي و الإقتصادي في التجارة الصحراوية، الرباط: معهد الدراسات الإفريقية، دون تاريخ.

39- فرج، محمود فرج، إقليم توات خلال القرن الثامن و التاسع عشر الميلادي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1977.

40- فاضل محمد، كردية سعيد إبراهيم، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 2007.

41- صالح، حوتية، توات و الأزواد خلال القرنيين الثاني و الثالث عشر الهجري (18-19م)، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية ، الجزائر: دار الكتاب العربي للنشر المراجع الأجنبية: و التوزيع والترجمة:2007. ، الجزء الأول.

42- قداح، نعيم، حضارة الإسلام و حضارة أوربّا في إفريقيا الغربية، دمشق: مكتبة الأطلس، 1963.

43- (_____،_____)، إفريقيا الغربية في ظلّ الإسلام القاهرة: وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، 1990.

44- شاكر، محمود، مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا السودان، الطبعة الثانية، بيروت: المكتبة الإسلامية، 1981.

ثالثا: المراجع الأجنبية

1- Déporter, l'extrême- sud de l'Algérie, Alger: P Fontana 1890.

2-(_____), la question du Touât au Sahara, algérien, Alger: Fontana, 1891.

3-Mauroy, (M), précis de l'histoire et du commerce de l'Afrique sept, paris, 4 éme édition, 1862

4- Sabatier, c, Touat Sahara et soudan, paris: société d'éditions scientifiques, 1891.

5-Joseph Cuoq, Histoire de l'Islamisation de l'Afrique de L'ouest des origines à la fin du XVI^{eme}siècle, P aris, librairie orientaliste paul Geuthner, 1984.

رابعا: المقالات والدوريات والملتقيات:

1-الجعفري، أحمد، المخطوطات (ولاية أدرار) و أعلامها في الخزائن والمكتبات الإفريقية. مجلة لوحات للبحوث و الدراسات، العدد:1 ديسمبر 2006.

2-الجعفري، أحمد الصادق، أبحاث في التراث، ملتقى وطني ، أدرار، 2008/08/03.

3- المصري، مبروك، المدرسة الفقهية التواتية، الملتقى الوطني الأول-2-3 ربيع الأول 1425هـ/21.22 أفريل 2004.

4- المهدي، ميغا هارون، إمبراطورية سنغاي: دراسة تحليلية في الترتيب التاريخي للإمبراطوريات الإسلامية في غرب إفريقيا، مجلة دراسات إفريقيا، العدد 37. دون تاريخ.

5- العراقي، سيد أحمد، انتشار اللغة العربية في بلاد غرب إفريقيا عبر التاريخ السودان: جامعة أم درمان، مقالة على شبكة الإنترنيت يوم 03/04/10
www.google.com

6- العربي ، إسماعيل ، مسالك الإسلام والعربية إلى الصحراء ، مجلة الثقافة، عدد 62 ، الجزائر، 1981 م .

7-باي بلعالم، محمد، أهداف نشأة الزوايا وواقعها في المنطقة ، الملتقى الوطني الأول للزوايا بأدرار، أيام، 1-2-3 ماس 2003.

8- طرخان، إبراهيم، الإسلام و اللّغة العربية في السودان الأوسط و الغربي، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية في القارة الإفريقية العدد: الثاني- 1389هـ.

9- مبخوت بودواية، أعلام السودان بين القرنين التاسع والعاشر الهجريين، المؤرخ،العدد السادس، جويلية 2005.

10- عثمان، سعدي، تاريخ وأصول البربر العربية ، مجلة أفاق عربية ، عدد مارس، 1980م.

خامسا : الأطروحات والرسائل الجامعية والموسوعات:

1- ابن عبد المؤمن، بهية ، الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين 18 و 19 ، مذكرة ماجستير في التاريخ و الحضارة الإسلامية بكلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، سنة 2005-2006.

2- الحمدي، أحمد، محمد عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره و أثره، 870ه 909/1465-1503م، مذرة ماجستير في تاريخ و الحضارة الإسلامية، جامعة وهران 1999- 2000.

3-بلغيث، محمد الأمين، الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين، مذكرة ماجستير ، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1986-1987.

4-بولغيتي عبد الحليم، العزاوي عبد الغني، التربية النظامية وغير تظامية – مقارنة بين الثانوية و الزاوية- ، مذكرة ليسانس تخصص علوم التربية، كلية علمة النفسي، جامعة السانية، وهران، السنة الجامعية ، 2004-2005.

5-بوسليم، صالح، المؤسسات الثقافية بإقليم توات دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية أثناء القرنين 12و 13هـ/18 و19م، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب و العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2007-2008.

6-بحيدي حسان، محمد عبد القادر، الزوايا ودورها في حفظ المخطوطات، مذكرة ليسانس في علم المكتبات والوثائق، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السانية، سنة 200-2001م

7- مبخوت، بودواية، العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي خلال عهد بني زيان، رسالة دكتورة قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005- 2006.

8- عبدلي ، لخضر، الحياة الثقافية للمغرب الأوسط في عهد بني زيان، 1236هـ/1554م، دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط، جامعة تلمسان، سنة 2004-2005م.

9- عباس ، عبد الله، التأثيرات الحضارية لمنطقة توات في بلاد السودان الغربي، مذكرة ماجستير في التاريخ، معهد التاريخ جامعة الجزائر، سنة 1997-1998.

10- شبايبي ، ياسين ، الفكر السياسي عند الشيخ المغيلي التلمساني ودعوته الاصلاحية بتوات و السودان الغربي (870 هـ - 909 هـ / 1456م - 1503م) ، مذكرة ماجيستير في التاريخ و الحضارة الإسلامية ، وهران ، السنة الجامعية 2007/2006 .

11-الموسوعة العربية العالمية، "جوامع تمبكتو"، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1996، المجلد الثامن.

الملاحق

ملحق رقم 01:

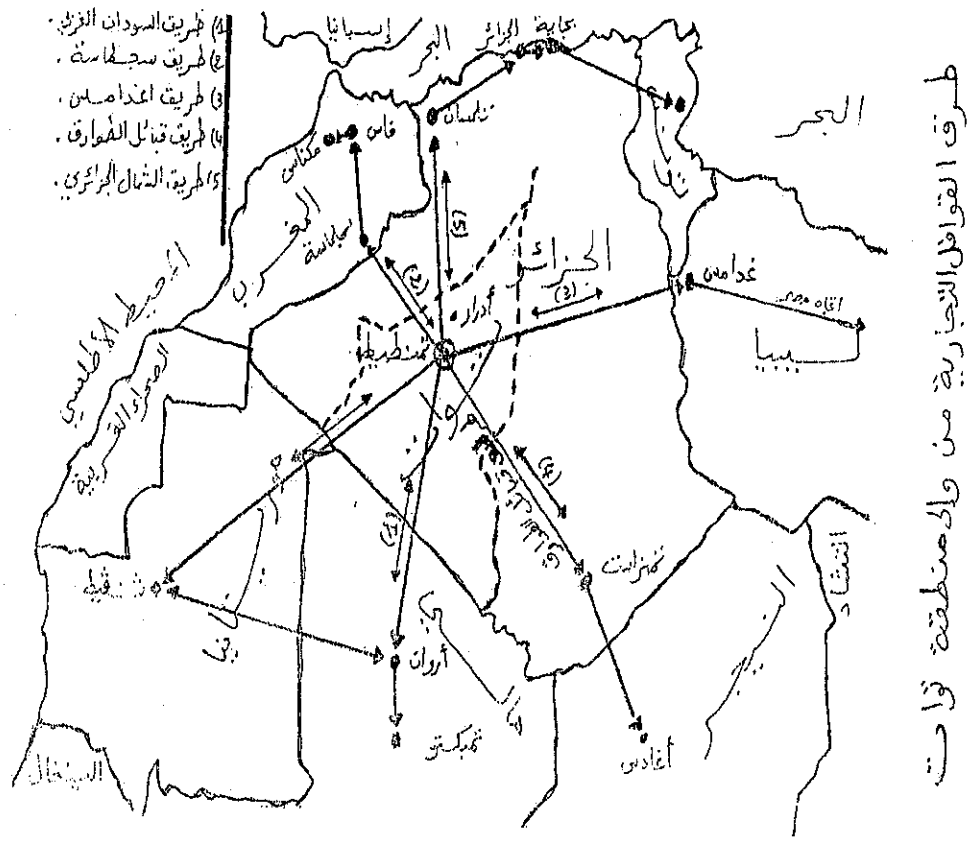

طرق القوافل التجارية من وإلى إقليم توات

نقلا عن رسالة الدكتوراه للمبخوت ، بودواية.

ملحق رقم 02:

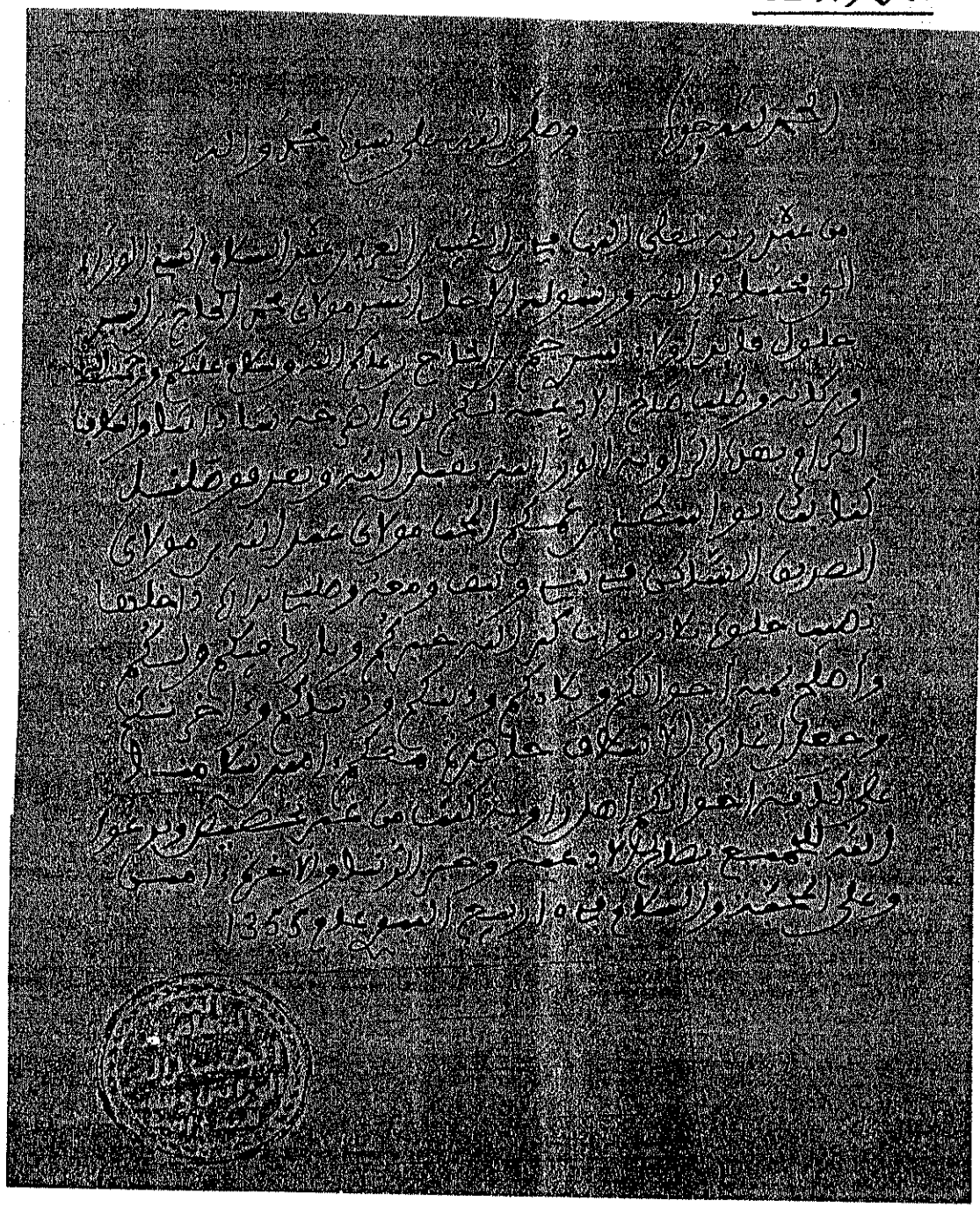

رسالة مخطوطة من مولاي تهامي بن الطيب بن العربي بن عبد السلام الحسني الوزاني إلى الشريف مولاي محمد الحاج بن سيدي جلول قائد عرش ولاد سيدي حمو بلحاج بإقليم توات جنوب الجزائر.

نقلا عن أحمد الجعفري، أبحاث في التراث، مقال في الأنترنت، 2008/08/03.

ملحق رقم 03:

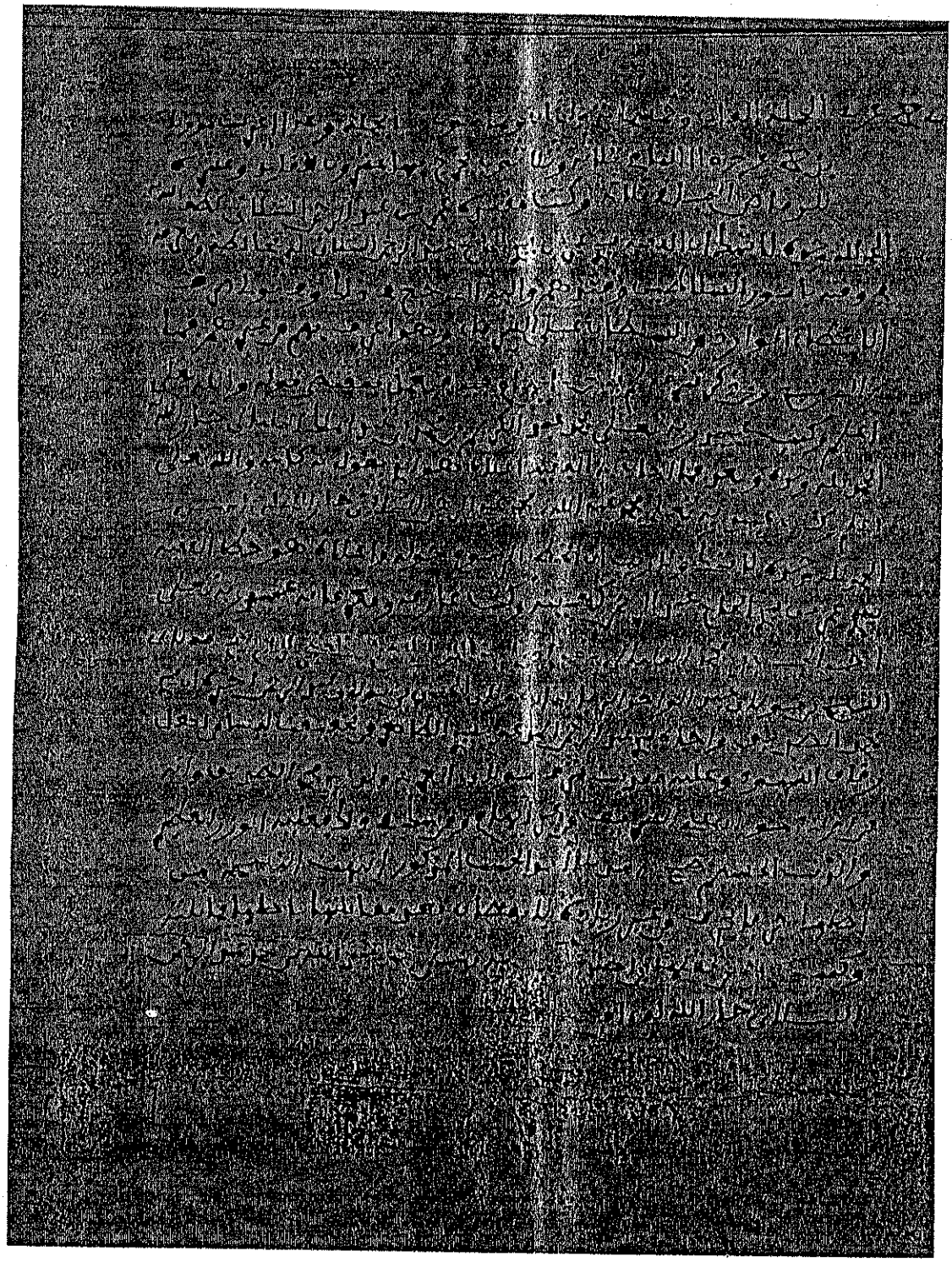

مخطوط في تقييد صداقة بين شريفمولاي علي بن محمد الحاج لابنه الكبير

نقلا عن أحمد الجعفري، أبحاث في التراث.

ملحق رقم 04:

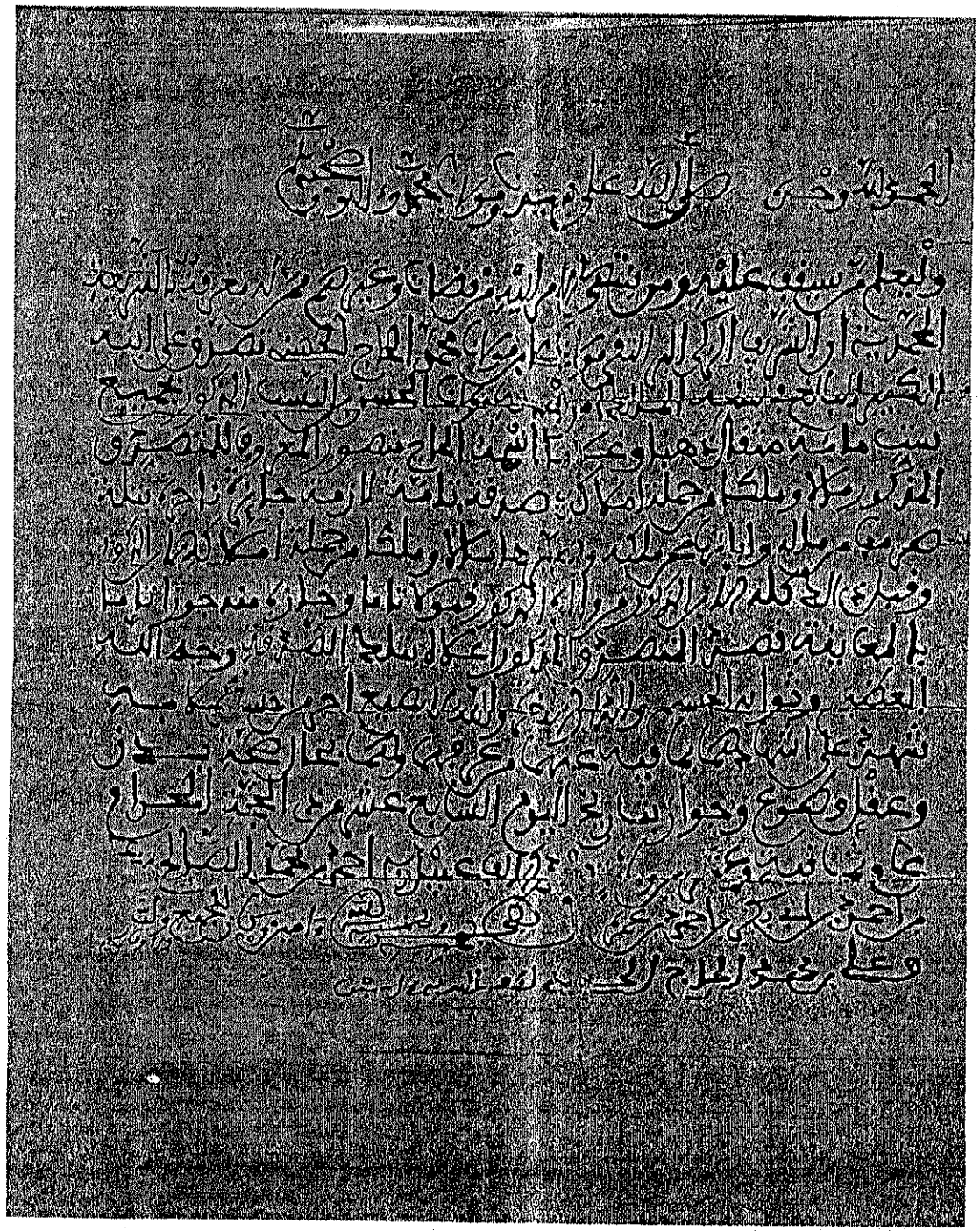

مخطوط حول العائلات الشريفة بتوات جنوب الجزائر

نقلا عن أحمد الجعفري، أبحاث في التراث.

ملحق رقم 05:

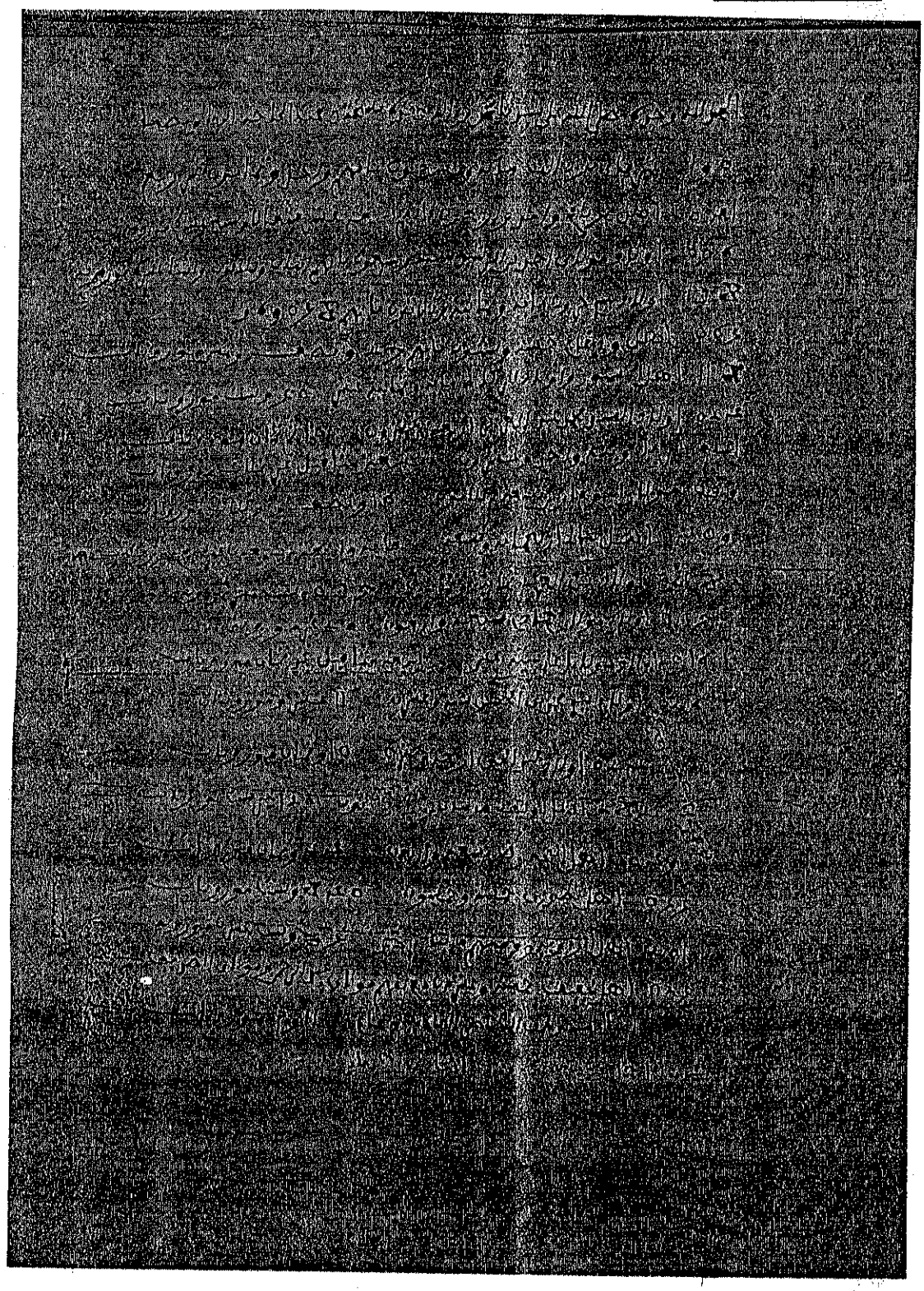

مخطوط بإحصاء الشرفاء بتوات جنوب الجزائر

نقلا عن أحمد الجعفري.

ملحق رقم 06:

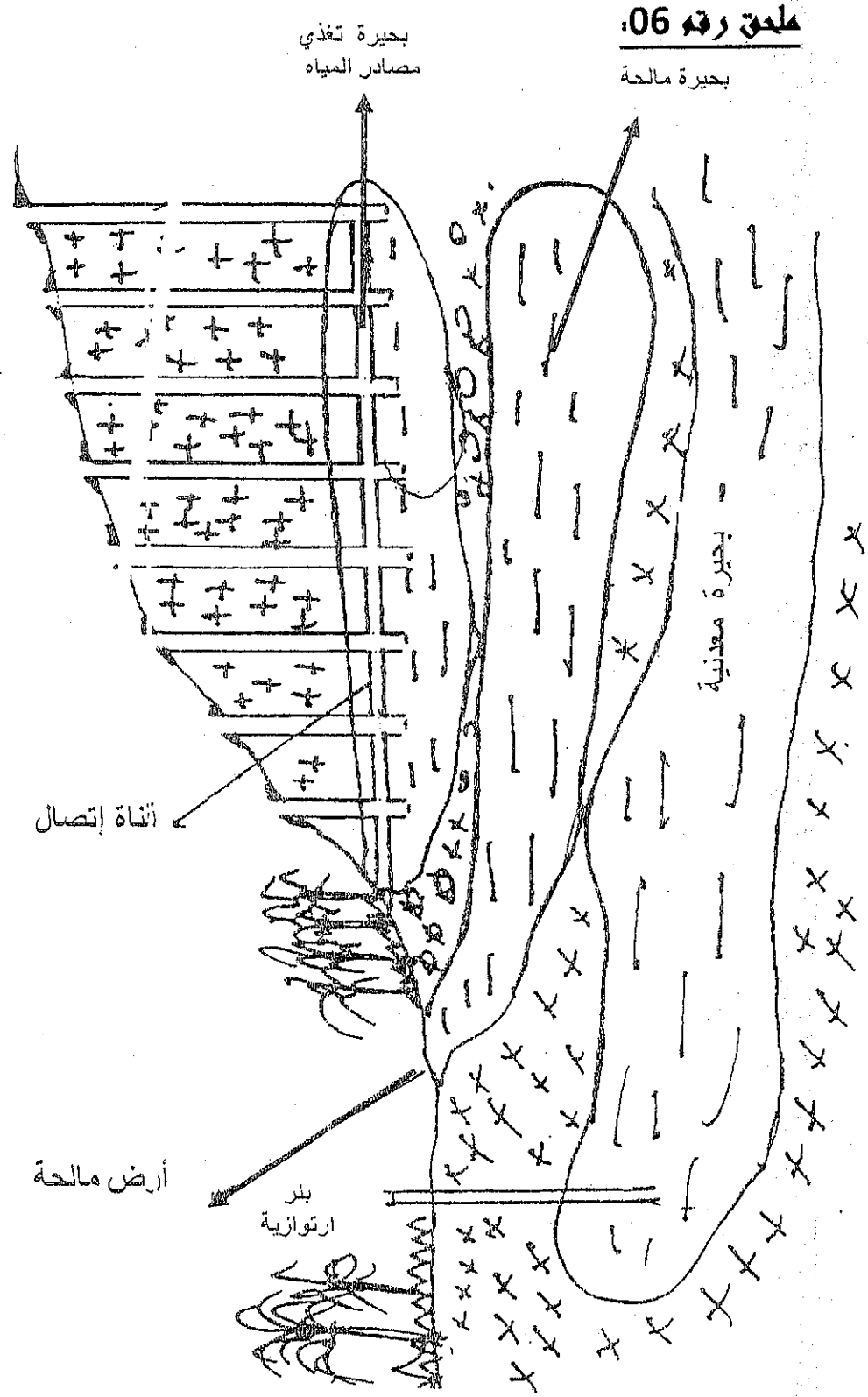

- مبدأ عمل نظام الفقارات بواحات توات

مبدأ عمل نظام الفقارات بواحات توات

نقلا عن رسالة الدكتوراه لمبخوت ، بودواية.

ملحق رقم 07:

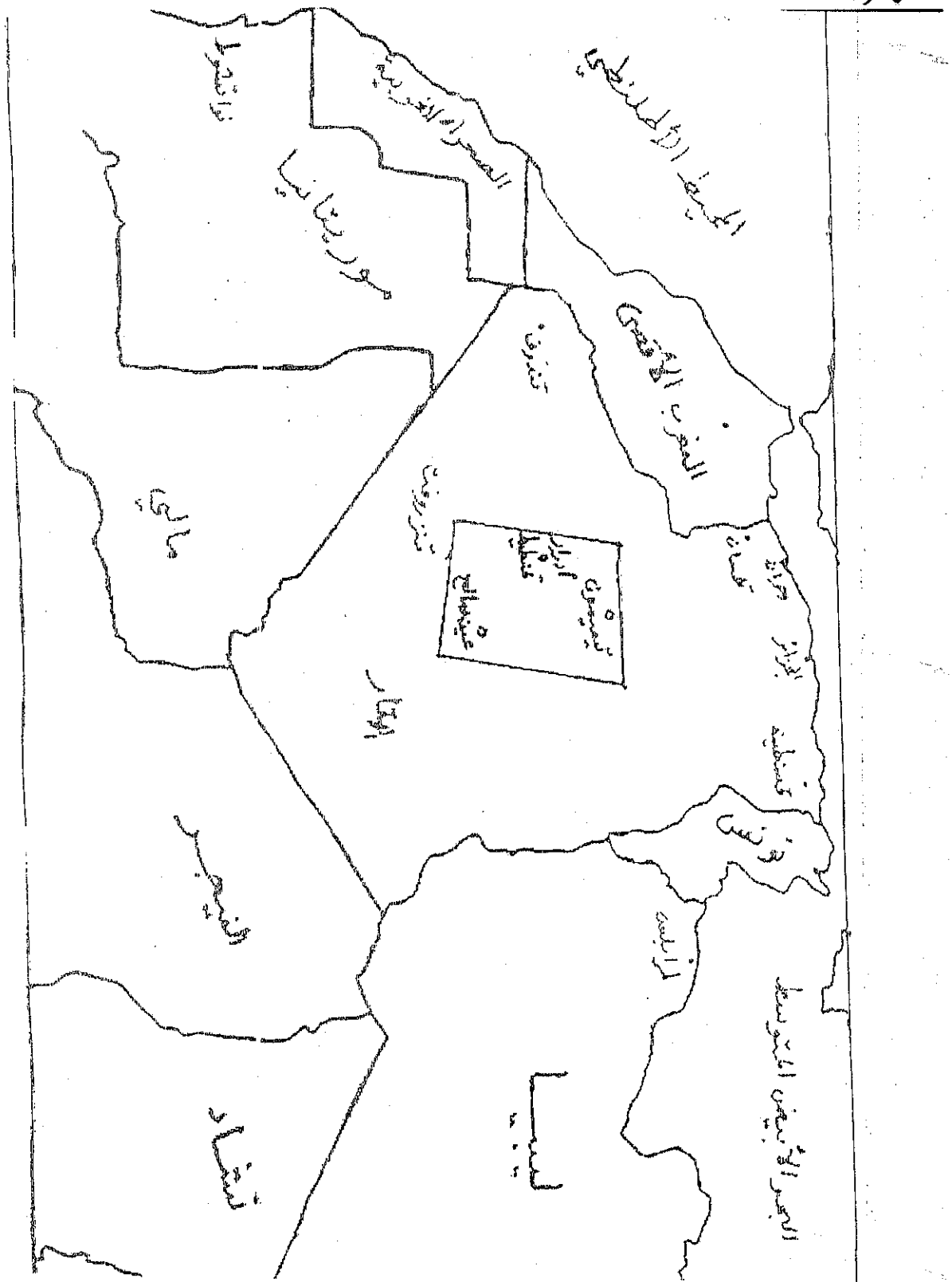

خريطة توضح موقع إقليم توات من بلاد المغرب العربي وإفريقيا حاليا

نقلا عن مبخوت، بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي خلال عهد بني زيان

ملحق رقم 08:

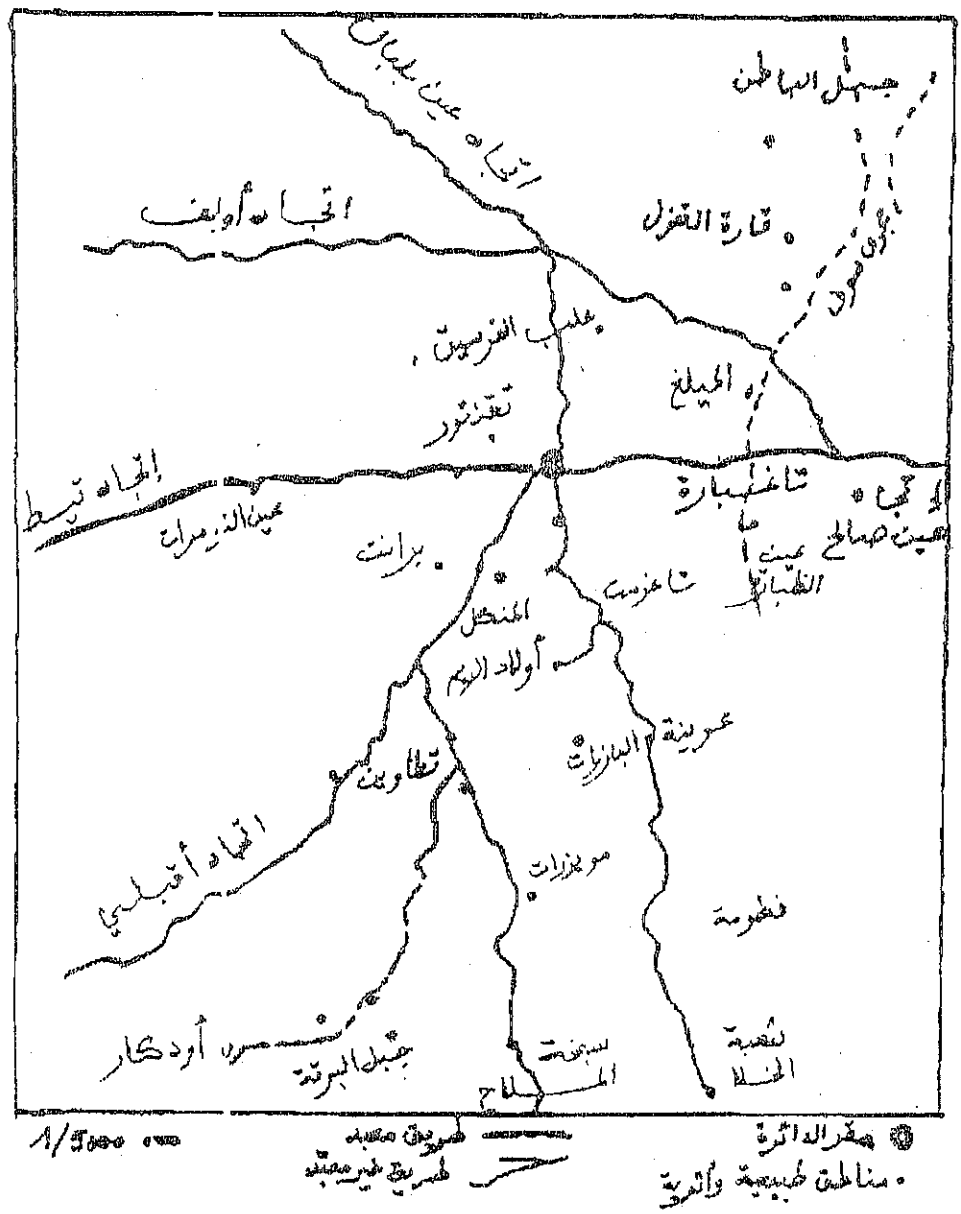

خريطة توضح المناطق الطبيعية والأثرية بإينغر – تيديكلت.

نقلا عن حضيرة الأهقار الوطنية، مركز المراقبة والإعلام بإينغر 1996/95.

ملحق رقم 09:

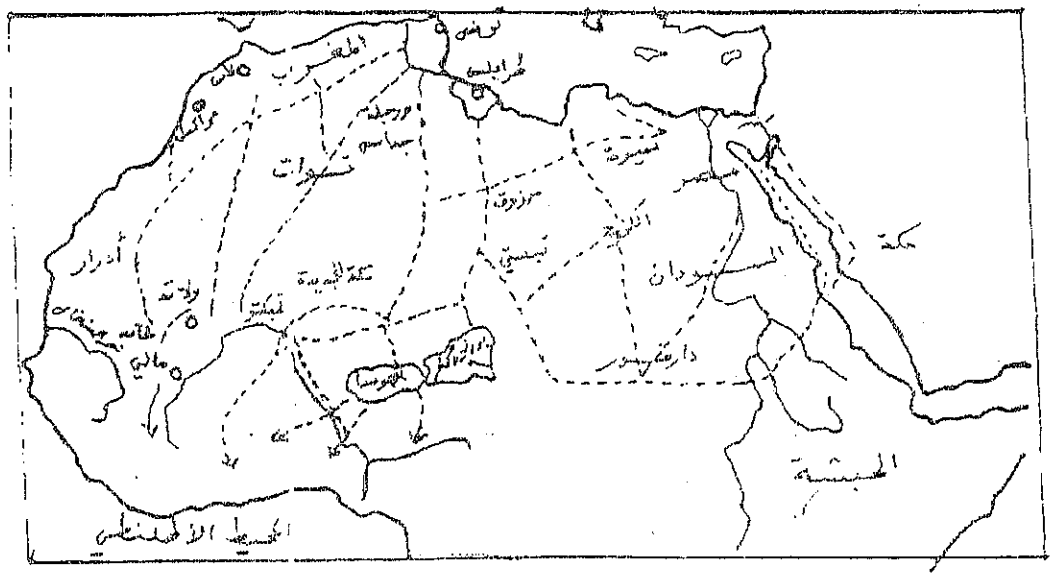

خريطة تبين أهم طرق القوافل التجارية والمواصلات في شمال إفريقيا وغربها

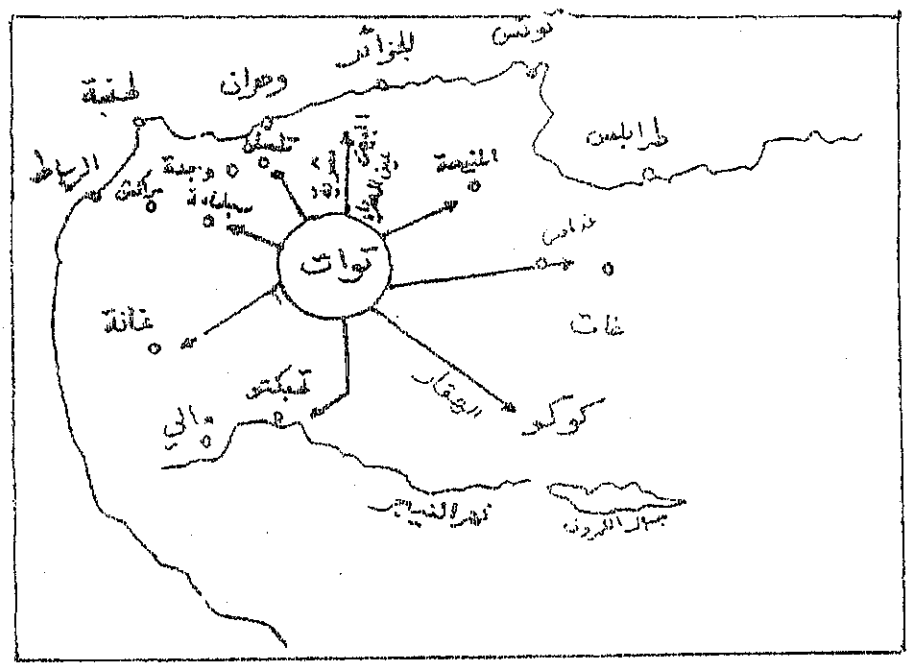

خريطة تبين طرق القوافل التجارية الصحراوية من وإلى إقليم توات

نقلا عن عن فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص 76.

ملحق رقم 10:

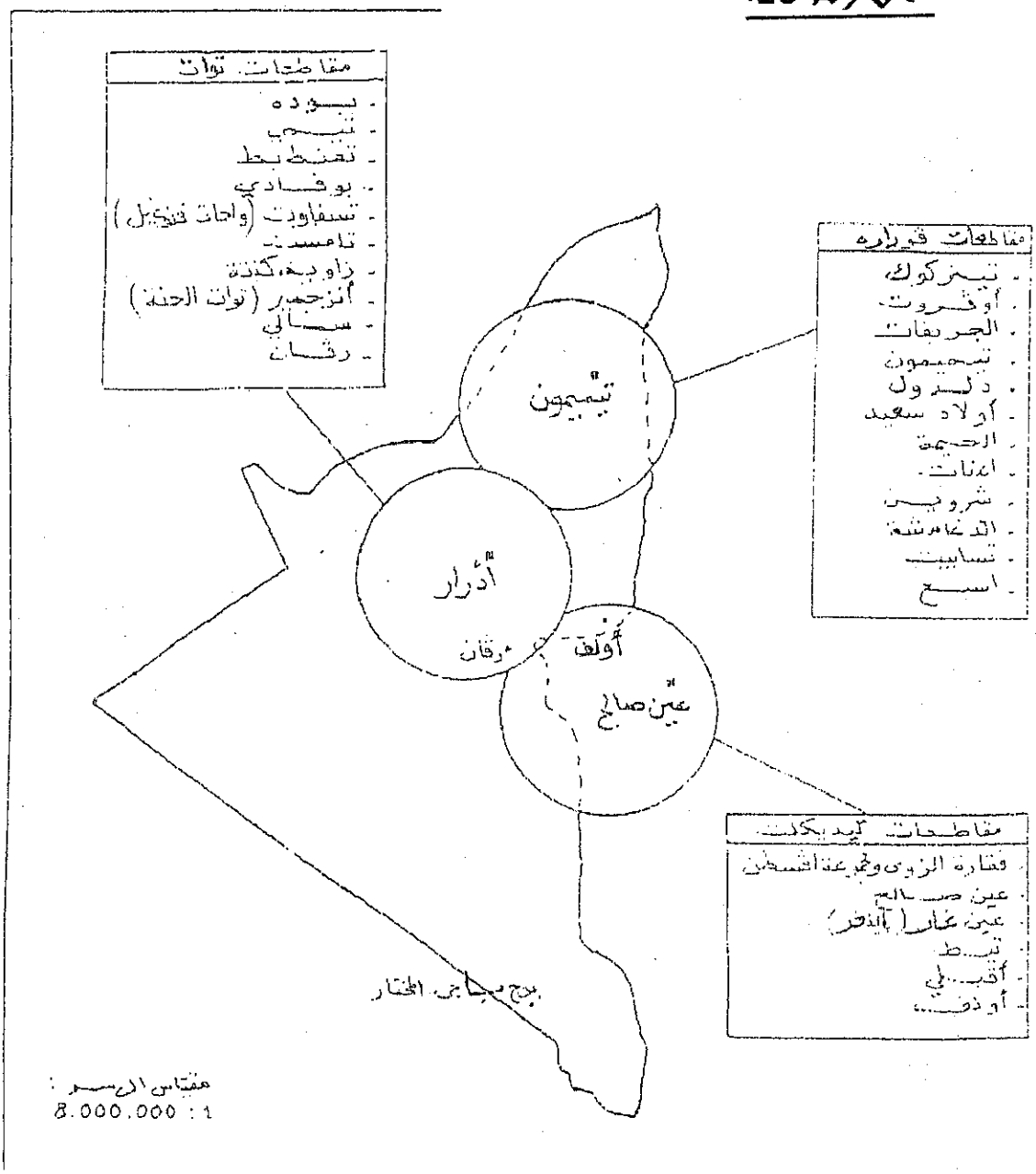

مناطق إقليم توات

هكذا قسمها فرح محمود فرج في (إقليم توات...) موزعة على المناطق التواتية الثلاث وهي قورارة وتيديكلت وتوات الوسطى، ص 20، 21، 22، 23.

ملحق رقم 11:

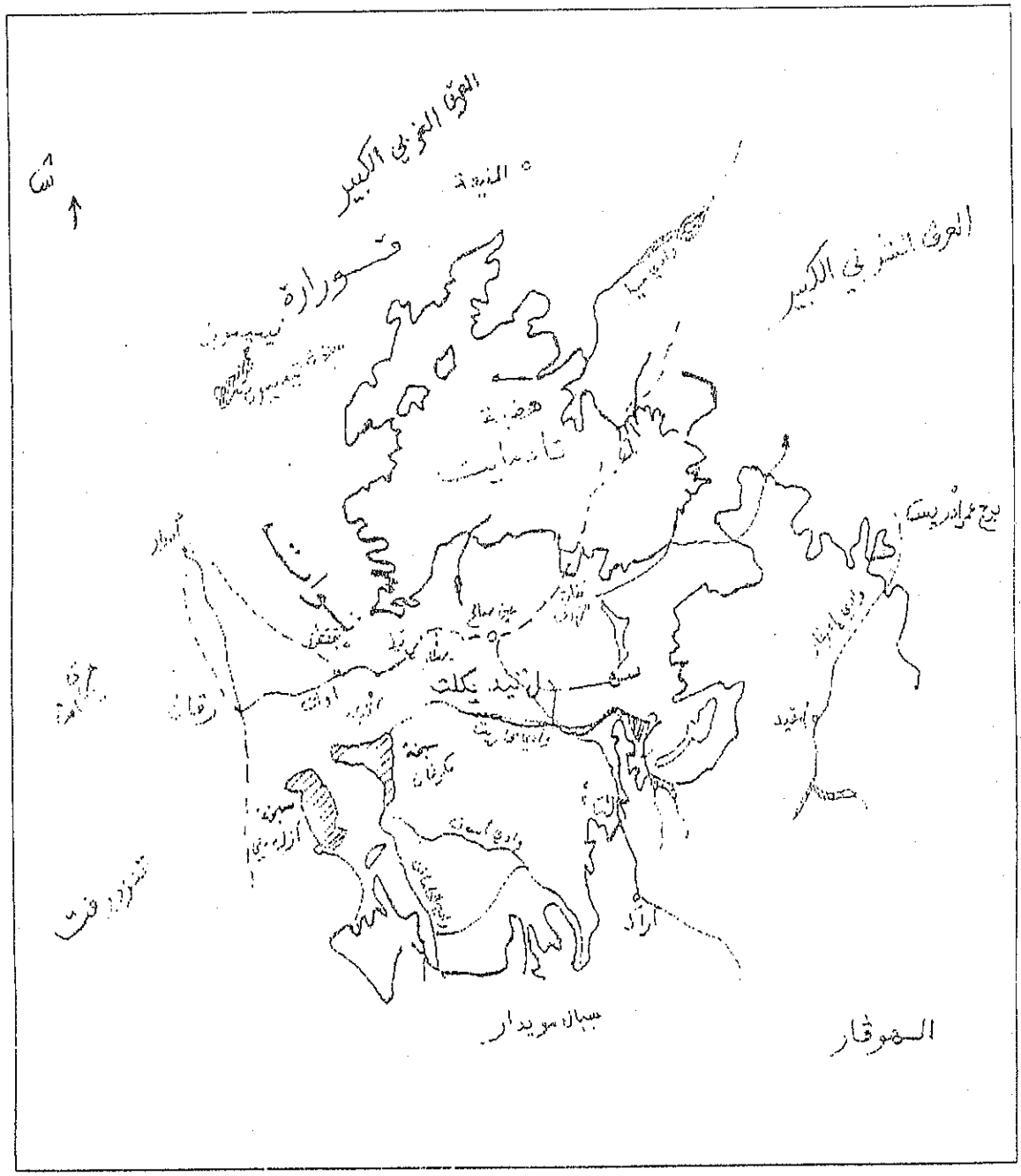

خريطة توضيحية لتضاريس إقليم توات

ملحق رقم 12:

خريطة توضح أماكن تواجد خزائن المخطوطات بولاية أدرار (توات)

نقلا عن صالح، بوسليم، المؤسسات الثقافية لإقليم توات- دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية أثناء القرنين 12هـ/13هـ.

ملحق رقم 13:

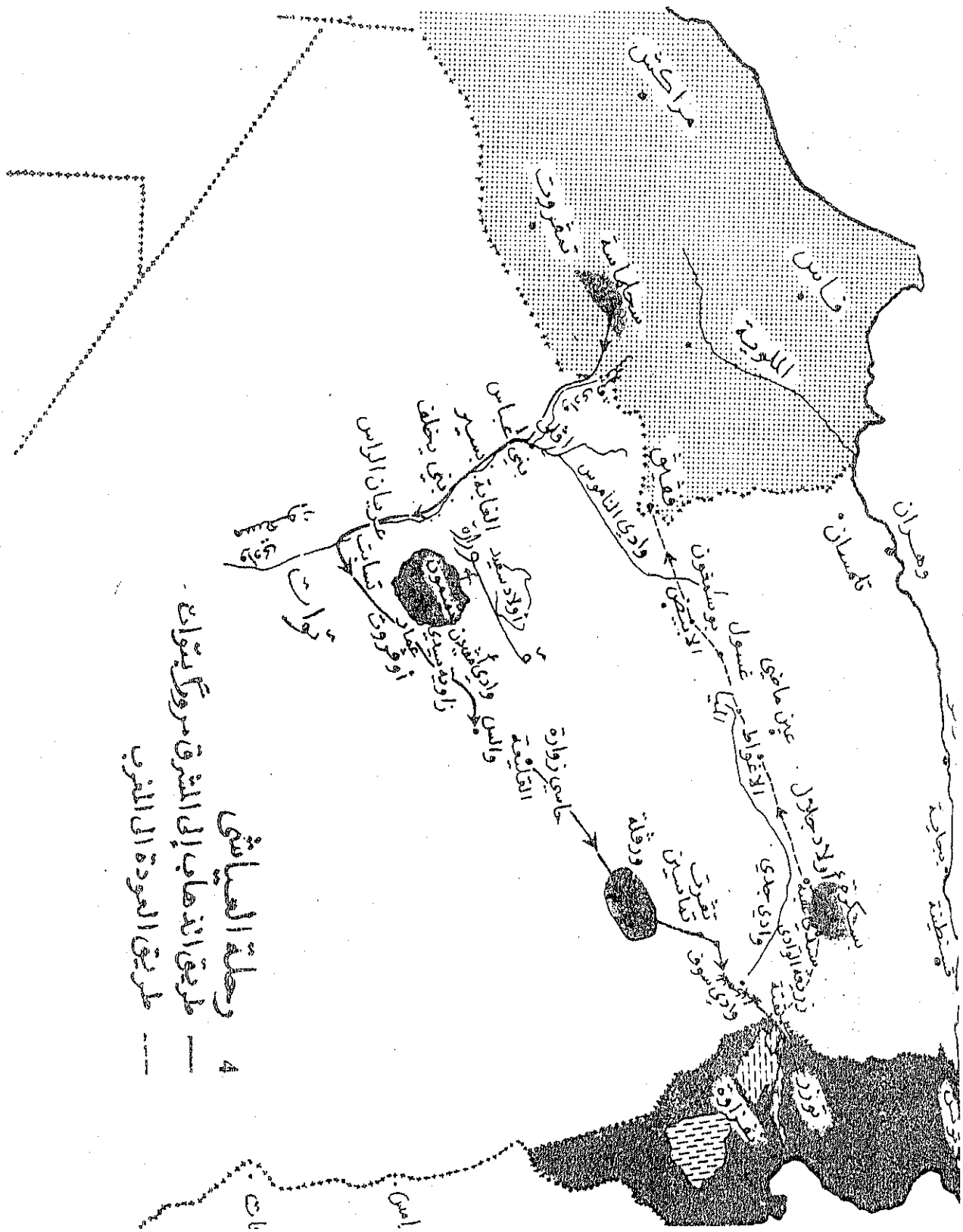

4 رحلة العياشي
— طريق الذهاب إلى المشرق مروراً بتوات
--- طريق العودة الى المغرب

ملحق رقم 14:

رقم	اسم الزاوية	مكان التواجد	مؤسسها	تاريخ التأسيس
01	زاوية مولاي سليمان بن علي	قصر أولاد وشن	مولاي سليمان بن علي	القرن06هـ
02	زاوية الشيخ المغيلي	قصرزاوية الشيخ المغيلي	الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي	القرن09هـ
03	زاوية مراقن	قصر مراقن	سيدي محمد السالم	القرن09هـ
04	زاوية كنتة	قصر زاوية كنتة	الشيخ سيد أحمد الرقاد	القرن11هـ
05	زاوية مولاي عبد الله الرقاني	قصر زاوية الرقاني	الشيخ مولاي عبد الله الرقاني	القرن11هـ
06	زاوية تنلان	قصر تنلان	سيد أحمد بن يوسف	القرن11هـ
07	زاوية سيدي علي بن حنيني	قصر زاجلو	سيدي علي بن حنيني	القرن11هـ
08	الزاوية الميمونة	قصر ميمون	سيدي محمد الصالح	القرن11هـ
09	زاوية سيدي حيدة	قصر بودة السفلانية	الشيخ الجعفري الملقب بـ (صاحب سبع حجات)	القرن12هـ
10	زاوية سيدي الحاج المختار الكنتي	قصر الجديد	الشيخ سيد المختار الكنتي	القرن12هـ
11	زاوية سيد البكري	قصر زاوية سيد البكري	سيد البكري بن عبد الكريم	القرن12هـ
12	زاوية سيدي أحمادو	قصر زاجلو	سيدي أحمادو	القرن12هـ
13	زاوية سيدي أحمد بن سيدي باحمو	قصر زاجلو	أحمد بن سيدي باحمو	القرن12هـ
14	زاوية سيدي أحمادو	قصر زاجلو	الشيخ سيدي أحمادو	القرن12هـ
15	زاوية مهدية	قصر مهدية	الشيخ عمر المهداوي	القرن12هـ

زوايا منطقة توات الوسطى

نقلا عن محمد، باي بلعالم، الرحلة العلية، إلى منطقة توات تذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات.

ملحق رقم 15:

الرقم	اسم الزاوية	مكان التواجد	مؤسسها	تاريخ التأسيس
01	زاوية مولاي هيبة	قصر زاوية مولاي هيبة- تمقطن	سيدي أبو الأنوار عبد الكريم التنلان، واشتهرت باسم حفيده لابنته مولاي هيبة	مابين القرنين 11هـ و12هـ
02	زاوية شيخ الركب النبوي	قصر الزاوية- أقبلي	سيدي محمد بن عبد الرحمان الملقب بأبي نعامة	القرن12هـ
03	زاوية الشرفاء	قصبة الشرفاء - تيط	مولاي علي بن مولاي أمحمد	القرن12هـ
04	زاوية سيد الحاج بحوص	فقارة الزوى	سيد الحاج بحوص	القرن12هـ

زوايا منطقة تيديكلت

نقلا عن: نفسه، محمد، بلعالم، نفسه.

ملحق رقم 16:

نص الإجازة التي منحها الشيخ حمزة لتلامذته[1]

- إجازة الشيخ حمزة في القرآن الكريم بروايتي ورش وقالون

ل الشيخ رحمه الله :" الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يتبه المذنب البائس الجاني حمزة بن الحاج أحمد الفلاني إن من منن الله علي ومواهبه لدي وفقني لقراءة القرءان العظيم وحفظه وإتقانه بحمد الله بقراءتي نافع وابن كثير وحصلت لي ايته عن عدة شيوخ وأعلاها عن والدي رحمه الله عن والده عن الشيخ سيدي محمد بن يدي عبد الرحمن بن عمر عن الشيخ المتبرك به الفاضل الأديب النبيل الأريب المشهور في طار الأرض على الطول منها والعرض السيد أحمد الحبيب السجلماسي اللمطي وعن شقيقه بيه المشارك سيدي صالح بن محمد الغمازي والد الشيخ سيدي محمد المكي السجلماسيمن ايتي ورش وقالون عن نافع وروايتي البزي وقنبل عن ابن كثير وأخذا هما عن جمع من ناربة والمشارقة منهم العلامة شهاب الدين البناني الدمياطي – إلى أن قال – وقرأ قالون لأعرج والزهري عن سعيد بن المسيب وهو عن ابن عباس وأبي هريرة وهما عب أبي بن كعب و عن سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن جبرائيل عن اللوح عن لم عن رب العزة لاإله إلا هو تبارك وتعالى....وقرأ البزي وقنبل عن ابن كثير عن ابن السائب د الله بن السائب المخزومي عن مجاهد بن جبر المكي عن درياس مولى ابن عباس عن أبي ب وعمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – وعن أبي ابن كعب وزيد بن ثابت – رضي الله هم – عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبرائيل عن اللوح عن القلم عن رب العزة رك وتعالى والحمد لله رب العالمين ".

نقلا عن: أحمد، الجعفري، أبحاث في التراث.

الملحق رقم 17:

شجـــرة ملـــوك أســـرة أسقيـــا

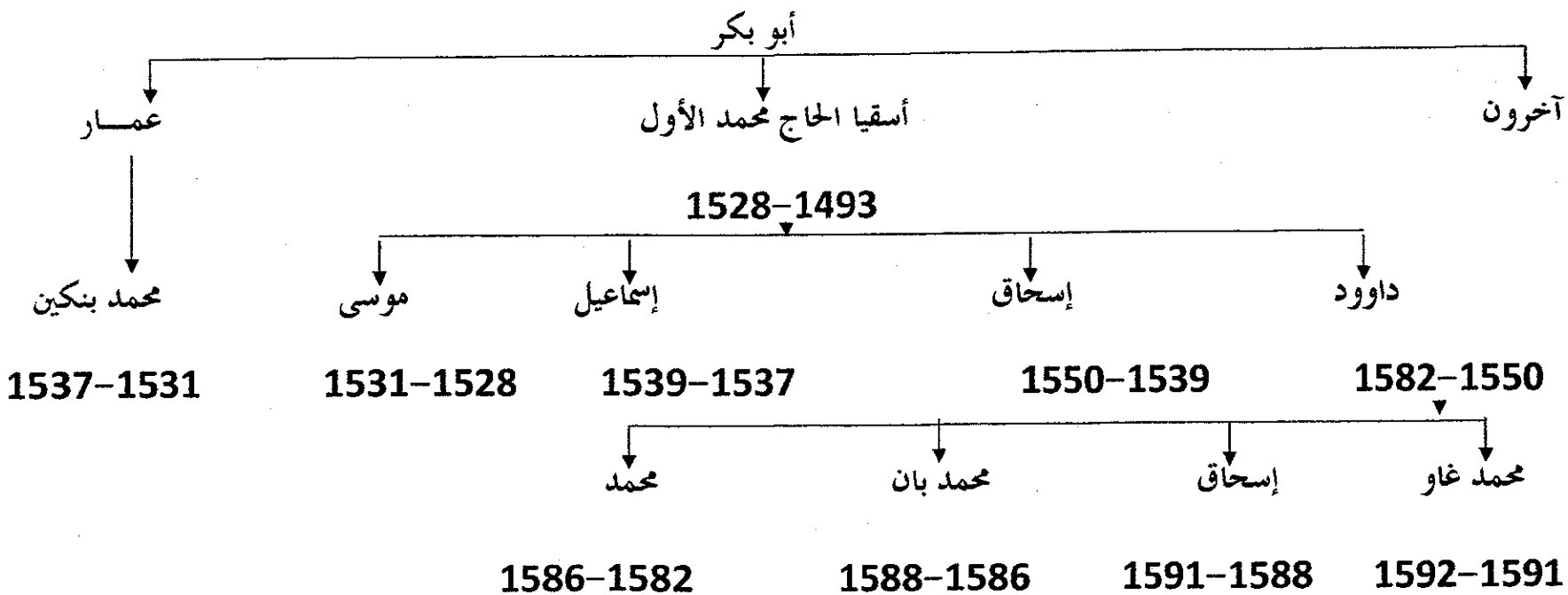

نقلا عن: مبخوت، بودواية، رسالة دكتوراه.

الملحق رقم: 18

شجرة ملـــــوك مالـــــي

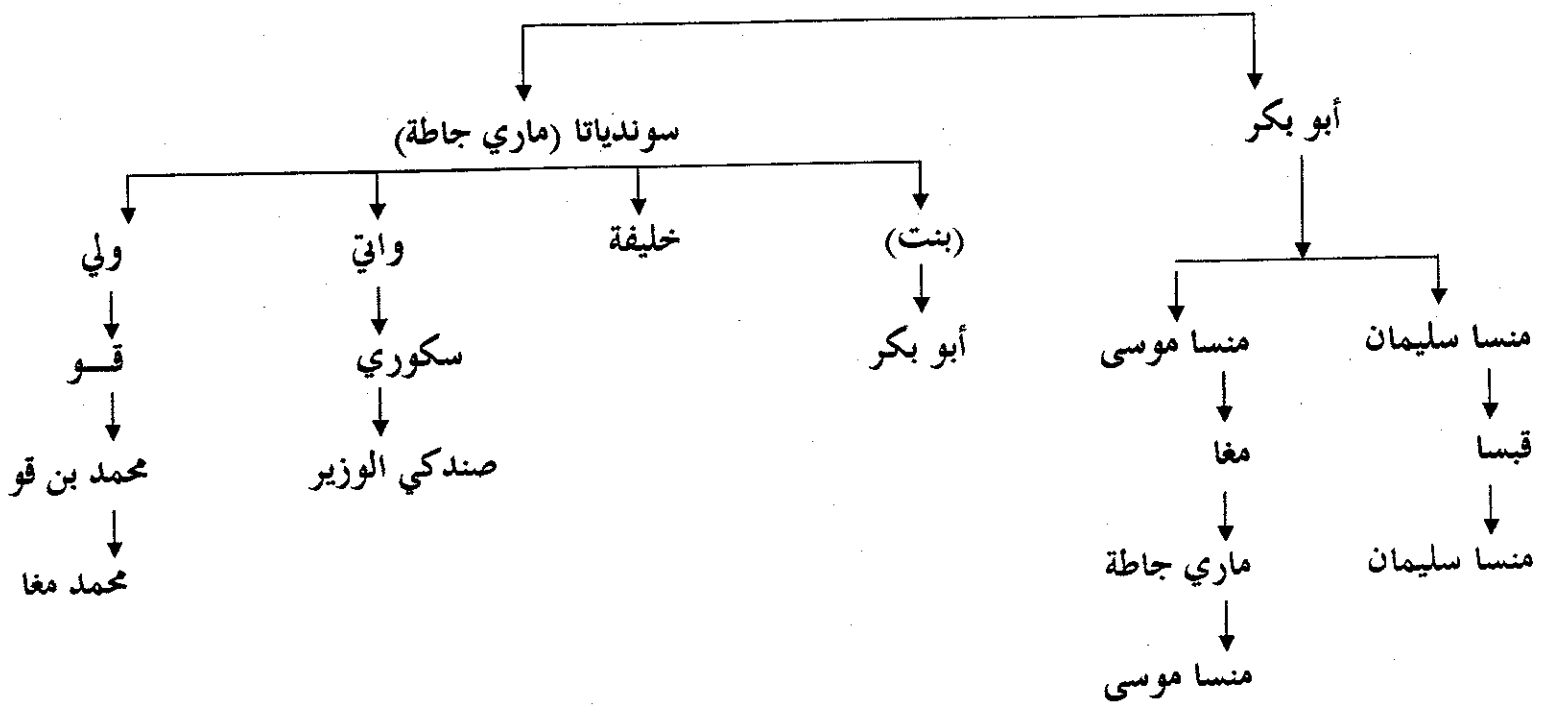

نقلا عن: العمري، مسالك الأبصار، ص 69-70.

ملحق رقم 19:

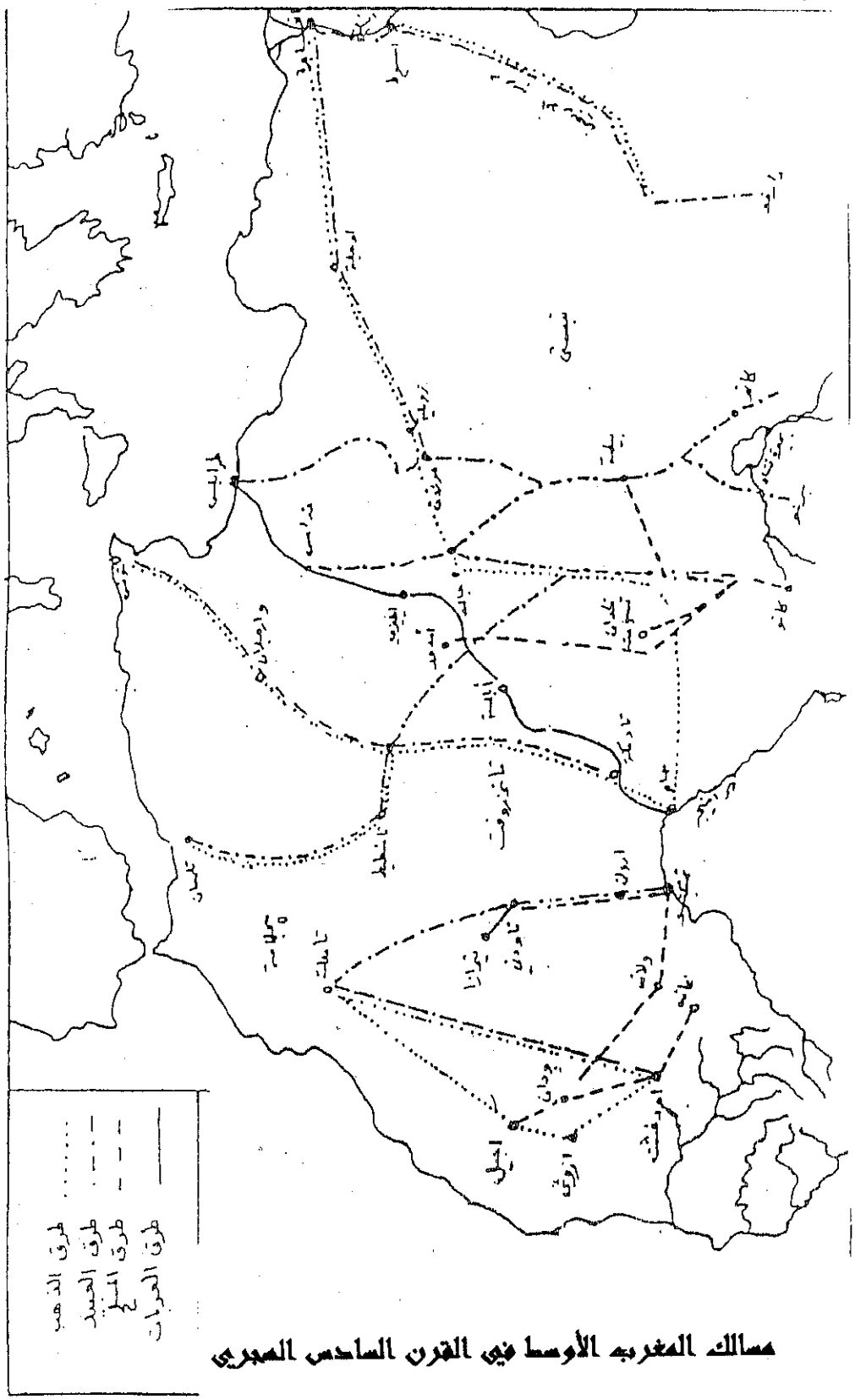

مسالك المغرب الأوسط في القرن السادس الهجري

نقلا عن مقال المسالك والدروب في المغرب الأوسط للدكتور عبد الحميد حاجيات.

ملحق رقم 20:

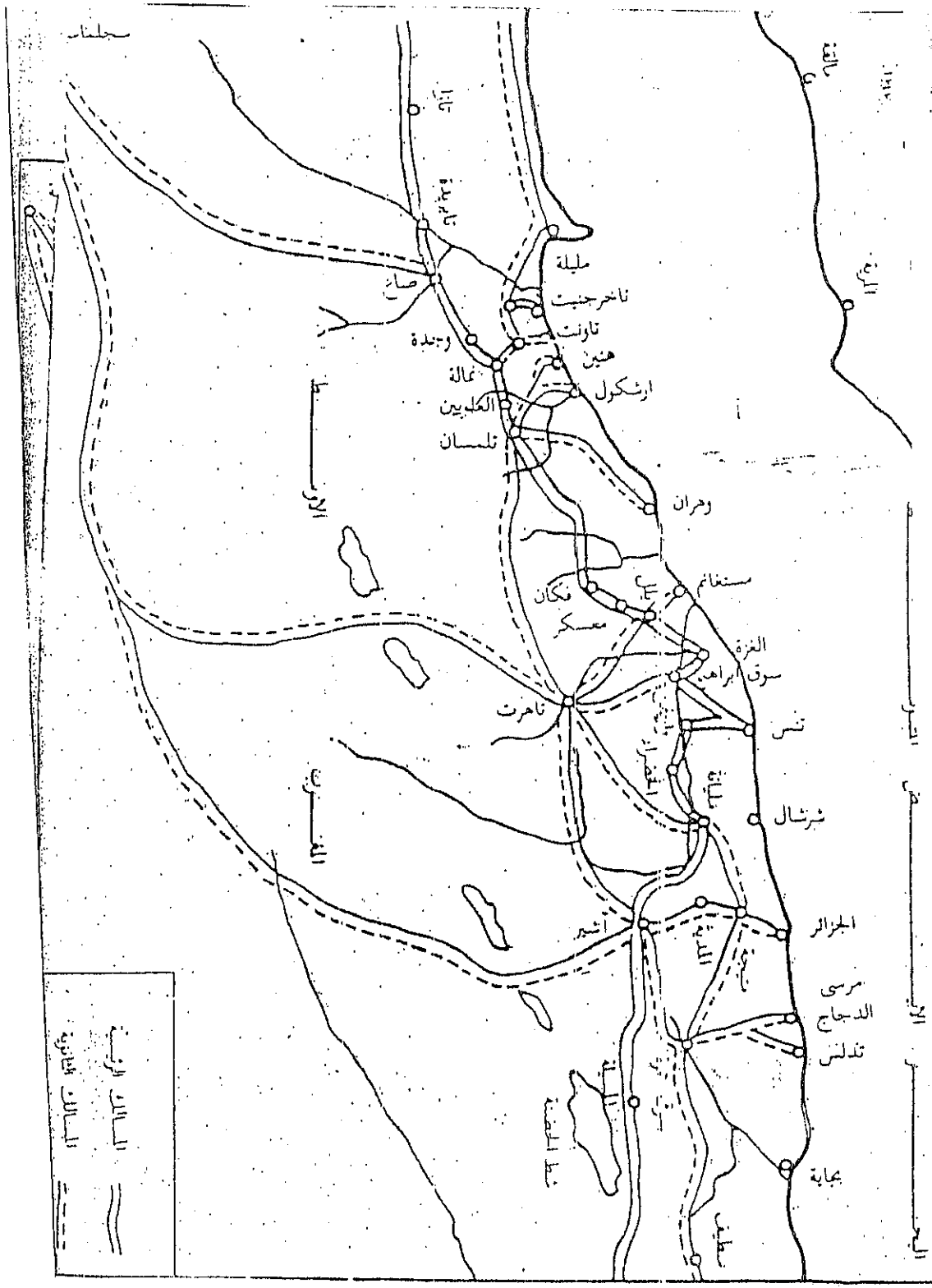

مسالك المغرب الأوسط في القرن الرابع الهجري

نقلا عن مقال المسالك والدروب في المغرب الأوسط للدكتور عبد الحميد حاجيات.

ملحق رقم 21:

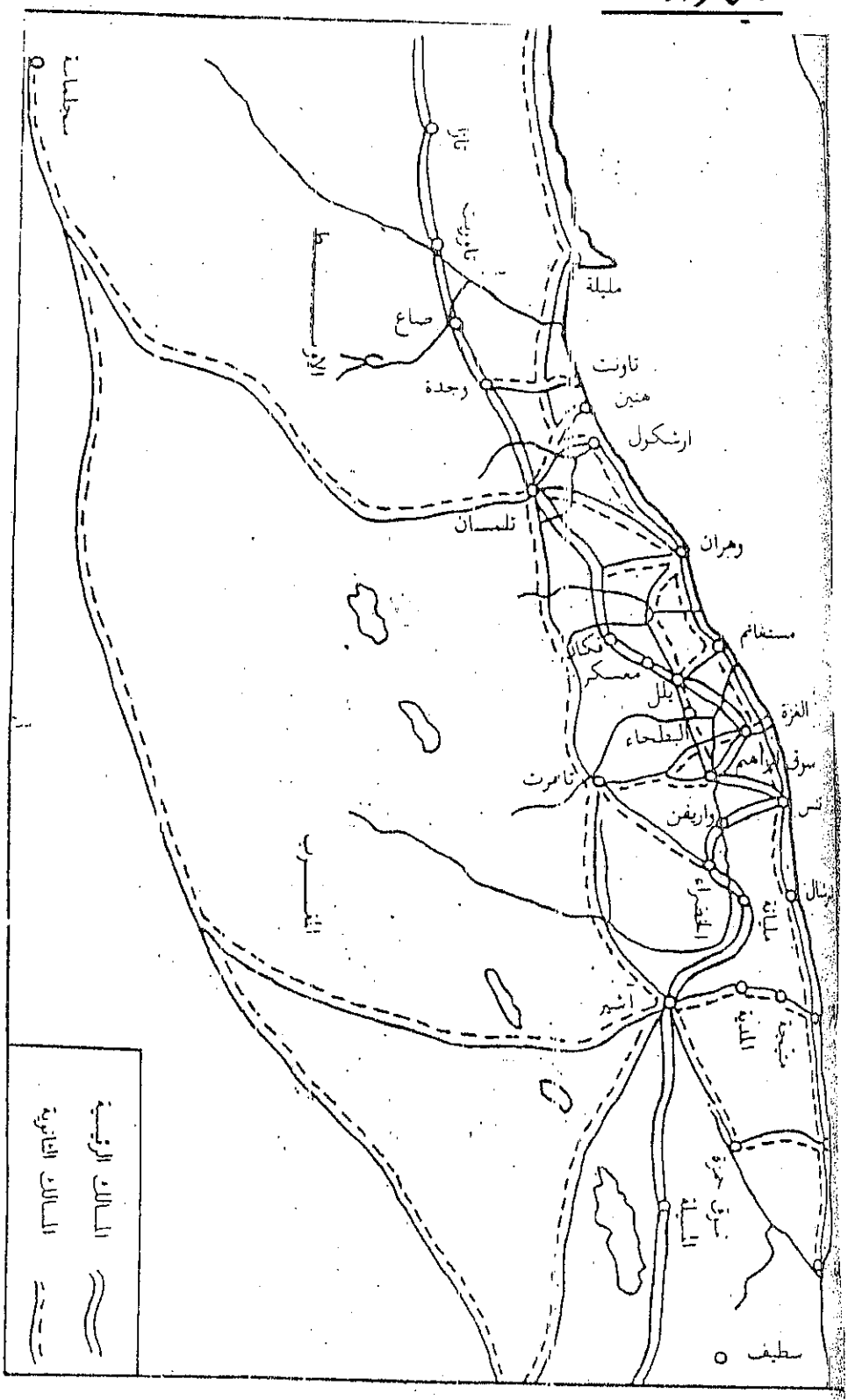

مسالك المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري

نقلا عن مقال المسالك والدروب في المغرب الأوسط للدكتور عبد الحميد حاجيات.

ملحق رقم 22:

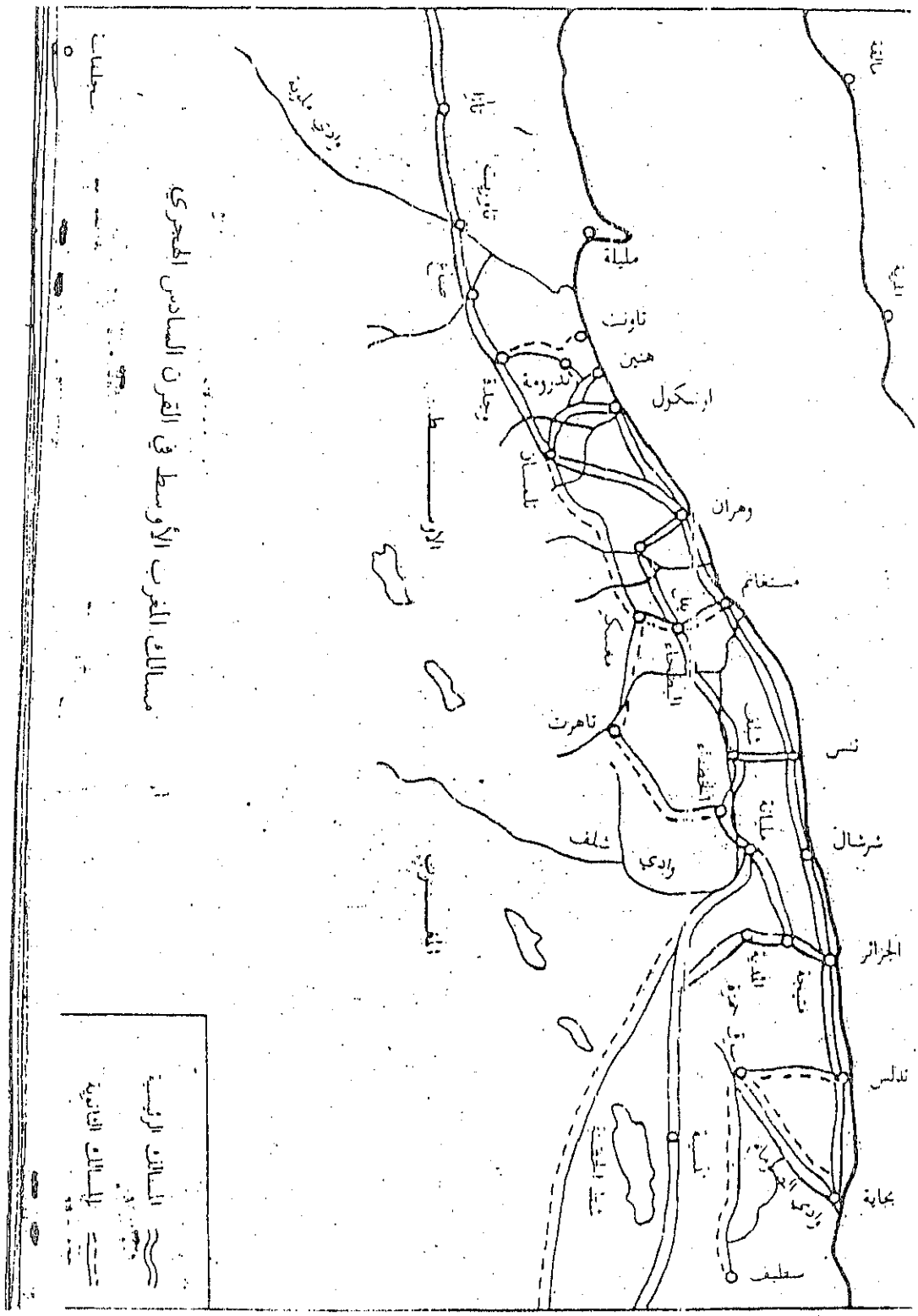

نقلا عن رسالة الدكتور صالح بوسليم.

ملحق رقم 23:

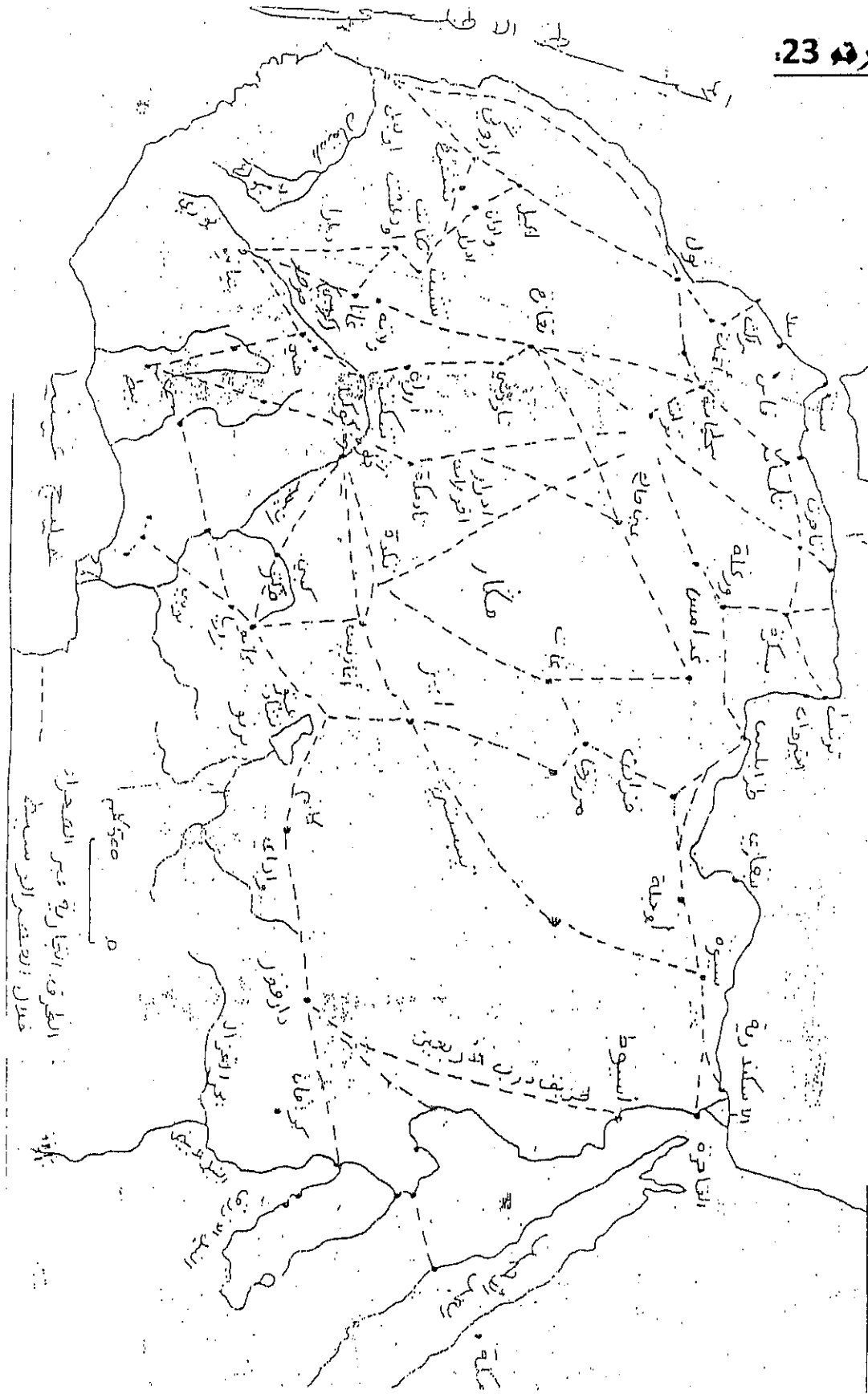

نقلا عن رسالة الدكتور صالح بوسالم.

39.	زاوية مهدية	قصر مهدية توات	سيدي عمر المهداوي	القرن 12هـ (1119هـ) وقيل(1207هـ)
40	زاوية سيد البكري	قصر زاوية سيد البكري توات	سيد البكري بن عبد الكريم	القرن 12هـ (1120هـ) وقيل(1109هـ)
41	زاوية شيخ الركب النبوي	قصر أقبلي تيدكلت	سيدي محمد بن عبد الرحمن	القرن 12هـ (1137هـ)
42	زاوية تسفاوت	قصر تسفاوت توات	الحاج محمد لمجبري	القرن 12هـ (1146هـ)
43	زاوية بودة	قصر بودة توات	الجعفري الملقب صاحب 10حجات	القرن 12هـ (1161هـ)
44	زاوية سيدي	قصر زاجلو	سيدي أحمادو	القرن 12هـ

نقلا عن أحمد الجعفري، أبحاث في التراث.

26	زاوية تنلان	قصر تنلان توات	سيدي أحمد بن يوسف	القرن 11هـ (1058)
27	زاوية الهبلة	قصر الهبلة توات	سيدي علي بن بوبكر	القرن 11هـ (1070هـ)
28	مدرسة أنزجمير	قصر أنزجمير	علماء أنزجمير	القرن 11هـ
29	زاوية سيدي علي بن حنيني	قصر زاجلو توات	سيدي علي بن حنيني	القرن 11هـ
30	زاوية مولاي عبد الله الرقاني	قصر زاوية الرقاني توات	مولاي عبد الله الرقاني	القرن 11هـ
31	زاوية سيدي عبد الرحمن بن محمد	قصر أغزر قورارة	عبد الرحمن بن محمد بن علي	القرن 11هـ
32	زاوية سيدي زايد	قصر تبرغمين قورارة	سيدي زايد	القرن 11هـ
33	زاوية عين حمو	قصر عين حمو قورارة	سيد الحاج بولغيت	القرن 11هـ
34	مدرسة المطارفة	قصر المطارفة قورارة	الحاج محمد الصالح	القرن 11هـ
35	مدرسة كوسام	قصر كوسام	البلباليون	القرن 11هـ
36	زاوية بودة	قصر بودة توات	الشيخ محمد بن عمر	القرن 12هـ (1100هـ)
37	زاوية الجديد	قصر الجديد توات	سيد المختار الكنتي	القرن 12هـ (1112هـ)
38	زاوية سيدي عبد القادر	قصر ز / ع القادر توات	سيدي عبد القادر بن عومر	القرن 12هـ (1113)

13	زاوية الحاج بلقاسم	زاوية سيد الحاج بلقاسم	سيد الحاج بلقاسم	القرن 10 هـ
14	زاوية سيدي باسيدي	قصر فاتيس قورارة	سيدي محمد بن عبد الله	القرن 10 هـ
15	زاوية الدباغ	قصر ز/الدباغ قورارة	سيدي محمد الدباغ	القرن 10 هـ
16	زاوية الحاج بو أمحمد	قصر تبلكوزة قورارة	سيد الحاج بو أمحمد	القرن 10 هـ
17	زاوية سيدي عباد	قصر أولاد عيسى قورارة	سيدي عباد	القرن 10 هـ
18	زاوية واجدة	قصر الواجدة قورارة	سيدي إبراهيم	القرن 10 هـ
19	زاوية بوشامية	بلغازي دلدول	سيدي بوشامية	القرن 10 هـ
20	زاوية ودغاغ	قصر ودغاغ قورارة	سيدي محمد بن أبي بكر الودغاغي	القرن 10 هـ
21	زاوية مولاي هيبة	بلدية تمقطن	سيدي أبو الأنوار مولاي هيبة	القرن 10 هـ
22	زاوية سيدي عومر	قصر زاوية سيدي عومر قورارة	سيدي عومر بن أحمد بن الصالح	القرن 11هـ (1008هـ)
23	زاوية كنتة	قصر زاوية كنتة توات	عبد القادر عمر الكنتي	القرن 11هـ (1012هـ)
24	زاوية بادريان	قصر بادريان	الحاج محمد الصوفي	(1033هـ) وقيل (1004ه)
25	زاوية سيدي أمحمد بن أحمد	أولاد أولاد سعيد	سيدي أمحمد بن أحمد	(1085هـ)

ملحق رقم 24:

الرقم	إسم الموطن	مكان التواجد	إسم المؤسس	تاريخ التأسيس
01	زاوية بني حماد	قصر زاقلو توات	بنو حماد	القرن 06هـ (550هـ)
02	زاوية مولاي سليمان بن علي	قصر أولاد وشن توات	مولاي سليمان بن علي	القرن 06هـ حماد (581هـ)
03	زاوية محمد الطالب بن سليمان	قصر آدغا توات	قصبة محمد الطيب بآدغا	القرن08هـ (780هـ)
04	زاوية سيد الحاج لحسن الشريف	قصر قنتور قورارة	الحاج لحسن الشريف	القرن 08 هـ
05	مدرسة تمنطيط	قصر تمنطيط	سيد البكري	القرن 09هـ
06	زاوية سيدي موسى والمسعود	قصر تسفاوت قورارة	سيدي موسى والمسعود	القرن 09هـ
07	مدرسة بوحامد	قصر بوحامد توات	أبو حامد الجعفري	القرن 09هـ
08	زاوية مراقن	قصر مراقن توات	سيدي محمد السالم	القرن 09هـ (879هـ)
09	مدرسة (زاوية) الشيخ المغيلي	قصر بوعلي توات	الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي	القرن 09هـ
10	زاوية سيدي اعمر	تينكرام شروين	سيدي أحمد الغريب	القرن 09هـ
11	زاوية ميمون	قصر ميمون توات	الإدريسيون القادمون من تلمسان	القرن 10 هـ (916هـ)
12	زاوية الشيخ عمر	قصر إقسطن قورارة	سيدي محمد بن عمر	القرن 10 هـ

الملحق رقم 25: مقارنة وقصور إقليم توات

Alka3da.blogspot.com

lahcene.mountada.big

www.rayanaljazair.com

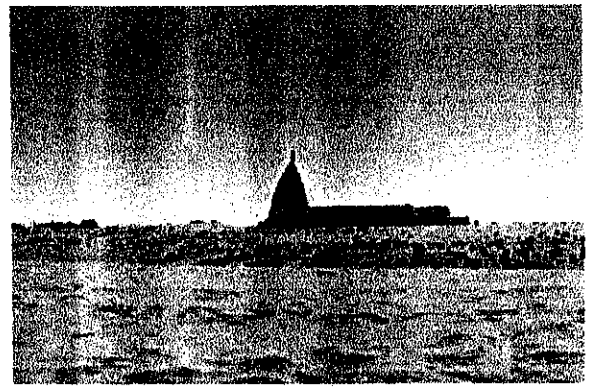

takhfif-ici-blogspot.com

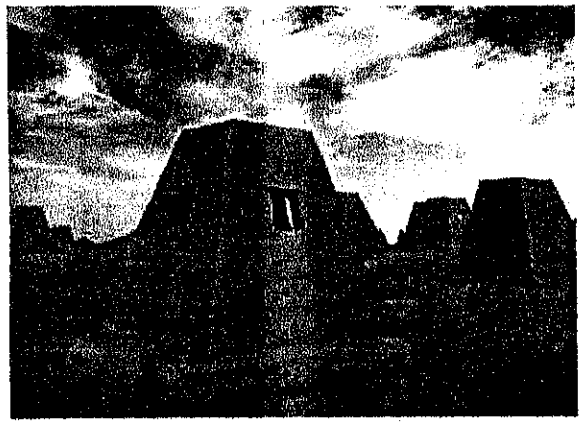

Fiajan.blogpot.com

www.visite-adrar.com

فهرس الموضوعات

شكر و تقدير

إهداء

مقدمة ..... أ

مدخل 18

الفصل الأول: الواقع السياسي والتاريخي لإقليمي توات والسودان الغربي 24

المبحث الأول: الخلفية التاريخية و الجغرافية لإقليم توات 25

1-أصل التسمية 25

2-الخلفية الجغرافية لإقليم توات 26

2-1التضاريس 29

2-2المناخ 31

3-الخلفية التاريخية لإقليم توات 33

المبحث الثاني: واقع السودان الغربي السياسي و التاريخي 39

1-التعريف ببلاد السودان الغربي 39

2-الخلفية التاريخية للسودان الغربي 42

2-1مملكة غانا 42

2-2مملكة مالي 45

2-3مملكة سنغاي 48

الفصل الثاني: الحركة التجارية بين إقليمي توات وم السودان الغربي 54

المبحث الأول: النشاط التجاري بين الإقليمين 55

1-المسالك والدروب التجارية 55

2-الأسواق التجارية 59

2-1في توات 60

2-2في السودان الغربي 62

3-المبادلات التجارية 66
المبحث الثاني: أثر القوافل التجارية في تأصيل العلاقات الثقافية بين الإقليمين 71
1-توات ودورها في الحركة التجارية 71
2-أثر التجارة في تفعيل الحركة الثقافية 73
2-1تنشيط المراكز الثقافية و التجارية 73
2-2نشر اللغة العربية 81
الفصل الثالث: الواقع الثقافي في إقليم توات وبلاد السودان الغربي 85
المبحث الأول: الواقع الثقافي في إقليم توات 86
1-المؤسسات التعليمية 86
1-1الكتاتيب 87
1-2الزوايا 89
1-3المساجد 94
2-أشهر علماء توات 96
3-الطرق الصوفية 106
المبحث الثاني: الواقع الثقافي في السودان الغربي 110
1-المؤسسات التعليمية 110
1-1الكتاتيب 110
1-2الزوايا 111
1-3المساجد 113
2-أشهر علماء السودان الغربي 117
3-الطرق الصوفية 123
خاتمة 127
قائمة المصادر و المراجع 131
الملاحق 143
فهرس الموضوعات 174